

خُطْبُ

مِنِ الْجُمُعَاتِ

إِعْدَادُ

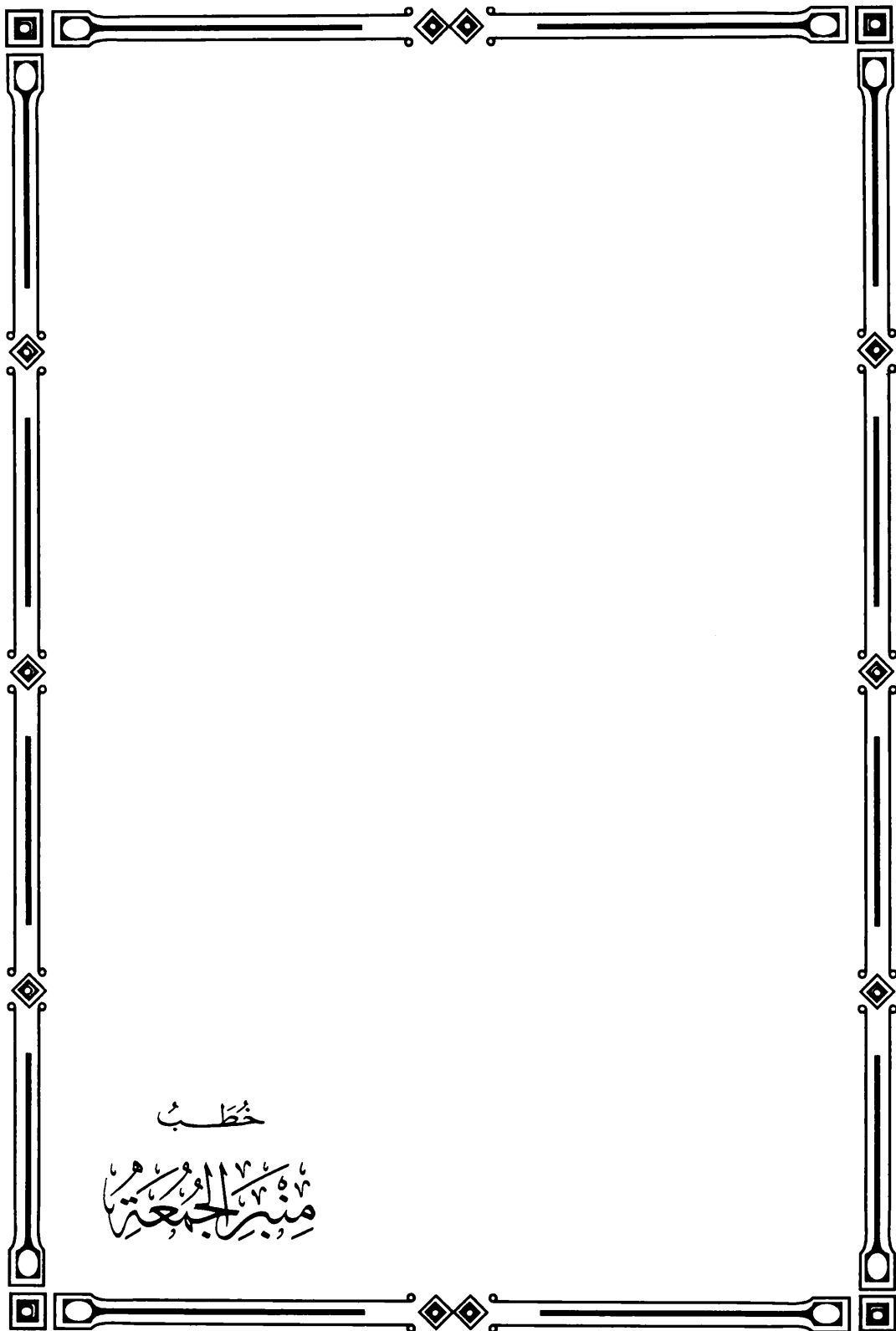
سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدِّينِ نَاصِرٍ كَرْبِیَّ

خَطِيبُ جَامِعِ الْفَتْحِ بِمُحَافَظَةِ أَلَزَلْفِي

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

الجزء الأول

بِخَزَائِنِ الْبَيْتِ الْهَرَقِيِّ



خطب

منبر الجمعة

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

دار التذرية

الرياض - ص.ب: ٢٦١٧٣ - الرمز البريدي: ١١٤٨٦

هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦ - ٤٩٢٥١٩٢ - فاكس: ٤٩٣٧١٣٠

Email: TADMORIA@HOTMAIL.COM

المملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذه مجموعة من الخطب المختارة التي ألقيتها في جامع الفالاح في محافظة الزلفي، وقد حرصت عند إعدادها أن تكون قصيرة لا طويلة؛ عملاً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه، عن واصل بن حيان، قال: قال أبو وائل: خطبنا عمار بن ياسر فأوجز وأبلغ، فلما نزل قلنا: يا أبا اليقظان^(١)، لقد أبلغت وأوجزت، فلو كنت تنفست. فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ طول صلاة الرجل وقصر خطبته مِثْنُ^(٢) من فقهه، فأطيلوا الصلاة، واقصروا الخطبة، وإنَّ من البيان سحراً»^(٣)، فقله: «واقصروا» أمر منه صلى الله عليه وسلم، وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث بلفظ: «إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَهَى أَنْ تُطِيلَ الْخُطْبَةُ»^(٤).

(١) كنية عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أي علامة.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٣، رقم ١٨٣٤٣)، ومسلم (٢/ ٥٩٤، رقم ٨٦٩).

(٤) مسند أبي يعلى (٣/ ١٩٣، رقم ١٦٢١)، ومسند ابن أبي شيبة (١/ ٢٨٩، رقم ٤٣٤)، وفي

إسناده مقال.

ومن هنا فإنَّ هذه الخطبَ لا تزيد مدَّة إلقائها عن بضعة عشر دقيقة تقريبًا، وهذه هي المجموعة الأولى، وسيلها مجموعات أخرى بإذن الله.

وَمَنْ جَرَّبَ الخطابةَ علمَ شدةَ ما يلاقيه الخطيبُ أثناء إعداد الخطبة من اختيار الموضوع، ثُمَّ من جمع المادة العلمية، ثم طريقة عرضه وإيصاله إلى المصلِّين، مع مراعاة تباين الحاضرين سَنًا وفهماً وعلمًا وتقوى، فمُراعاة هذه الأمور أثناء الإعداد مما يزيد صعوبة الأمر.

وبعض هذه الخطب تكلمتُ فيها عن أحداثٍ واقعة في المجتمع أو الأمة، ناسبت ذلك الوقتَ والحدثَ، وسمَّيْتُها أثناء الخطبة، إلا أنَّه وعند إعدادها للنشر غيَّرتُ في أسلوبها لتناسب مع أي حدثٍ مشابهٍ لها، إذ لا مصلحة في تعيينها.

وإنَّ من أهم مقوِّمات نجاح الخطبة هو ملاسَّتُها لحاجة الناس، وحلُّ ما أشكل عليهم، أو اضطربت فيه الآراء، أو هو حديثُ النَّاسِ في مجالسهم وأماكنِ عملهم، وقد جعل الله للخطبة أثرًا عجيبيًا يلمسه كلُّ مصلٍّ في نفسه، فما من مُصلٍّ إلا ويجد أثرَ خطبة الجمعة وتأثيرها على فؤاده ومجتمعه، ولعل هذا من حِكَم تشريع هذا اليوم العظيم.

وفي هذه المجموع حَرَّصت أن تكونَ كلُّ خطبة مشتملةً على هدفٍ محدد، وعلى جملةٍ من الأدلة من الكتاب والسنة، وعلى منقولٍ من كلام أهل العلم إذا استدعى الأمرُ ذلك، فهذه الخطب صالحة لمن أراد أن يلقي محاضرة أو كلمة توعوية؛ لأنَّها اشتملت على ما سبق بيانه.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْمَجْمُوعَ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِي، وَمَنْ سَعَى فِي
إِعْدَادِهِ لِلطَّبَاعَةِ مِنْ إِخْوَانِي، جَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْرًا، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي وَلِوَالِدَيَّ،
وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

كتبه: سليمان بن خالد بن ناصر الحري

خطيب جامع الفالح بمحافظة الزلفي



الإيمان قبل القرآن

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله -أيها المسلمون- حَقَّ تَقَاتِهِ، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: يَزْدَادُ الْعَجَبُ وَتَظْهَرُ الدَّهْشَةُ حِينَمَا تَرَى كَافِرًا لَا يَرْجُو الْآخِرَةَ يُيَارِسُ خُلُقًا إِنْسَانِيًّا جَمِيلًا، حِينَمَا تَرَى وَفَاءً، أَوْ تَرَى صِدْقَهُ وَانْضِبَاطَهُ فِي عَمَلِهِ، هِيَ وَلَا شَكَّ أَخْلَاقُ فُطِرَتِ النَّفُوسُ عَلَى حُبِّهَا؛ وَهَذَا لَا غَرَابَةَ أَنْ يَشْتَرِكَ الْعَقْلُ الْإِنْسَانِيُّ فِي مُحَاوَلَةِ التَّحَلِّيِّ بِهَا، وَهَذَا مَا أَرُوغَ وَأَعَذَّبَ مَا حَدَّثَ لَامْرَأَةَ الْعَزِيزِ مَعَ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ أَحَبَّتْهُ حُبًّا شَدِيدًا، فَاقِ الْوَصْفَ، فَلَمَّا حَدَّثَ مِنْهَا مَا حَدَّثَ، وَفَتَحَ الْعَزِيزُ الْبَابَ، وَرَأَى مَا رَأَى، خَافَتْ عَلَيْهِ مِنْ عُقُوبَةِ الْعَزِيزِ، فَبَادَرَتْ بِتَحْدِيدِ الْعِقَابِ الْمَأْمُونِ، حَتَّى لَا يَتَعَجَّلَ الْعَزِيزُ بِقَتْلِهِ، فَقَالَتْ: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٥].

وكم كانت عجيبةً بهذا اللفظ الموجز! فهي لم تقل ما جزأ يوسف الذي أراد بي سوءاً؟ فلم تكذب عليه، وإنما سألت مُعَرِّضَةً، ثم تأمل قولها: {ما جزأ من أراد} ولم تقل فعل، وإنما برأته أن يكون حدث شيء بينهما؛ وبسبب هذه المقولة عُوقب بالسَّجْن.

فهي تكلمت أمامه مُعَرِّضَةً على مَرَأَى منه ومَسْمَعٍ، ولكنها لما سُئِلَتْ عن الحادثة في مَغْيِبِهِ عجزت نفسها أن تكذب عليه، وأن تُعَرِّضَ مرةً أخرى في حال غيابه، فما كان منها إلا أن قالت الحقيقة، قال الله: ﴿قَالَتْ أَمَرْتُ الْعَزِيزَ أَنْ يَخْصَخْصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿[يوسف: ٥١ - ٥٢]، فَمَنَعَهَا مِنَ الْكَذِبِ مَرَّةً ثَانِيَةً أَنْ يُوسِفَ غَيْرُ شَاهِدٍ وَحَاضِرٍ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ.

إن هذه التربية للنفس بحملها على الفضائل، حتى يَمُنَّ لا يَدِينُ بالشواب الأُخْرَوِيَّ، مطلبٌ رُوحِيٌّ تعشقه النفس الإنسانية؛ ولهذا تَتَّفِقُ العلومُ الإنسانيةُ على وُجُوبِ تعلُّمِ هذه الفضائلِ والسَّجَايَا.

ونظرةً إلى رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ: ماذا كانت خصاله وسجاياه؟ تذكر لنا أُمُّنا خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِأَدَقِّ وصفٍ لحاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما نَزَلَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ فِي غَارِ حِرَاءَ، ورأى رسولُ الله ما رَأَى، رجع رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترجف بوادِرُهُ وفُؤَادُهُ حتى دَخَلَ على خديجة، فقال: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي». فزَمَّلُوهُ حتى ذهب عنه الرَّوْعُ. قال لخديجة: «أَيُّ خَدِيجَةٍ! مَا لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». فأخبرها الخبر، قالت خديجة: كلا أبشر، فو الله لا يُخْزِيكَ الله

أبدًا، فوالله إنك لتَصِل الرَّحِمَ، وتصدق الحديثَ، وتحمل الكَّلَ، وتُكْسِب المعدومَ، وتقري الضيفَ، وتُعِين على نوائب الحق»^(١).

كَمْ هي مُلْهَمَةٌ هذه الزوجةُ؟! عرفت أمنا خديجةُ بفطرتها أَنَّ اللهَ لَا يُخْزِي مَنْ اسْتَقَامَ عَلَى دِينِهِ، وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ. ها هي تقول له: «كلا» هذا تأكيدٌ للنفي، ثُمَّ بَشَّرَتْهُ، وَطَيَّبَتْ خَاطِرَهُ، فَقَالَتْ لَهُ: «أَبْشِرْ»، ثُمَّ أَقْسَمَتْ فَقَالَتْ: «وَالله لَا يَخْزِيكَ اللهُ»، وَلَمْ تَكْتَفِ بِهَذَا، بَلْ أَبَدَتْهُ وَنَفَتْهُ مَدَى الدَّهْرِ، هَذَا خُلُقُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَزَوْجَةُ الْعَزِيزِ تَقُولُ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْغَائِبِينَ﴾، وَخَدِيجَةُ تَقُولُ: «كَلَّا، وَالله لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا»، تَوَافَقَ صَحِيحُ بَيْنَهُمَا.

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: خِلَالُ الْأَخْلَاقِ هِيَ مَا تَنْطَبِعُ فِي النَّفْسِ وَتَنْصَبِغُ بِهَا، فَإِنِهَا إِذَا كَانَتْ مَعَ الْإِيمَانِ أَثْمَرَتْ ثَمَارًا يَانِعَةً رَائِعَةً، وَلِنَنْظُرَ إِلَى رَسُولِنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا وَصَفَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! أَنْبِئْنِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنْ خُلِقَ نَبِيٌّ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ^(٢).

فَمَا أَخْلَاقُ الْقُرْآنِ؟ أَلَيْسَتْ هِيَ كُلُّ فَضَائِلِ النَّفْسِ مِنَ الصُّدْقِ، وَعَدَمِ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ، وَعَدَمِ الْكُذْبِ، وَتَعْظِيمِ الْوَالِدَيْنِ، وَرَحْمَةِ الصَّغِيرِ، وَاحْتِرَامِ الْكَبِيرِ، وَعَدَمِ الْمَجَاهِرَةِ بِالسَّوْءِ، وَالتَّوَاضُعِ، وَالْكَرَمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفَضَائِلِ؟!!

(١) أخرجه البخاري (١/٥، رقم ٤)، ومسلم (١/١٤٣، رقم ١٦١).

(٢) أخرجه مسلم (١/٥١٤، رقم ٧٤٦).

وقد لخص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الأمر بحديث جامع، كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا»^(١)، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعناه أن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهلية إذا أسلموا وفَقَّهوا فهم خيار الناس»^(٢)، وقال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَوَجْهُ التَّشْبِيهِ اشْتِمَالُ الْمَعَادِنِ عَلَى جَوَاهِرٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ نَفِيسٍ وَخَسِيسٍ، كَذَلِكَ النَّاسُ مَنْ كَانَ شَرِيفًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شَرَفًا، فَإِنْ تَفَقَّهَ وَصَلَّ إِلَى غَايَةِ الشَّرَفِ، وَكَانَتْ لَهُمْ أُصُولٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَسْتَنْكِفُونَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْفَوَاحِشِ»^(٣).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُّوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٨٨، رقم ٣٣٠٤)، مسلم (٤/ ٢٠٣١، رقم ٢٦٣٨).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٣٥).

(٣) نقلا عن إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (٦/ ٤).

إلا الله؛ تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى جنّته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوّانه. أمّا بعدُ:

مَعَشَرُ الإِخْوَةِ: إن هذه المسألة - أعني تعلّم خِصَالِ الإِيْمَانِ - والتي هي جوامعُ الأخلاق، مسألةٌ هُمِّشَتْ في زماننا عند المَرِيّين والآبَاءِ والأُمّهات، فَيَقْدَرُ ما تَرى الأب حريصاً على تعليم وَلَدِهِ القرآنَ وتحفيظه إِيّاه، تَجِدُهُ غَافِلاً عن تمرينه وتعليمه على خِصَالِ الحَئِثِ والأَخْلَاقِ مُنْذُ نَعْمَةٍ أَظْفَارِهِ، فَضْلاً عَمَّن يُرَبِّي وَلَدَهُ على غير ذلك، مِن تَعَلُّمِ البَيْعِ والشُّرَاءِ، أو الأُمُورِ التَّقْنِيَّةِ، أو الحرصِ على تعليمه والاهتمام بِمُسْتَوَاهُ الدِّرَاسِيِّ، بَيْنَمَا لا تَجِدُ ذَلِكَ الِاهْتِمَامَ المِساوِيَّ لتعليمه خِصَالِ الإِيْمَانِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نقول: ما بال أولادنا؟! ما بال نَشْنِئنا؟!

لماذا المَجْتَمَعُ مُجْتَمِعٌ يحرص على نَشْرِ الرذيلة؟

لَمْ تَكْثُرْ فِيهِ عَلاقَةُ المِصَالِحِ؟

لَمْ النَّاسُ يَطِيرُونَ بِالشَّائِعَاتِ دُونَ تَثْبِيتِ وَلا رَوِيَّةٍ؟

أَسْئَلَةُ كَثِيرَةٍ مِّنْ أَعْظَمِ أَجَوِبَتِهَا هُوَ أَتَنَّا لا نَعْلَمُ الإِيْمَانَ وَخِصَالَهُ، وَلَمْ نَحْرِضْ على تعليمه لِأَوَّلَادِنَا، وَمَنْهَجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَعْلِيمِ أَصْحَابِهِ الْقُرْآنَ هُوَ تَعْلِيمُ الإِيْمَانِ أَوَّلًا قَبْلَ تَعْلِيمِ الْأَحْكَامِ.

وَتَأَمَّلْ ما رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهٍ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ، عَنِ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانُ حَزَاوِرَةَ (جمع حَزُور، أو حُزُور، وهو الذي لم يَبْلُغْ بعدُ)، فَتَعَلَّمْنَا الإِيْمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَارْزَدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا^(١)، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

(١) أخرجه ابن ماجه (١/٢٤، رقم ٦١).

«تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا إِيمَانًا، وَأَنْتُمْ تَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَتَعَلَّمُونَ الْإِيمَانَ»^(١)، وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما عند الحاكم، وقال على شرط الشيخين، قال: «لَقَدْ عَشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَإِنْ أَحَدَنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِيلِ السُّورَةِ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَأَمْرَهَا وَزَجْرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا، كَمَا تَتَعَلَّمُونَ أَنْتُمْ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رَجُلًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتَمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَجْرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ»^(٢).

إذا كان هذا هو منهجُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنهجُ أصحابه من بعده في التربية، أَنْ يَبْدَأَ بِالْإِيمَانِ، بِخُلُقِ الْإِنْسَانِ مَعَ رَبِّهِ، وَخُلُقِهِ مَعَ النَّاسِ بَعَامَّةٍ، وَتَعْرِيفِ الصِّغَارِ بِالْحَقُوقِ؛ ولهذا، وَبِكُلِّ أَسْفٍ، تَجِدُ فِي زَمَانِنَا مَنْ لَمْ يَتِمَّرَنَّ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْفَضَائِلِ أَبَدًا.

وما أَجْمَلَ الْقِصَّةَ الَّتِي رَوَاهَا عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي تَعْلِيمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، وَفِي رَوَايَةٍ فَجَعَلْتُ أَخْذُ مِنْ لَحْمٍ حَوْلَ الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا غُلَامُ! سَمَّ اللَّهُ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ بِمَا يَلِيكَ»، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ^(٣).

وقال سعدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا نَعْلَمُ أَوْلَادَنَا مَغَازِي رَسُولِ

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) (٢٢٩/ ١٦).

(٢) أخرجه الحاكم (٩١/ ١)، رقم (١٠١)، والبيهقي في سننه الكبرى (٣/ ١٢٠)، رقم (٥٠٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٥٦)، رقم (٥٠٦١)، ومسلم (٣/ ١٥٩٩)، رقم (٢٠٢٢).

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما نُعَلِّمُهُم السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ»^(١).

وختامًا أيها الإخوة: لئن كان الغربُ على كُفْرِهِ يُعَلِّمُ العلومَ الإنسانيةَ، ويُدرِّسُ كثيرًا من فضائل الأخلاق، وتجد منهم مَنْ يَتَمَسَّكُ ببعض هذه المبادئ بدون مُحَقِّزٍ أُخْرَوِيٍّ، ولا باعِثٍ رُوحِيٍّ، فكيف بنا -نحنُ المسلمين-؟! فعندنا من المقوماتِ التي تجعلُ هذه الأخلاقَ هي التي يرتفع صوتُها على أصوات النَّشازِ، وهذا دَوْرُ الوَالِدَيْنِ والمُعَلِّمِينَ والمُرَبِّينَ، عليهم أن يَتَمَثَّلُوا هذه الأخلاقَ، عليهم أن يَصْدُقُوا مع أنفسهم، أن يَكُونُوا وعاءَ لِلْخُلُقِ الرَّفِيعِ؛ بعيدًا عن السِّفَاسِفِ وتَدَنِّي الذَّاتِ.

فوالله! لو كَثُرَ قُدُواتُ الخَيْرِ لتَأَثَّرَ الصِّغَارُ، لو صَدَقْنَا آبَاءَ وَمُعَلِّمِينَ وَمُرَبِّينَ بِأَخْلَاقِنَا وَقُدُوتِنَا لظَهَرَ لَنَا جِيلٌ يَعْلُو فِيهِ الْخَيْرُ على صوتِ الشَّرِّ، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا على رَسولِ الْهُدَى، وإمامِ الْوَرَى، فقد أَمَرَكم رَبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ على نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصحبه أَجْمَعِينَ، وارْضَ اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين، وَالْأئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وعن الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وعنَّا معهم بعفوك وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أعِزِّ الإسلامَ والمسلمين، وانصر عبادَكَ الموحدين الذين يجاهدون

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٩٥).

في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك
باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا
يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما
يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضال المسلمين، اللهم رُدِّهم إليك ردًّا
جميلًا، اللهم ارفع ما نزل من الفتن، اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الاستسلام لقدر الله

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله - عِبَادَ اللَّهِ - حقَّ التقوى، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

إخوتي في الله! الاستسلامُ لله في قضائه وَقَدَرِهِ رُكْنٌ عَظِيمٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَقُوَّةٌ كَبِيرَةٌ فِي النَّفْسِ، لَا تَضَعُفُ مَعَ كِبَرِ السَّنِّ وَانْصِرَامِ الزَّمَانِ، بَلْ هِيَ تَزِيدُ قُوَّةً وَصَلَابَةً كُلَّمَا شَعَرَ الْمُؤْمِنُ بِأَثَرِهَا، وَسِرُّهَا الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ، وَصَلَتْ الْبَشَرِيَّةُ إِلَى حَقِيقَةٍ هِيَ عِنْدُنَا عَقِيدَةٌ، وَقَدْ أَلْفَ فِيهَا كِبَارُ الْمُفَكِّرِينَ الْغَرَبِيِّينَ، وَهِيَ أَنَّ الْإِسْتِجَابَةَ لِلْقَدَرِ بِكُلِّ أَحْوَالِهِ يُعْطِي الْقُوَّةَ وَالطَّمَأْنِينَةَ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يُوقِفُوا لِتَوْحِيدِ الْمَقْدَّرِ جَلَّ وَعَلَا.

وعلى النقيض من ذلك التمرُّدُ على قضاءِ الله، فهو النهايةُ الدنيوية والأخروية، وهذا معنى ما جاء في صحيح مسلمٍ من حديثِ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ

ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ
ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(١)، فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَتَضَاعَفُ غُنْمُهُ
وْخَيْرُهُ وَثَمَرَاتُ أَعْمَالِهِ فِي كُلِّ مَا يَطْرُقُهُ مِنَ السُّرُورِ وَالْمَكَارِهِ.

لهذا تجدد اثني عشر تطرفاً نائبةً من نوائب الخير أو الشرِّ، فَيَتَفَاوَتَانِ تَفَاوُتًا عَظِيمًا
فِي تَلَقُّيْهَا، وَذَلِكَ بِحَسَبِ تَفَاوُتِهَا فِي الْإِيْمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. فَاَلْمُؤْمِنُ يُحْدِثُ لَهُ
السُّرُورَ وَالْإِبْتِهَاجَ، وَزَوَالُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ، وَالْقَلَقِ، وَضِيقِ الصَّدْرِ، وَشَقَاءِ الْحَيَاةِ،
وَتَتِمُّ لَهُ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ فِي هَذِهِ الدَّارِ. فَاَلْمُؤْمِنُ إِذَا ابْتُلِيَ بِمَرَضٍ أَوْ فَقْرٍ، أَوْ نَحْوِهِ مِنْ
الْأَعْرَاضِ الَّتِي كُلُّ أَحَدٍ عُرْضَةٌ لَهَا، فَإِنَّهُ -بِإِيْمَانِهِ وَبِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْقَنَاعَةِ وَالرَّضَى بِمَا
قَسَمَ اللَّهُ لَهُ- يَكُونُ قَرِيرَ الْعَيْنِ، لَا يَتَطَلَّبُ بِقَلْبِهِ أَمْرًا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ، يَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ
دُونَهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، وَرَبَّمَا زَادَتْ بِهِجَتُهُ وَسُرُورُهُ وَرَاحَتُهُ عَلَى مَنْ هُوَ
مُتَحَصِّلٌ عَلَى جَمِيعِ الْمَطَالِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ إِذَا لَمْ يُوْتِ الْقَنَاعَةُ.

فَاَلْمُؤْمِنُ يَتَلَقَّى الْمَكَارَةَ وَالْمُضَارَّ وَالْهَمَّ وَالْغَمَّ بِالْمَقَاوِمَةِ لِمَا يُمْكِنُهُ مَقَاوِمَتُهُ،
وَتَخْفِيفِ مَا يُمْكِنُهُ تَخْفِيفُهُ، وَالصَّبْرَ الْجَمِيلَ لِمَا لَيْسَ لَهُ مِنْهُ بُدٌّ، وَبِذَلِكَ يَحْصِلُ
لَهُ مِنْ أَثَارِ الْمَكَارِهِ مِنَ الْمَقَاوِمَاتِ النَّافِعَةِ، وَالتَّجَارِبِ وَالْقُوَّةِ، وَمِنْ الصَّبْرِ
وَاحْتِسَابِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ أُمُورَ عَظِيمَةً تَضُمُّحِلُ مَعَهَا الْمَكَارَةَ، وَتَحُلُّ مَحَلَّهَا
الْمَسَارَّ وَالْأَمَالَ الطَّيِّبَةَ، وَالطَّمَعُ فِي فَضْلِ اللَّهِ وَثَوَابِهِ.

فَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، يَشْتَرِكَانِ فِي جَلْبِ الشَّجَاعَةِ
الْاِكْتِسَابِيَّةِ، وَفِي الْغَرِيزَةِ الَّتِي تُلَطِّفُ الْمَخَافَ وَتُهَوِّئُهَا، وَلَكِنْ يَتَمَيَّزُ الْمُؤْمِنُ
بِقُوَّةِ إِيْمَانِهِ وَصَبْرِهِ وَتَوَكُّلِهِ عَلَى اللَّهِ وَاعْتِمَادِهِ عَلَيْهِ، وَاحْتِسَابِهِ لثَوَابِهِ. أُمُورًا

تزداد بها شجاعته، وتخفف عنه وطأة الخوف، وتهوّن عليه المصاعب، كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

إن الله جَلَّ وَعَلَا ضرب للمؤمنين أمثالا في التسليم لقضائه بأفضل الخلق، وهم أنبياءه؛ فَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَلَقِيَ مِنَ الشَّدَةِ وَالْبَلَاءِ وَالْمَعَادَةِ وَالِاضْطِهَادِ مَا يَنْوِي بِحَمْلِهِ غَيْرُهُمْ، فَابْتَلُوا بِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْعَظِيمَةِ، وَابْتَلُوا بِالْفَقْرِ، وَبِالْوَحْدَةِ، وَالطَّرْدِ، وَالضَّيْمِ، وَتَسَلَّطِ الْآبَاءِ، وَعُقُوقِ الْأَبْنَاءِ، وَهُمْ أَصْفِيَائُهُ، وَأَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ بَصَرُهُمْ نَالُوا مَا نَالُوا، قَالَ اللَّهُ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فَلَاسْتِسْلَامٌ لِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ عَوَائِدُهُ مُبَارَكَةٌ، وَصَفَقَتُهُ رَابِحَةٌ.

أين هؤلاء المتمرّدون على القضاء بسبب أنهم لا يملكون سيارة أو بيتاً أو وظيفة؟ أأصبح التمرّد على قضاء الله مسوّغاً مُبرّراً عند كثير من الناس، ولو أدّى إلى الانتحار وقتل النفس؟

أين هم من كثير من عباد الله الذين أصابهم البلاء الذي يفطر الأكباد ويُدْمي القلوب، ومع ذلك فهم يتلقّون قضاء الله بالتسليم والاعتراف وادخار أجر المصيبة عند الله؟!

دَعُونَا مِنَ الْمُبَالَغَاتِ وَالتَّعْلِيلَاتِ السَّاذِجَةِ فِي صُورِ الْإِعْتِرَاضِ عَلَى الْقَدَرِ، إِمَّا بِالْكَلَامِ أَوْ الْفِعْلِ، وَالْحَقُّ أَنَّ السَّبَبَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ نَقْصُ الْإِيمَانِ، وَتَسَلَّطُ الشَّيْطَانِ، وَاعْتِرَاضُ عَلَى قَضَاءِ الرَّحْمَنِ، هَذَا هُوَ التَّعْلِيلُ الْحَقِيقِيُّ،

وَمِنْ أَقْبَحِ الْأُمُورِ أَنْ تُسَمَّى الْأُمُورُ بِغَيْرِ مُسَمِّيَاتِهَا، بَلْ وَأَعْظَمُ مِنْهُ أَنْ يُشْتَغَلَ بِالسَّبَبِ وَيُتْرَكَ الْفَعْلُ نَفْسُهُ، وَلَا يُجَرَّم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِهَا مِنْ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى جنّته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أيها المسلمون: إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ أَصْلًا عَظِيمًا وَكَرَّرَهُ فِي كِتَابِهِ، وَهُوَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ وَقَعَ لِلْعَبْدِ فَهُوَ مَكْتُوبٌ وَمَسْطُورٌ فِي كِتَابٍ، لَيْسَ لِلْعَبْدِ سَبِيلٌ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٥٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ أَلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، بَلْ إِنَّهُ كَتَبَ ذَلِكَ كُلَّهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنَا، وَقَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ

ألف سنة، كما روى ذلك مسلمٌ في صحيحه^(١).

أتدرون ما الحكمة من ذلك؟

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْحِكَمِ أَنْ يُسَلَّمَ الْمَرْءُ، وَأَنْ يَقْطَعَ تَفْكِيرَهُ بِقَدْرَتِهِ عَلَى تَغْيِيرِ شَيْءٍ قَدْ وَقَعَ وَانْقَضَى، وَيَقْطَعَ الْحَسْرَةَ الَّتِي هِيَ عُقُوبَةٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَزُ مِنْ بَقْضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، أَوْ مَا تَأَمَّلْتُمْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَاقِيلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

إِذَا وَقَعَ الْمَكْرُوهُ فَإِنَّ الْحَسْرَةَ تَبْدَأُ عِنْدَ مَنْ لَمْ يَسْتَسْلِمِ، وَهِيَ عُقُوبَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ عَاجِلَةٌ مِنَ اللَّهِ، وَيَقُولُونَ: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَاقِيلُوا﴾، وَهَذَا كَذِبٌ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فَالْأَسْبَابُ - وَإِنْ عَظُمَتْ - إِنَّمَا تَنْفَعُ إِذَا لَمْ يُعَارِضْهَا الْقَدَرُ، فَإِذَا عَارَضَهَا الْقَدَرُ لَمْ تَنْفَعْ شَيْئًا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يُمِضِيَ اللَّهُ مَا كُتِبَ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ مِنَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ؛ وَلِهَذَا نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا عَنْ مَعَارِضَةِ الْقَدَرِ، فَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(٢)، وَبِهَذِهِ الرُّوحُ الْمُؤْمِنَةُ تَطْمَئِنُّ النَّفْسُ وَتَرْضَى.

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٤٤، رقم ٢٦٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (٤/٢٠٥٢، رقم ٢٦٦٤).

ولهذا قال عمرُ بنُ عبدِ العزيز: «أصبحت ومالي سرورٌ إلا في مواضع القضاء والقدر»^(١)، الله أكبر، صبره وتحمله ورضاؤه ينقلب سرورًا وانشراح صدر، وهو قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧].

وقد تعجّب ذلك الكاتبُ الغربيُّ من حال المسلمين عندما عاش معهم، وتجلّى له تعاملُ المسلمين مع أقدار الله، فاسمعوا ماذا يقول في مذكراته: «تعلمت من أهل الصحراء كيف أتغلب على القلق، فهم بوصفهم مسلمين يؤمنون بالقضاء والقدر، وقد ساعدتهم هذا الإيمان على العيش في أمان، وأخذ الحياة مأخذًا سهلًا هينًا، فهم لا يتعجلون أمرًا، ولا يُلْقون بأنفسهم بين براثن الهمّ قلقًا على أمر، إنهم يؤمنون بأن ما قدر الله يكون، وأن الفرد منهم لن يُصيبه إلا ما كتبه الله له، وليس معنى ذلك أنهم يتواكلون أو يقفون في وجه الكارثة مكتوفي الأيدي، كلا.. إنني لم أعان شيئًا من القلق قط وأنا أعيش في الصحراء، بل هنالك في جنة الله وجدت السكينة والقناعة والرضا، ولقد أفلحت هذه الطباع التي اكتسبتها من العرب في تهدئة أعصابي أكثر مما تُفلح آلاف المسكنات والعقاقير»، إ.هـ. إن ما ذكره هذا الغربي جزء من ثمار هذا الإيمان الذي يجنيه في الدنيا، فكيف لو علم ما عند الله في الآخرة من الثواب العظيم والجزيل.

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعِبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ اخْتَسَبُهُ، إِلَّا الْجَنَّةُ»^(٢)، وروى

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٨٧)، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز (ص ٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٦١، رقم ٦٠٦٠).

مسلم عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلَفَ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، قالت: ولما تُوفِّي أبو سلمة؛ قلت: ومن خيرٌ من أبي سلمة صاحب رسول الله، ثم عزم الله عليَّ فقلتُها -فما الخلف؟- قالت: فتزوجت رسول الله^(١).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصحبه أجمعين، وارْضَ اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين، وَالْأَيِّمَةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا معهم بعفوك وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أوطاننا، وَأَصْلِحْ أئِمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وفِّقهم لما يرضيك، وجبِّهم معاصيك.

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٣١، رقم ٩١٨).

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] ،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



حلاوة الإيمان

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

مَعَاشِرَ الْمُصَلِّينَ: أَيُّ سَرٍّ عَجِيبٍ يَجْعَلُ الْكَافِرَ يُقْبَلُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَيَتْرُكُ دِينَهُ وَدِينَ أَهْلِهِ؟! بَلْ وَهُوَ يَرَى الْمُسْلِمِينَ وَلِلْأَسْفِ مُنْكَسِرِينَ بِقُوَّتِهِمْ وَاقْتِصَادِهِمْ؟! بَلْ إِنَّ الْقُوَّةَ الْمَادِيَّةَ لَدِيَانَاتِهِمْ، وَلَكِنَّ عَجَبَكَ يَتَلَاشَى حِينَمَا نَتَذَكَّرُ أَنَّ لِلْإِيمَانِ حَلَاوَةً وَطَعْمًا لَا يَدَانِيهَا حَلَاوَةٌ، وَلَهُ مَذَاقٌ لَا يَسَاوِيهِ مَذَاقٌ.

يُذَكِّرُنَا هَذَا السَّرُّ بِقِصَّةِ السَّحَرَةِ مَعَ فِرْعَوْنَ، كَانُوا قَبْلَ لِحَظَاتِ رُؤُسَاءِ وَأَسْيَادَاءِ، وَقَدْ تَبَوَّأُوا مِنَ الْمَكَانَةِ أَعْلَاهَا، فَهَمَّ الْمَقْدَّمُونَ الْمَهَابُونَ؛ فَلَمَّا عَرَفُوا الْإِيمَانَ وَرَأَوْا مِنَ الْآيَاتِ مَا رَأَوْا، ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنِينَ﴾ (٤٦) ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٧) ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الشعراء: ٤٦ - ٤٨]، اسْتَغْرَبَ فِرْعَوْنُ ذَلِكَ مِنْهُمْ لِأَدْبِهِمْ مَعَهُ، وَذُكِّلَتْهُمْ وَانْقِيَادِهِمْ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَجَعَلَ هَذَا مِنْ ذَاكَ:

﴿قَالَ﴾ فرعون للسحرة: ﴿ءَامِنْتُمْ لِي قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الشعراء: ٤٩]، كيف أقدمتُم على الإيمان من دون مُراجعةٍ مِنِّي ولا إِذْنٍ؟ ثم توعَّدهم فقال: ﴿لَأُفْطِنَنَّ أَيَدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ [الشعراء: ٤٩]، توعَّد بأن يقطع اليدَ اليمنى ورجله اليسرى، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلِنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧١]، لكنَّ السَّحرة لما عرفوا الحقَّ ورزقهم الله من العُقل ما يُدرِكون به الحقائق أجابوه بقولهم: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [طه: ٧٢]، أي: لن نختارك وما وعدتنا به من الأجر والتقريب على ما أَرانا الله من الآيات البينات الدالَّات، على أنَّ الله هو الرُّبُّ المعبود وحده، المعظمُ المبجلُ وحده، وأن ما سواه باطل، ونُؤثِّرَكَ على الَّذي فَطَرْنَا وَخَلَقْنَا هذا لا يكون، ﴿فَأَقْضَ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢]، مما أُوْعِدْتَنَا به من القطع والصلب والعذاب.

﴿إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢]، أي: إنما تُوعِدُنَا به غاية ما يكون في هذه الحياة الدنيا ينقضي ويزول ولا يضرُّنا؛ بخلاف عذاب الله لمن استمرَّ على كُفْرِهِ؛ فإنه دائم عظيم، ﴿إِنَّمَا ءَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِئَاتِنَا﴾ [طه: ٧٣]، أي: كُفْرُنَا ومَعَاصِيُنَا؛ فإن الإيمان مُكَفِّرٌ للسيئات.

وفي صحيح البخاريَّ عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في حديث هِرقل أنه قال لأبي سُفْيَانَ ومن معه: وسألتك أيرتدُّ أحدٌ -أي: من المسلمين- سَخَطَةً لدينه، بعد أن يَدْخُلَ فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمانُ حين يخالطُ بِشَاشَتُهُ القلوب^(١).

إنَّ السِّرَّ العجيبَ في هذا -معشَرَ الإِخْوَةِ- هو هذه الحلاوةُ الإيمانيَّةُ

(١) أخرجه البخاري (١/٢٨، رقم ٥١).

التي يجد طعمها مَنْ رَضِيَ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ نبيًّا، كما رواه مسلمٌ في صحيحه، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»^(١).

وهذا الطَّعْمُ ليس كأيِّ طعم، بل له حلاوةٌ عجيبةٌ كما أخبر الصادق المصدوق، كما في الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ - زاد النسائي (٢): وطعمه -: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ»^(٣)، قال المباركفوري: «قال العلماء: معنى حلاوة الإيمان استلذاذه الطاعات، وتحمُّله المشاق في رضى الله ورسوله، وإيثار ذلك على عرض الدنيا»^(٤).

فإذا اتَّصَفَ العبدُ بهذه الصِّفَات، وتقرَّبَ إلى الله تعالى بالطَّاعاتِ فلا شكَّ أنه سيجِدُ حلاوةَ الإيمان، كما أخبر الصادقُ المصدوقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذَّةُ الإيمان لا تُشبه لذَّةَ الحرام، لأنَّ لذَّةَ الإيمانِ لذَّةٌ قلبيةٌ رُوحِيَّةٌ، أمَّا لذَّةُ الحرامِ فهي لذَّةٌ شهوانِيَّةٌ جسدِيَّةٌ، وَيَعْقُبُهَا مِنَ الْآلَامِ وَالْحَسَرَاتِ أَضْعَافُ

(١) أخرجه مسلم (١/٦٢، رقم ٣٤).

(٢) أخرجه النسائي (٨/٩٦، رقم ٤٩٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (١/١٤، رقم ١٦)، ومسلم (١/٦٦، رقم ٤٣).

(٤) تحفة الأحوذى (٧/٣١٢).

ما نال صاحبها من المتعة، والله درُّ من قال ^(١):

تَفْنَى اللَّذَازَةُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا مِنْ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغْبَتِّهَا لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

للإيمان طعمٌ يفوق كلَّ الطُّعوم، وله مذاقٌ يعلو على كلِّ مذاقٍ، ونشوةٌ دونها كلُّ نشوة، حلاوةُ الإيمان حلاوةٌ داخليةٌ في نفسٍ رَضِيَّةٍ، وسكينةٌ قلبيةٌ، تسري سريان الماء في العُود، وتجري جريان الدَّماءِ في العُرُوق، لا أرقُّ، ولا قلقٌ، ولا ضيقٌ ولا تضيقٌ، بل سعةٌ ورحمةٌ، ورضىٌ ونعمةٌ: ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٧٠]. و﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

الإيمان بالله هو سكينة النفس، وهداية القلب، وهو منارُ السالكين، وأملُ اليائسين، إنه أمانُ الخائفين ونُصرةُ المجاهدين، وهو بُشْرَى الْمُتَّقِينَ ومنحةُ المحرومين.

الإيمان هو أبو الأمل، وأخو الشجاعة، وقرينُ الرجاء، إنه ثقة النفس، ومجدُّ الأمة، وروحُ الشعوب.

وأولُ منافذِ الوصول إلى حلاوةِ الإيمان وطعمِ السعادة الرضى بالله عز وتبارك ربًّا مدبرًا؛ فهو القائم على كل نفسٍ بما كسبت، رحمنُ الدنيا والآخرة ورحيمُهما، قيومُ السماوات والأرضين، خالقُ الموت والحياة والأكوان، مُسَبِّغ

(١) البيتان في الآداب الشرعية (٢/ ٢٢٧)، شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٥١٦، وقد نسبها بعضهم لعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

النَّعَم، يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ، وَكَاشَفُ السُّوءِ، ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، سَوَّى الْإِنْسَانَ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، أَطْعَمَهُ مِنْ جُوعٍ، وَكَسَاهُ مِنْ عُرْيٍ، وَأَمَنَهُ مِنْ خَوْفٍ، وَهَدَاهُ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَعَلَّمَهُ مِنْ بَعْدِ جَهَالَةٍ.

إِيْمَانٌ بِاللَّهِ تَسْتَسْلِمُ مَعَهُ النَّفْسُ لِرَبِّهَا، وَتَنْزِعُ إِلَى مَرْضَاتِهِ، تَتَجَرَّدُ عَنْ أَهْوَائِهَا وَرَغْبَاتِهَا، تَعْبُدُهُ سَبْحَانَهُ وَتَرْجُوهُ، تَخَافُهُ وَتَتَبَتَّلُ إِلَيْهِ، بِيَدِهِ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، رَضِيَ بِاللَّهِ، وَيَقِينُ يَدْفَعُ الْعَبْدَ إِلَى أَنْ يُمَدَّ يَدَيْهِ مَتَضَرَّعًا مُخْلِصًا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِكَ مِنْكَ، لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(١).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشِمْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تَعْظِيمًا لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ

(١) أخرجه مسلم (١/٣٥٢، رقم ٤٨٦).

ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَتِي فِي اللَّهِ: وما أعجبَ قِصَّةَ ذلك الأمريكيِّ، وكان من طبقة الأثرياء، جاء إلى أحد المراكز الإسلامية بعد أن قرأ عن الإسلام، وتعرَّف عليه، وأراد أن يدخل في هذا الدين، فلما جاء إلى إمام المركز وطلب منه أن يُلقِّنه الشهادتين، فلما قال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»، كرَّرها أكثر من مرَّة، فقال له الإمام: لم كرَّرتها، وبماذا شعرت؟ فقال هذا الأمريكيُّ: بل أنا أسألك ما السر الذي وضعتموه في هذه الكلمة؟ فمِنذ أن وُلِدْتُ بالنعيم لم أشعر بقشعريرة، ولم أحس بمثل ما شعرتُ به مع هذه الكلمة.

ولا غرو ولا عجب، فمذاقُ الرضى بالإسلام دينًا، طيبٌ حُلُوٌّ، دينٌ من عند الله أنزله على رسوله، ورَضِيَه لعباده ولا يقبل دينًا سواه.

اسمعوا إلى هذا التجسيدِ العجيبِ لِلرَّضَى بِدينِ الله؛ غضبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على زوجته عاتكة، فقال لها: والله لأسوأَنكِ. فقالت له: أَسْتَطِيعُ أن تصرفني عن الإسلام، بعد إذ هداني الله إليه؟ فقال: لا. فقالت: أَيُّ شَيْءٍ يَسُوؤُنِي إِذْنُ؟! ^(١) الله أكبر... إنها واثقة مطمئنة راضية مستكينَّة، ما دام دينُها محفوظًا عليها حتى ولو صَبَّ البلاء عليها صَبًّا.

بل إنَّ إزهاقَ الرُّوحِ مُستطابٌ في سبيلِ الله، على أي جنبٍ كان في الله

(١) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٢٢١).

المصرع، ومذاق الرضى بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ونبيا.

محمد الناصح الأمين، والرحمة المهداة، والأسوة الحسنة، فلا يُنازعه بشر في طاعة، ولا يُزاحمه أحد في حكم: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]، الرضى بمحمد صلى الله عليه وسلم اهتداءً واقتداءً، وبسته استضاءةً وعملاً.

أيها الإخوة، إذا صحَّ الإيمان ووقر في القلب فاض على الحياة، فإذا مشى المؤمن على الأرض مشى سويًا، وإذا سار سار تقيًا، ريحانة طيبة الشذى، وشامة ساطعة الضياء. حركاته وسكناته إيمانية مستكينة: «فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي عَلَيْهَا، وَلَئِنْ سَأَلْنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيدَنَّهُ»^(١).

من ذاق حلاوة الإيمان طاب عيشه، وعرف طريقه، ومن عرف طريقه سار على بصيرة، ومن سار على بصيرة نال الرضى وبلغ المقصد، نعم... يمضي في سبيله لا يُبالي بما يلقى، فبصره وفكره متعلق بما هو أسمى وأبقى، ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) ﴿أَرْجِعْنِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً﴾ [الفجر: ٢٧ - ٢٨]. ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

قال ابن رجب: «الإيمان له حلاوة وطعم يُذاق بالقلوب، كما يُذاق حلاوة الطعام والشراب بالفم، فإنَّ الإيمان هو غذاء القلوب وقوتها كما أنَّ

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٨٤، رقم ٦١٣٧).

الطعامَ والشرابَ غذاءَ الأبدانِ وقوتُها، وكما أن الجسدَ لا يجدُ حلاوةَ الطعامِ والشرابِ إلا عند صحته، فإذا سقم لم يجد حلاوةَ ما ينفعه من ذلك، بل قد يستحلي ما يضره، وما ليس فيه حلاوةٌ لغلبة السقم عليه، فكذلك القلبُ إنما يجد حلاوةَ الإيمانِ إذا سلِمَ من مرض الأهواء المضلّة، والشّهواتِ المحرّمة، وجَدَ حلاوةَ الإيمانِ حينئذٍ، ومتى مرضَ وسقم لم يجد حلاوةَ الإيمانِ، بل يستحلي ما فيه هلاكه من الأهواء والمعاصي، ومن هنا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(١)، لأنّه لو كَمُلَ إيمانه لَوَجَدَ حلاوةَ الإيمانِ، فاستغنى بها عن استحلاء المعاصي»^(٢).

ثمَّ صلُّوا وسلِّموا على رسولِ الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلِّ وسلِّم على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضَ اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكرٍ وعمرَ وعُثمانَ وعليٍّ، وعن الصحابة أجمعين، وعنّا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٩٧ رقم ٦٤٢٤)، ومسلم (١/ ٧٧، رقم ٥٧).

(٢) فتح الباري لابن رجب (١/ ٤٥).

اللَّهُمَّ آمِنًا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلَحَ أَيْمَتِنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفَّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الساعة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِهَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله أيها المسلمون حق تقاته، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ أَنَّ النَّاسَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوَآلًا، وَأَلْحَوْا فِي تَكَرَّارِهِ، وَلَا زَالَ هَذَا السَّوَالُ يُكَرَّرُ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ، أَوْ يَأْخُذُ تَفْكِيرَهُ وَهُوَ...

متى الساعة؟

قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفِهَا إِلَّا هُوَ نُفِثَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

فَهُمْ يَسْأَلُونَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ السَّاعَةِ: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ متى وقتها الذي تجيء به، ومتى تحلُّ بالخلق؟ ومُرْسَاهَا أي: وَقُوعُهَا. فأمر الله نبيه أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾، فهو تعالى مَخْتَصٌّ بِعِلْمِهَا، ﴿لَا يُجِيبُهَا لَوْفِهَا إِلَّا

هُوَ ﴿﴾، وقوله: ﴿﴾ تَقُلَّتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿﴾ أي: خَفِيَ عِلْمُهَا عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَا خَفِيَ فَهُوَ ثَقِيلٌ، فَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مَشْفُقُونَ.

وقد أخبر الله أَنَّ السَّاعَةَ تَأْتِي بَغْتَةً، فقال: ﴿﴾ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴿﴾، أي: فجأةً من حيث لا تشعرون، لم يستعدُّوا لها، ولم يتهيأوا لقيامها. وتأملوا قوله: ﴿﴾ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا ﴿﴾، أي: هم حريصون على سؤالك عن الساعة، كَأَنَّكَ مُسْتَحْفٍ عَنْ السُّؤَالِ عَنْهَا، ولم يعلموا أَنَّك -لكمالِ عِلْمِكَ بِرَبِّكَ، وما ينفع السُّؤَالُ عنه- غيرُ مبالٍ بالسُّؤَالِ عَنْهَا، ولا حريصٍ على ذلك، فلم لا يقتدون بك، ويكفون عن الاستحفاء عن هذا السُّؤَالِ الْخَالِي مِنَ الْمَصْلَحَةِ الْمُتَعَدِّرِ عِلْمُهُ، فإنه لا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب.

وَهِيَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَخْفَاهَا اللَّهُ عَنِ الْخَلْقِ، لِكَمَالِ حِكْمَتِهِ وَسِعَةِ عِلْمِهِ.

﴿﴾ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿﴾ فلذلك حَرَصُوا عَلَى مَا لَا يَنْبَغِي الْحَرَصُ عَلَيْهِ، وَخُصُوصًا مِثْلَ حَالِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتْرَكُونَ السُّؤَالَ عَنِ الْأَهَمِّ، وَيَدْعُونَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعِلْمِ، ثُمَّ يَذْهَبُونَ إِلَى مَا لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ أَنْ يُذَرِّكَهُ، وَلَا هُمْ مُطَالِبُونَ بِعِلْمِهِ»^(١).

قال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿﴾ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا ﴿﴾: «أي: عالم بها، كثير السُّؤَالِ عَنْهَا. والحفيُّ المُسْتَقْصِي فِي السُّؤَالِ. قال محمد بن يزيد:

(١) تفسير السعدي (ص: ٣١٠).

يسألونك كأنك حفي بالمسألة عنها، أي: مُلِحٌّ^(١).

فلم يكن من هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الانشغال بهذا السؤال، ولا السؤال عنه؛ لأن علمه مما قُطِعَ عنه وعنّا.

وتأملوا قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾^(٤٢) ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾^(٤٣) إِلَى رَيْكَ مِنْهَا^(٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا^(٤٥) كَانَتْ يَوْمَ يَوْمِهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عِشِيَّةً أَوْ صُحْحًا^(٤٦) [النازعات: ٤٢ - ٤٦].

فالله يُخَبِّرُ عن سؤالهم وتعتيهم، فأجابهم الله بقوله: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾^(٤٣) ، قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾^(٤٣) : «أي: ما الفائدة لك ولهم في ذِكْرِهَا، ومعرفة وقت مجيئها؟ فليس تحت ذلك نتيجة، ولهذا لما كان عِلْمُ العباد للساعة ليس لهم فيه مصلحة دينية ولا دنيوية، بل المصلحة في خفائه عليهم، طوى علم ذلك عن جميع الخلق، واستأثر بعلمه فقال: ﴿إِلَى رَيْكَ مِنْهَا﴾^(٤٤) أي: إليه ينتهي علمها، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا﴾^(٤٥) أي: إنما نذارتك [نفعها] لمن يَخْشَى مجيء الساعة، ويخاف الوقوف بين يديه، فهم الذين لا يهتمهم سوى الاستعداد لها والعمل لأجلها. وأما من لا يؤمن بها، فلا يُبالي به ولا بتعتيته، لأنه تعتت مبني على العناد والتكذيب، وإذا وصل إلى هذه الحال، كان الإجابة عنه عبثاً، يُنَزِّه الحكيم عنه^(٢).

وقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ أَنَّ عِلْمَ الساعة عنده لا يعلمه مَلَكٌ مقرب ولا نبيُّ مرسل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال: ﴿إِنَّ

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٣٣٦).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٩١٠).

السَّاعَةَ ءَايَةً أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴿١٥﴾ [طه: ١٥]، وإنَّا أخفى الله وقتها لحكمة عظيمة، وهي دفعُ النَّاسِ إلى العملِ باستمرارٍ؛ حتى لا يتوانوا أو يتكاسلوا لعلمهم بوقوعها.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا إِنِهِمْ ضَعُفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُومِ لَعَنَّا كِيرًا ﴿٦٨﴾ [الأحزاب: ٦٣ - ٦٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئة، فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكْرُ على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله؛ تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: إن القضية الكبيرة ليست هي معرفة وقوع الساعة، وإنها القضية هي: مَا أَعَدَدْتَ لها؟ وهذه هي إجابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا

أَلَحَّ عَلَيْهِ السُّؤَالُ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ؟ قَالَ: «وَيْلَكَ! وَمَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟» قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قَالَ: «إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحَبَّتْ»، فَقُلْنَا: وَنَحْنُ كَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ فَفَرَحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا^(١).

فَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلَكَ» دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذَا السُّؤَالَ وَانْشَغَالَ الذَّهْنِ بِهِ مِنَ الْعَبَثِ وَمِنَ الْكَسَلِ، بَلِ التَّفَكِيرُ الْجَادُّ وَالْحَقِيقِيُّ وَالْمُثْمِرُ هُوَ بِالْإِعْدَادِ لَهَا وَالتَّزَوُّدِ لِلْآخِرَةِ.

وَنَحْنُ فِي زَمَنِ شُغْلِ النَّاسِ فِيهِ بِالْحَدِيثِ عَنِ الْقِيَامَةِ وَأَشْرَاطِهَا، فَبَيْنَمَا تَرَى الْإِنْسَانَ مَقْصَّرًا فِي عِبَادَتِهِ وَفِي وَاجِبَاتِهِ، تَرَاهُ قَدْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ بِالسُّؤَالِ وَالبَحْثِ عَنِ السَّاعَةِ وَعِلَامَاتِهَا، بَلْ رَأَيْنَا مَنْ تَرَكَ أُمُورَهُ الْحَيَاتِيَّةَ حِينَمَا رَأَى الْأَحْدَاثَ وَالْفِتَنَ بَدَأَ يُفَسِّرُهَا بِقُرْبِ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَتَرَكَ مَعِيشَتَهُ وَأَتَعَبَهُ الْوَسْوَاسَ وَالتَّفَكِيرَ؛ حَتَّى قَضَى عَلَى نَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِهِ، وَمَا عَلِمَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يُمَكِّنُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ، وَقَدْ تَصَوَّرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي عَصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ -تَبَعًا لِأَدْلَةٍ فَهَمُّوْهَا- أَنَّ السَّاعَةَ قَدْ آذَنْتْ فِي وَقْتِهِمْ.. ثُمَّ مَضَى بَعْدَ وَقْتِهِمْ مِائَتُ السِّنِينَ.. وَلَا تَزَالُ السَّاعَةُ غَيْبًا مِنْ غَيْبِ اللَّهِ لَمْ يَعْلَمْهُ أَحَدٌ.

وَإِذَا كَانَتْ سَاعَةُ الْإِنْسَانِ تَحِينُ إِذَا مَاتَ؛ فَلَمَّاذَا تَشْغُلُ نَفْسُكَ بِ«سَاعَةِ الدُّنْيَا كُلِّهَا»!!؟ لَيْسَ لِأَحَدٍ مَهْمَا كَانَ أَنْ يَجْزِمَ بِوَقْتِ خُرُوجِ عِلَامَةٍ مِنْ

(١) أخرجه البخاري (٥/٢٢٨٣، رقم ٥٨١٥)، ومسلم (٤/٢٠٣٣، رقم ٢٦٣٩).

علامات الساعة؛ لأن هذا غيبٌ لا تدركُهُ الأذهان، وقد حاول بعضُ الكتابِ التنبؤَ ببعض ذلك، ثُمَّ ظهر كَذِبُهُ، أو جهْلُهُ.

والمجْزُومُ بِهِ أَنَّهُ مِنْذُ بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسَّاعَةُ قد قُربت؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصحيحين: «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»^(١)، بل قال الله: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]؛ فَالسَّاعَةُ قَرِيبَةٌ، وَلَكِنْ يَبْقَى الْعَمَلُ.

وكم رَأَيْنَا مِنْ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ فِكْرَةُ الْمَهْدِيِّ، وَأَنَّهُ الْمَهْدِيُّ الْمُنْتَظَرُ!

وكم ادَّعَاهَا مِنْ أَنْاسٍ، فَهَاتُوا وَمَا بَقُوا! وَالْمَهْدِيُّ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ.

وَمِنْ الْعَجِيبِ أَنْ مُدَّعِي الْمَهْدِيِّ كَثِيرًا مَا تَتَلَبَّسُ هَذِهِ الدَّعْوَى بِمَرْضَى النَّفُوسِ، وَمَنْ أُصِيبَ بِأَمْرَاضٍ نَفْسِيَّةٍ، أَوْ كَانَ مِمَّنْ يَتَنَاوَلُ أُمُورًا مُحَرَّمَةً، حَتَّى يَأْتِيَ بِمِثْلِ هَذِهِ الدَّعَاوَى الْبَاطِلَةِ، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَسْمَعُ مَنْ يَدَّعِي هَذِهِ الدَّعْوَى الْبَاطِلَةَ.

ثُمَّ إِنَّ التَّعَلُّقَ بِمِثْلِ هَذِهِ إِنَّمَا هُوَ تَعَلُّقُ الْعَجْزَةِ؛ فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَمَرَنَا بِرَفْعِ الدِّينِ، مُنْذُ عَهْدِ الصَّحَابَةِ، وَأَمَرَنَا بِالْعَمَلِ وَالْجِدِّ وَالتَّزَوُّدِ لِلْآخِرَةِ، فَهَذَا هُوَ الْحَزْمُ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُم رُبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ أَبِي

(١) أخرجه البخاري (٢٣٨٥/٥)، رقم (٦١٣٩)، ومسلم (٢٢٦٨/٤)، رقم (٢٩٥١).

بكرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعليٍّ، وعنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ
يا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَاَنْصُرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ أَنْصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] ،
فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُواهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فضل الوضوء

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

مَعَشَرَ الْمُصْلِينَ، عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ أَخْبَرَ عَنْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهَا تَعْدِلُ نِصْفَ الْإِيمَانِ، نَزَاوِلُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ، أَلَا وَهِيَ عِبَادَةُ الْوُضُوءِ وَالتَّطَهُّرِ، قَالَ عَنْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»^(١). وَفِي رَوَايَةٍ: «الْوُضُوءُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»^(٢).

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شَرَفِهَا وَعِظَمِهَا، فَلَمْ يَرِدْ عِبَادَةٌ وَصَفَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْوَصْفِ، وَلِهَذَا عَظُمَ ثَوَابُ هَذِهِ الْعِبَادَةِ، كَمَا فِي صَحِيحِ

(١) أخرجه مسلم (٢٠٣/١)، رقم (٢٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٣٥/٥)، رقم (٣٥١٧)، والنسائي (٥/٥)، رقم (٢٤٣٧)، وابن ماجه

(١٠٢/١)، رقم (٢٨٠).

مُسْلِمٌ عَنْ عِثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَطَهَّرُ، فَيَتِمُّ الطُّهُورَ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخُمْسَ، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَاتٍ لِمَا بَيْنَهَا»^(١).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»^(٢).

فانظر إلى هذه العبادة التي اشتملت على كلمة التوحيد فتحت للعبد أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء، مع أن كثيراً من العبادات تشتمل على كلمة التوحيد.

ولهذا قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «فَإِذَا كَانَ الْوُضُوءُ مَعَ الشَّهَادَتَيْنِ مُوجِبًا لِفَتْحِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، صَارَ الْوُضُوءُ نِصْفَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ».

ولهذا ذكر الله الضوء وصفته في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا

(١) أخرجه مسلم (١/٢٠٧)، رقم (٢٣١).

(٢) أخرجه مسلم (١/٢٠٩)، رقم (٢٣٤).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/١٢).

فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ [المائدة: ٦].

وآية المائدة هذه من أعظم آيات القرآن مسائِل، وأكثرها أحكاماً في العبادات، ويحق ذلك، فإنها في الوضوء، وهو شرط الإيمان.

قال أبو بكر بن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «لَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ فِيهَا أَلْفَ مَسْأَلَةٍ، وَاجْتَمَعَ أَصْحَابُنَا بِمَدِينَةِ السَّلَامِ فَتَتَبَعُوهَا فَبَلَّغُوهَا ثَمَانِيَةَ مَسْأَلَةٍ، وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُبَلِّغُوهَا الْأَلْفَ، وَهَذَا التَّبَعُ إِنَّمَا يَلِيْقُ بِمَنْ يُرِيدُ تَعْرِيفَ طُرُقِ اسْتِخْرَاجِ الْعُلُومِ مِنْ خَبَايَا الزَّوَايَا».

ولِعَظَمِ هَذَا الْوُضُوءِ جَعَلَهُ اللَّهُ شَرْطاً لِلصَّلَاةِ، كما جاء في الصحيحين: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»^(٢).

وروى مسلمٌ في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ»^(٣).

إذا جاء يومُ القيامةِ، واختَلَطَتِ الْأُمَمُ، اُمْتَارَتْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالوضوء.

فَعَنْ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ فَكَانَ

(١) أحكام القرآن، لابن العربي (٤٧/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣/١)، ومسلم (٢٠٤/١)، رقم (٢٢٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٤/١)، رقم (٢٢٤).

يَمُدُّ يَدَهُ حَتَّى تَبْلُغَ إِبْطَهُ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا هَذَا الْوُضُوءُ؟ فَقَالَ: يَا بَنِي فَرُوحَ أَنْتُمْ هَاهُنَا؟ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ هَاهُنَا مَا تَوَضَّأْتُ هَذَا الْوُضُوءَ، سَمِعْتُ خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تَبْلُغُ الْحَلِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ، حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ». رواه مسلم^(١).

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤَذَّنُ لَهُ بِالسُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤَذَّنُ لَهُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظُرَ إِلَى بَيْنِ يَدَيْ، فَأَعْرِفَ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، وَمَنْ خَلْفِي مِثْلُ ذَلِكَ، وَعَنْ يَمِينِي مِثْلُ ذَلِكَ، وَعَنْ شِمَالِي مِثْلُ ذَلِكَ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَعْرِفُ أُمَّتَكَ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ فِيمَا بَيْنَ نُوحٍ إِلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: «هُمْ غُرٌّ مُحْجَلُونَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، لَيْسَ أَحَدٌ كَذَلِكَ غَيْرُهُمْ، وَأَعْرِفُهُمْ أَتَمَّهُمْ يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَعْرِفُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ». رواه الإمام أحمد، وأصله في الصحيحين^(٢).

والوضوء سبب لتكفير الذنوب والخطايا، كما روى مُسْلِمٌ عَنْ عِثَانَ بْنِ عِفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٌ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ، وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ»^(٣).

ومن أعظم فضائل الوضوء أنه مُضْعَفٌ لِتَسَلُّطِ الشَّيْطَانِ عَلَى ابْنِ آدَمَ، ولهذا شَرَعَ الْوُضُوءَ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَهُوَ جَمْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ يَضَعُهَا فِي قَلْبِ الْعَبْدِ.

(١) أخرجه مسلم (١/٢١٩)، رقم (٢٥٠).

(٢) أخرجه أحمد (٥/١٩٩)، رقم (٢٢٠٨٠).

(٣) أخرجه مسلم (١/٢٠٦)، رقم (٢٢٨).

وكذلك شُرِعَ قَبْلَ النومِ، لأنَّ النَّائمَ في غفلةٍ.

وشُرِعَ بَعْدَ أَكْلِ لَحْمِ الْإِبْلِ، لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ جَنٍّ^(١)، وَلِأَنَّ الشَّيْطَانَ مُصَاحِبٌ لِمَآرِكِهَا وَظُهُورِهَا^(٢).

مَنْ حَافِظٌ عَلَى هَذَا الْوُضُوءِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنَّهُ جَدِيرٌ أَنْ يَتَصَفَّ بِالْإِيمَانِ.

وَمِنْ هُنَا نَعْلَمُ قَوْلَ الرَّسُولِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ثَوْبَانٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «اسْتَقِيمُوا، وَلَكِنْ تَخْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»^(٣). رَوَاهُ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهٍ وَالدَّرَامِيُّ.

فَمَا بِالْكُمُ عِبَادَ اللَّهِ بِمَنْ لَا يُحَافِظُ عَلَى الصَّلَاةِ؟! أَتُرَوْنَهُ يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ؟!!

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) دَلِيلُهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلُّوا فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، وَلَا تُصَلُّوا فِي أَغْطَانِ الْإِبْلِ، فَإِنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ الشَّيَاطِينِ». أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهٍ (١/٢٥٣، رَقْمُ ٧٦٩).

(٢) دَلِيلُهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُصَلُّوا فِي مَبَارِكِ الْإِبْلِ، فَإِنَّهَا مِنَ الشَّيَاطِينِ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١/٤٧، رَقْمُ ١٨٤).

(٣) أَخْرَجَهُ مَالِكٌ (١/٣٤، رَقْمُ ٣٦)، وَأَحْمَدُ (٥/٢٧٦، رَقْمُ ٢٢٤٣٢)، وَابْنُ مَاجَهٍ (١/١٠١، رَقْمُ ٢٧٧)، وَالدَّرَامِيُّ (١/١٧٤، رَقْمُ ٦٥٥).

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله؛ تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنّته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه، أمّا بعد:

مَعَشَرَ المصلين، ولئن كان هذا الوضوء بهذه المثابة، فعلى العبد أن يُحْيِي وَضوءَهُ، وأن يُتِمَّهُ، ويعتني به.

وبهذا يُعْلَمُ خطأ بعض الناس حينما يمسح أعضاء الوضوء مَسْحًا لَا يَسِيلُ الْمَاءُ عَلَى يَدِهِ إِمَّا خَوْفًا مِنَ الْبَرْدِ، أَوْ خَشْيَةً أَنْ يَتَأَثَّرَ الثَّوبُ وَالْمَلَابِسُ، فَبِهَذَا خَطَأً عَظِيمًا، والوضوء لَا يُجْزِئُ، فَمِنْ شَرَطِ الْوُضُوءِ الْغُسْلُ، وَهُوَ أَنْ يَسِيلَ الْمَاءُ عَلَى الْعُضْوِ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَجَعْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَاءِ الطَّرِيقِ، تَعَجَّلَ قَوْمٌ عِنْدَ الْعَصْرِ، فَتَوَضَّؤُوا وَهُمْ عِجَالٌ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ وَأَعْقَابُهُمْ تَلُوحُ لَمْ يَمْسَسْهَا الْمَاءُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ، أَسْبَغُوا الْوُضُوءَ»^(١).

وَمِنَ الْأَخْطَاءِ فِي الْإِسْبَاغِ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ حِينَما يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، فَإِنَّهُ يَبْدَأُ بِغَسْلِهَا مِنْ كُوعِهِ، أَيْ أَنَّهُ لَا يُدْخِلُ الْكَفَّ وَالْأَصَابِعَ فِي الْغُسْلِ.

وَالْوَاجِبُ أَنْ يَبْدَأَ بِغَسْلِهِ مِنْ بَدَايَةِ أَصَابِعِهِ، فَإِنْ قَالَ: إِنِّي قَدْ غَسَلْتُ

(١) أخرجه مسلم (١/٢١٤)، رقم (٢٤١).

الكفّ والأصابع في أول الوضوء. نقول: إن هذا الغسل للكفّ من سنن الوضوء، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]، واليد تبدأ من الأصابع، فعليه أن يُعيد غسل كفيه مع يديه إلى مرفقيه في الوضوء، ولا يكفي بغسلها أول مرّة.

وإذا كان على اليد أو غيرها من أعضاء الوضوء جرح يُضُرُّه الغسل، فلا يغسله، فإن وُضع عليه دواء، أو خرقة، فيجب أن يكون ذلك بقدر الحاجة.

وأما يفعلُه بعض الناس من أنه إذا كان جرح في رأس إصبعه، فإنه يشد خرقة على إصبعه كلّ من غير حاجة، فهذا لا يجوز، بل عليه أن يكون بقدر حاجته، ثم بعد ذلك يمسح عليه عند الوضوء، ولا يحتاج إلى التيمم بعد ذلك.

عباد الله، وكما أن الوضوء يُطردُّ به الشياطين، فإن الوضوء مرّعة خصبٌ يحول الشيطان من خلاله على قلوب بني آدم.

يقول إبراهيم التيمي رحمه الله^(١): «كَانَ يُقَالُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يَبْدَأُ الْوَسْوَاسُ، مِنْ قَبْلِ الطَّهُّورِ».

ويقول الحسن البصري رحمه الله^(٢): «شَيْطَانُ الْوُضُوءِ يُدْعَى الْوَلَهَانُ يَضْحَكُ بِالنَّاسِ فِي الْوُضُوءِ».

(١) الطهور، للقاسم بن سلام، رقم (١٢٤).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١/٣٠٤، رقم ٩٥٠).

فترى أحدهم إذا جاء للوضوء لعب به الشيطان، فجعل يخلط عليه نيته، يقول: أرفع الحدث؟ لا، بل أستعد للصلاة، لا بل أتطهر، إلى غير ذلك من ألفاظ يلبس بها الشيطان على أهل الوضوء، بل ربما فات الإنسان وقت الصلاة، وهو لا يزال في معركة وضوئه، يتوضأ أحدهم بكميات كبيرة من الماء، ولا زال يسأل في نفسه: أبلغ الماء إلى جميع مواضع الوضوء أم لا؟!

وقد روى أحمد وغيره أنه جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الوضوء، فأراه الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: «هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم»^(١).

وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن المغفل رضي الله عنه أنه سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض، عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: أي بني، سل الله الجنة، وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء»^(٢).

ثم صلوا وسلموا على رسول الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صل وسلم على نبينا محمد، وعلى آله

(١) أخرجه أحمد (١٨٠/٢)، رقم ٦٦٨٤، وأبو داود (٣٣/١)، رقم ١٣٥، والنسائي (٨٨/١)، رقم ١٤٠، وابن ماجه (١٤٦/١)، رقم ٤٢٢.

(٢) أخرجه أحمد (٨٦/٤)، رقم ١٦٨٤٢، وأبو داود (٢٤/١)، رقم ٩٦، وابن ماجه (١٢٧١/٢)، رقم ٣٨٦٤.

وصحبه أجمعين، وارْضَ اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين، وَالْأئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي
بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وعنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا معهم بعفوك وكرَمِك
يا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزِّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون
في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك
باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا
يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا في أوطاننا، وأُصْلِحْ أَمْتَنَا وُؤَلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وفِّقهم لما
يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدِّهم إليك ردًّا
جميلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الصلاة تُكْفِرُ الْخَطَايَا

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَامْتَثِلُوا أَمْرَهُ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ مَنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣﴾ [الروم: ٣١].

مَعَشَرِ الْإِخْوَةِ، رَأَيْنَا أَنْفُسَنَا كَيْفَ تَتَوَقَّ إِلَى رُكْنِ الْإِسْلَامِ الْخَامِسِ، أَعْنِي فَرِيضَةَ الْحَجِّ، وَقَبْلَ ذَلِكَ فَرِيضَةُ الصِّيَامِ، وَتَجِدُ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ وَالْفَرَحَةَ بَادِيَةً عَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَالذَّكْرِ وَالْأُنْثَى، لِمَا لَهُمَا مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ، وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ، بَيْنَمَا نَجِدُهَا مَعَ الرُّكْنِ الثَّانِي مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ مُتَقَاعِسَةً مُتَكَاسِلَةً، مَعَ أَنَّ أَعْظَمَ الْأَعْمَالِ أَجْرًا بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ هُوَ فِي الصَّلَاةِ، وَأَعْظَمُهَا إِثْمًا هُوَ فِي تَرْكِ الصَّلَاةِ.

لَسْتُ أَدَّعِي أَنَّ الْمَحَافَظَةَ عَلَى الصَّلَاةِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى جِهَادٍ لِلنَّفْسِ وَاسْتِحْضَارٍ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، كَلَّا، أَوْلَيْسَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَأَمَّا هَلَكٌ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

قال السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ^(١): «أَيُّ عَلَى الصَّلَاةِ بِإِقَامَتِهَا، بِحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا وَآدَابِهَا وَخُشُوعِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ مُشْتَقٌّ عَلَى النَّفْسِ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي إِكْرَاهُهَا وَجِهَادُهَا عَلَى ذَلِكَ، وَالصَّبْرُ مَعَهَا دَائِمًا، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَقَامَ صَلَاتَهُ عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ، كَانَ لِمَا سِوَاهَا مِنْ دِينِهِ أَحْفَظَ وَأَقْوَمَ، وَإِذَا ضَيَّعَهَا كَانَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعَ».

وَتَأْمَلْ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتٍ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرِينَ﴾ (١١٤) وَأَصْبِرْ ﴿[هود: ١١٤-١١٥]﴾.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «ذَهَبَ جُمْهُورُ الْمُتَأَوِّلِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ- إِلَى أَنَّ الْحَسَنَاتِ هَا هُنَا هِيَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ».

وقوله: ﴿وَأَصْبِرْ﴾ أَيُّ عَلَى الصَّلَاةِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

قال بعض المفسرين^(٣): «عَلَى الصَّلَاةِ وَحَدَهَا خَاصَّةً، لِأَنَّهَا تَكْبَرُ عَلَى النَّفْسِ مَا لَا يَكْبَرُ الصَّوْمُ، وَالصَّبْرُ هُنَا: الصَّوْمُ، فَالصَّلَاةُ فِيهَا سَجُنُ النَّفْسِ، وَالصَّوْمُ إِنَّمَا فِيهِ مَنَعُ الشَّهْوَةِ، فَلَيْسَ مَنْ مَنَعَ شَهْوَةً وَاحِدَةً أَوْ شَهْوَتَيْنِ كَمَنْ مَنَعَ جَمِيعَ الشَّهَوَاتِ، فَالصَّائِمُ إِنَّمَا مَنَعَ شَهْوَةَ النِّسَاءِ وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، ثُمَّ يَنْبَسِطُ فِي سَائِرِ الشَّهَوَاتِ مِنَ الْكَلَامِ وَالْمَشْيِ وَالنَّظَرِ، إِلَى غَيْرِ

(١) تفسير السعدي (ص ٥١٧).

(٢) تفسير القرطبي (٩/ ١١٠).

(٣) تفسير القرطبي (١/ ٣٧٣).

ذَلِكَ مِنْ مُلَاقَاةِ الْخَلْقِ فَيَتَسَلَّى بِتِلْكَ الْأَشْيَاءِ عَمَّا مُنِعَ، وَالْمُصَلِّي يَمْتَنِعُ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ، فَجَوَارِحُهُ كُلُّهَا مُقَيَّدَةٌ بِالصَّلَاةِ عَنْ جَمِيعِ الشَّهَوَاتِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَتْ الصَّلَاةُ أَصْعَبَ عَلَى النَّفْسِ وَمُكَابَدَتُهَا أَشَدَّ فَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾.

فُعْلِمَ مِنْ ذَلِكَ عِظَمُ الصَّلَاةِ، وَمَحَبَّةُ الْبَارِي لَهَا، وَتَأْكِيدُهُ لِنَبِيِّهِ، وَلِعِبَادِهِ بِالْأَصْطِبَارِ وَالتَّصَبُّرِ عَلَى مُكَابَدَةِ النَّفْسِ لِلْعَنَاءِ بِهَا وَالْمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥]، كَمَا قَالَ فِي الصَّلَاةِ: ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَعَدْلِهِ وَكَرَمِهِ أَنْ جَعَلَ الْجِزَاءَ الْعَظِيمَ لِمَنْ حَافِظًا عَلَى هَذِهِ الصَّلَاةِ هِنِيئًا لَهُ بِالْأَجْرِ الْجَزِيلِ مِنَ الْكَرِيمِ الْعَزِيزِ. فَأَعْظَمُ مَا يَجْنِيهِ الْعَبْدُ هُوَ تَكْفِيرُ الْخَطَايَا، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وَمُصَدِّقُ هَذَا مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟». قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا. قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا»^(١).

وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمِثْلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرِ عَلَى بَابٍ

(١) أخرجه البخاري (١/١٩٧، رقم ٥٠٥)، ومسلم (١/٤٦٢، رقم ٦٦٧).

أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلُّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ»^(١).

قَالَ الْحَسَنُ: وَمَا يُبْقِي ذَلِكَ مِنَ الدَّرَنِ.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «قَوْلُهُ عَلَى بَابٍ أَحَدِكُمْ إِشَارَةٌ إِلَى سُهُولَتِهِ وَقُرْبِ تَنَاوُلِهِ».

فالأدلة مُتَضَافَةٌ عَلَى أَنَّ الصَّلَاةَ تُكَفِّرُ الْخَطَايَا، بَلْ تَمْحُوها وَتُزِيلُها.

وما أَجْمَلَ وَأَعْظَمَ حَدِيثَ عَمْرِو بْنِ عَبَّسَةَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ حَدَّثَنِي عَنْ الْوُضُوءِ، قَالَ: «مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضَّمُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنْامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنْامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَبَجَّدهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبُهُ لِلَّهِ إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ حَاطِيَّتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

فَحَدَّثَ عَمْرُو بْنُ عَبَّسَةَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبَا أُمَامَةَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ: يَا عَمْرُو بْنُ عَبَّسَةَ انْظُرْ مَا تَقُولُ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ يُعْطَى هَذَا الرَّجُلُ؟ فَقَالَ عَمْرُو: يَا أَبَا أُمَامَةَ لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ

(١) أخرجه مسلم (١/٤٦٣، رقم ٦٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (١/٥٦٩، رقم ٨٣٢).

عَظُمِي، وَاقْتَرَبَ أَجَلِي، وَمَا بِي حَاجَةٌ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَلَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ - مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَبَدًا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تَعْظِيمًا لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرِ الْإِخْوَةِ، إِنَّ قَضِيَّةَ تَكْفِيرِ الصَّلَاةِ لِلْخَطَايَا مِنْ مَنِ الْمَوْلَى جَلَّ وَعَلَا وَهِيَ نِعْمَةٌ اخْتَصَّ اللَّهُ بِهَا هَذِهِ الْأُمَّةَ لَشَرَفِهَا وَفَضْلِهَا، حَتَّى كَانَتْ حَدِيثَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَاخْتِصَامَهُمْ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ الذُّنُوبَ خَطَرُهَا عَظِيمٌ، لَنَسْتَمِعَ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ الَّذِي صَحَّحَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اخْتُبِسَ عَنَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى كِدْنَا نَرَأَى عَيْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ سَرِيعًا، فَتُوبَ

بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِصَوْتِهِ فَقَالَ لَنَا: «عَلَى مَصَافِكُمْ كَمَا أَنْتُمْ»، ثُمَّ انْفَتَلَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «أَمَّا إِنِّي سَأَحَدُكُمْ، مَا حَبَسَنِي عَنْكُمْ الْغَدَاةُ أَنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ فَصَلَّيْتُ مَا قَدَّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي فَاسْتَثَقَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَذْرِي رَبِّ، قَالَهَا ثَلَاثًا»، قَالَ: «فَرَأَيْتَهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ، وَعَرَفْتُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكَفَّارَاتِ، قَالَ: مَا هُنَّ؟ قُلْتُ: مَشْيُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ»^(١).

وفي رواية من حديث ابن عباس: «وَالْكَفَّارَاتُ الْمَكْتُبَةُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَالْمَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(٢).

قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «وَاخْتِصَامُهُمْ إِمَّا عِبَارَةٌ عَنْ تَبَادُرِهِمْ إِلَى إِبْتِائِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَالصُّعُودِ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَإِمَّا عَنْ تَقَاوُلِهِمْ فِي فَضْلِهَا وَشَرَفِهَا، وَإِمَّا عَنِ اغْتِبَاطِهِمُ النَّاسَ بِتِلْكَ الْفَضَائِلِ، لِاخْتِصَامِهِمْ بِهَا وَتَفَضُّلِهِمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِسَبَبِهَا مَعَ تَهَاوُنِهِمْ فِي الشَّهَوَاتِ».

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٦/٥)، رقم (٣٢٣٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٧/٥)، رقم (٣٢٣٤)، وقال: حسن غريب.

(٣) تحفة الأحوذني (٧٤/٩).

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ، أَلَسْنَا أَهْلَ الذُّنُوبِ أَلَسْنَا مِنْ أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ وَظَلَمَهَا وَتَجَاوَزَ، بَلْ وَأَكْثَرَ مِنَ التَّمَادِي فِي الْإِثْمِ.

أَيُّ فُرْصَةٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْفُرْصَةِ، نَرَى التَّفْرِيطَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّهَوَاتِ وَالْعِظَائِمِ فِي أَمْرِ الصَّلَاةِ، كُنَّا نَرَى التَّفْرِيطَ فِي الصَّلَاةِ فِي طَائِفَةِ الشَّبَابِ.

وَالْآنَ -وَبِكُلِّ أَسَفٍ- نَرَاهَا عِنْدَ كِبَارِ السِّنِّ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ. إِذَا ضَيَّعَ الْمَرْءُ صَلَاتَهُ، فَقَدْ ضَيَّعَ دُنْيَاهُ وَدِينَهُ، وَلِهَذَا أَجْمَعَ الْأُئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ عَلَى أَنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ حَقَّهُ الْمَوْتُ، فَالْأُئِمَّةُ عَلَى أَنَّهُ يُقْتَلُ.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: يُجَبِّسُ حَتَّى الْمَوْتِ.

وَقَدْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: «وَاللَّهِ لَا أُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ»^(١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ قِتَالَ تَارِكِ الصَّلَاةِ أَمْرٌ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ جَعَلَهُ أَصْلًا مَقِيسًا عَلَيْهِ».

وَحَتَمًا أَتَيْهَا الْإِخْوَةُ، لِنُجَاهِذِ أَنْفُسَنَا عَلَى أَمْرِ الصَّلَاةِ، ﴿وَالَّذِينَ جَهِدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، لَا سِيَّمَا فِي أَوْقَاتِ الْبَرْدِ، فَإِنَّ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ يَعْظُمُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النُّفُوسِ، فَتَذَكَّرْ حِينَهَا ذُنُوبَكَ وَأَنَّ أَثَرَهَا عَلَيْكَ أَعْظَمُ مِنْ أَثَرِ وَخْرِ الْبَرْدِ وَالصَّقِيعِ، حِينَهَا تَعْلَمُ أَنَّكَ بِحَاجَةٍ إِلَى إِدْرَاكِ مَا يُكْفِّرُهَا.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦/٢٦٥٧، رَقْم ٦٨٥٥)، وَمُسْلِمٌ (١/٥١، رَقْم ٢٠).

(٢) جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحُكْمِ، لَابِنْ رَجَبٍ (١/٢٣٣).

فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُم بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ أَمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أُمَمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَلَدِنَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

المشي إلى الصلاة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ سُلَيْمًا كَثِيرًا. أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

مَعَشَرَ الْمَصْلِينَ: لَا رِبْحَ أَرْبَحُ مِنَ التَّجَارَةِ مَعَ اللَّهِ، كَمْ هِيَ الْأُمُورُ الَّتِي يَدَّخِرُهَا اللَّهُ لَكَ؟! قَدْ لَا تُدْرِكُ أَجْرَهَا وَفَضْلَهَا وَشَرَفَهَا، وَهِيَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمَةٌ، عَمَلٌ ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَدَّخِرُهُ لِلْعَبْدِ فِي صَحِيفَةِ عَمَلِهِ، إِنَّهُ الْمَشْيُ إِلَى الصَّلَاةِ.

سُبْحَانَ اللَّهِ! خُطَوَاتٌ قَدْ لَا تَتْرُكُ أَثْرًا عَلَى الْأَرْضِ، وَإِنْ تَرَكْتَ أَثْرًا مَحَاها الرِّيحُ تَبْلُغُ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً عَظِيمَةً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، فَسَرَهَا عُمَرُ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ جُبَيْرٍ أَنَّهَا الْآثَارُ هِيَ الْمَشْيُ إِلَى الْمَسَاجِدِ لِلصَّلَاةِ.

بَلْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَتْ بَنُو سَلَمَةَ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَأَرَادُوا أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَتَرَلَّتْ:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، فقال لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ آثَارَكُمْ تَكْتُبُ» فلم ينتقلوا^(١).

وأصل الحديث في صحيح مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ، قَالَ: خَلَّتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ، فَأَرَادَ بَنُو سَلَمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ». قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ. فَقَالَ: «يَا بَنِي سَلَمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتُبُ آثَارَكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتُبُ آثَارَكُمْ»^(٢).

هذا الأثر سيقى في صحيفة عَمَلِكِ مُسَجَّلًا مَكْتُوبًا لِيُشْهَدَ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وتأملوا -عِبَادَ اللَّهِ- ما جاء في الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزْلَةً مِنَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»^(٣).

قال الحافظ ابن رجب: «ومعنى الحديث: أَنْ مَنْ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لِلصَّلَاةِ فَإِنَّهُ زَائِرُ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ يَعِدُ لَهُ نُزْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ، كُلَّمَا انْطَلَقَ إِلَى الْمَسْجِدِ، سَوَاءَ كَانَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ أَوْ فِي آخِرِهِ. وَالنُّزْلُ: هُوَ مَا يَعْدُ لِلضَّيْفِ عِنْدَ نَزْوِلِهِ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالتَّحْفَةِ». قَالَ الْحَافِظُ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ: «وَزَيْدٌ فِيهِ

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٣/٥)، رقم (٣٢٢٦) وقال: حسن غريب.

(٢) أخرجه مسلم (٤٦٢/١)، رقم (٦٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٥/١)، رقم (٦٣١)، ومسلم (٤٦٣/١)، رقم (٦٦٩).

في غير هذه الرواية: «كما لو أن أحدكم زاره من يحب زيارته لاجتهد في إكرامه»^(١).

وخرج من طريق الطبراني بإسناده، عن سعيد بن زربي، عن ثابت، عن أبي عثمان، عن سلمان، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله، وحق على المزور أن يكرم الزائر»^(٢).

فتأمل في كل يوم كم يُعِدُّ الله لك من نُزُلٍ، وتأمل أي فضل تناله في كل يوم أكثر من مرة، والعجب من الإمام البخاري حينما بَوَّبَ على المشي إلى صلاة الجمعة، ذكر حديثاً عظيماً في فضل المشي إلى الصلاة، وإنها لبشارة عظيمة لكل مُصَلٍّ في الجماعات، فروى عباية بن رفاعه، قال: أدركني أبو عبس وأنا أذهب إلى الجمعة، فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار»^(٣). فجعل المشي إلى المسجد ممن اغبرت قدماه في سبيل الله.

كم هي الخطوات التي نمشيها إلى الصلاة في كل يوم! أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن كل خطوة تمحو سيئة، وترفع درجة كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليَقْضَى فَرِيضَةٌ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ كَانَتْ خُطْوَاتُهُ

(١) فتح الباري لابن رجب (٦/ ٥٣).

(٢) أخرجه الطبراني (٦/ ٢٥٣، رقم ٦١٣٩). قال الهيثمي (٢/ ٣١): أحد إسناده رجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٣٠٨، رقم ٨٦٥).

إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةٌ وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً»^(١).

وفي الصَّحِيحَيْنِ عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وَآتَى الْمُسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ لَمْ يَحُطْ خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةٌ حَتَّى يَدْخُلَ الْمُسْجِدَ»^(٢).

وفي الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ خَطْوَةٍ يَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ»^(٣).

وفيهما مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشَى فَأَبْعَدُهُمْ»^(٤).

والأجر مكتوبٌ لك في ذهابك ورجوعك، فليس الأجرُ خاصًا بالذهاب فقط، بَلْ حَتَّى رَجُوعُكَ مَكْتُوبٌ لَكَ؛ بِدَلِيلِ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ لَا أَعْلَمُ رَجُلًا أَبْعَدَ مِنَ الْمُسْجِدِ مِنْهُ وَكَانَ لَا تُحْطِئُهُ صَلَاةٌ، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظُّلُمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ. قَالَ: مَا يَسِّرُنِي أَنْ مَنَزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمُسْجِدِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمُسْجِدِ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ»^(٥).

(١) أخرجه مسلم (٤٦٢/١)، رقم (٦٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٨١/١)، رقم (٤٦٥)، ومسلم (٤٥٩/١)، رقم (٦٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٩٠/٣)، رقم (٢٨٢٧)، ومسلم (٦٩٩/٢)، رقم (١٠٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٢٣٣/١)، رقم (٦٢٣)، ومسلم (٤٦٠/١)، رقم (٦٦٢).

(٥) أخرجه مسلم (٤٦٠/١)، رقم (٦٦٣).

فهنيئاً للمشائين إلى المساجد، هنيئاً لمن أمضى سنوات عمره في الذهاب إلى المسجد.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

بَارِكُ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفْعُنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله؛ تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنّته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعدائه، أما بعد:

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: كَمْ هُوَ الْأَمْرُ مُسَرّاً وَمَفْرُغاً، لَئِنْ كَانَتِ الْخَطَوَاتُ مَكْتُوبَةً وَلَهَا هَذَا الثَّوَابُ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالْعَمَلِ نَفْسِهِ، فَيَا لِحَسْرَةِ الْمَذْنِبِ كَمْ هِيَ الْآثَارُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْهِ فِي أَثَرِهِ وَمَمْشَاهُ لِلْمَعْصِيَةِ!

قال قتادة: «لو كان الله تعالى مُغْفِلاً شَيْئاً مِنْ شَأْنِكَ يَا ابْنَ آدَمَ، أَغْفَلَ مَا تُعْطِي الرِّيحُ مِنْ هَذِهِ الْآثَارِ، وَلَكِنْ أَحْصَى عَلَى ابْنِ آدَمَ أَثَرَهُ وَعَمَلَهُ كُلَّهُ، حَتَّى أَحْصَى هَذَا الْآثَرَ فِيمَا هُوَ مِنْ طَاعَةِ اللهِ أَوْ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ

يَكْتُبَ أَثَرُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، فليُفْعَلْ»^(١).

إنها لغفلة عظيمة أن لا يستشعر المرء وهو في طريقه إلى المعصية أن هذا المنشى مكتوب عليه، وسيجده في صحيفة عمله، ستجد ممشاك إلى شراء الحرام من مطعوم أو مشروب، ستجد ممشاك إلى فعل الحرام من إيذاء عباد الله أو الخصومة الفاجرة والبغي أو المعاكسة وانتهاك الأعراض.

أين من مات وأثره؟ فرقة الناس، وطلاق زوجين، وتشتت أسرة، وخلف الحرام لأهله وولده.

ويا سعادة وفلاح من كانت خطواته لإصلاح ذات البين، وجمع الكلمة، وإطعام الفقير والمسكين، والشفاعة الحسنة، وطلب العلم، وصلة الرحم، وزيارة المريض، والقيام بحق الصداقة والصلة، هل يستوون لا يستوون؛ ولهذا يقول الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، لم يترك شيئا فذكر ما قدموا وآثرهم من الأعمال التي قد تكون معنوية لا أثر لها، ثم ثنى بالأعمال الحسنة التي تترك أثرًا فقال: ﴿وآثَرَهُمْ﴾، ثم ثلث بكل شيء، فقال: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾؛ لتستشعر النفس بالمراقبة والمحاسبة والميزان.

فلنبشّر بخير ونحن نمشي إلى الصلاة بالفضل العظيم، فكيف إذا كان معه ظلمة في الطريق، أو برد قارس؛ فهذا مما يُعْظَمُ الأجر، روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦ / ٥٦٦).

يَمْنَحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟». قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكَ الرِّبَاطُ»^(١).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَائِي ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

(١) أخرجه مسلم (١/٢١٩)، رقم (٢٥١).

أَلْفَحْشَاءَ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠]،
 فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿٩١﴾ وَلَذِكْرُ
 اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٩٢﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الصلاة - الفجر

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيَكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ يَتَكَاسَلُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ الصَّلَوَاتِ، فَقَصُرَ اللَّيْلُ مَعَ اعْتِيَادِ السَّهَرِ سَبَبٌ كَبِيرٌ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الصَّلَاةِ، وَمَعَ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالنَّوْمِ فِي النَّهَارِ يَتَسَاهَلُ فِي صَلَاتَيِ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَلِذَا كَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُنَنِ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللَّهَ فِي الرَّخَاءِ وَالشَّدَّةِ، وَالسَّعَةِ وَالضُّيْقِ، وَالْمُنَشْطِ وَالْمَكْرَهِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَحَافَظَةَ عَلَى الصَّلَاةِ تَحْتَاجُ إِلَى جِهَادٍ وَمَجَاهَدَةٍ وَمُصَاصَرَةٍ وَمُرَابَطَةٍ وَتَقْوَى، أَوْلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، قَالَ السَّعْدِيُّ: رَحِمَهُ اللَّهُ أَيُّ: «عَلَى الصَّلَاةِ بِإِقَامَتِهَا، بِحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا

وآدابها وخشوعها، فَإِنَّ ذَلِكَ مُشَقُّ عَلَى النَّفْسِ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي إِكْرَاهُهَا وَجَهَادُهَا عَلَى ذَلِكَ، وَالصَّبْرُ مَعَهَا دَائِمًا، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَقَامَ صَلَاتَهُ عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ، كَانَ لَهَا سِوَاهَا مِنْ دِينِهِ أَحْفَظَ وَأَقْوَمَ، وَإِذَا ضَيَّعَهَا كَانَ لَهَا سِوَاهَا أَضْيَعُ^(١).

ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، قال بعضُ المفسرين: «على الصلاة وحدها خاصة لأنها تكبر على النفوس، ما لا يكبر الصوم، والصبر هنا: الصوم؛ فالصلاة فيها سجنُ النفوس، والصوم إنما فيه منعُ الشهوة، فليس من منع شهوة واحدة أو شهوتين كمن منع جميع الشهوات؛ فالصائم إنما منع شهوة النساء والطعام والشراب، ثم ينبسط في سائر الشهوات من الكلام والمشى والنظر، إلى غير ذلك من مُلاقاة الخلق؛ فيتسلل بتلك الأشياء عما مُنع، والمصلي يمتنع من جميع ذلك، فجوارحه كلها مقيدة بالصلاة عن جميع الشهوات. وإذا كان ذلك كانت الصلاة أضعب على النفس، ومكابدتها أشد؛ فلذلك قال: ﴿وإنها لكبيرة﴾، فعلم من ذلك عظم الصلاة، ومحبة الباري لها، وتأكيده لِنبيه ولعباده بالاضطبار والتصبر على مكابدة النفس للعناية بها، والمحافظة عليها؛ فإن الله قال: ﴿وَأَصْطِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥]، كما قال في الصلاة: ﴿وَأَصْطِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

إِنَّ قَضِيَّةَ الصَّبْرِ وَالْمَصَابَرَةِ عَلَى أَمْرِ الصَّلَاةِ أَمْرٌ فِي غَايَةِ الْأَهَمِّيَّةِ؛ حَتَّى لَا يَكْسِلَ الْمُتَكَاسِلُ، وَيَعْلَمَ أَنَّ الصَّلَاةَ مُلَازِمَةٌ لِلصَّبْرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُؤْثِرَ الْفَرَّاشَ

عَلَى الصَّلَاةِ حَمَلَتْهُ مُصَابِرَتُهُ عَلَى الْقِيَامِ، وَدَفَعَ الْكَسَلَ؛ وَلِذَا تَأَمَّلُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النِّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهَبْنَ بِهَا السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (١١٤) وَأَصْبِرْ ﴿هود: ١١٤ - ١١٥﴾، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «ذَهَبَ جُمْهُورُ الْمُتَأَوِّلِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - إِلَى أَنَّ الْحَسَنَاتِ هَاهُنَا هِيَ الصَّلَوَاتُ الْحَمْسُ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَصْبِرْ﴾ أَي: عَلَى الصَّلَاةِ» (١).

وَلِذَا تَأَمَّلُوا كَيْفَ وَصَفَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَصَفَ الْوُضُوءَ لَهَا، وَأَجْرَهَا؛ وَلَنَسْتَمِعَ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ، الَّذِي صَحَّحَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ، مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: احْتَبَسَ عَنَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ؛ حَتَّى كِدْنَا نَرْتَأَى عَيْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ سَرِيعًا فَتَوَّابَ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِصَوْتِهِ، قَالَ لَنَا: «عَلَى مَصَافِكُمْ كَمَا أَنْتُمْ»، ثُمَّ انْفَتَلَ إِلَيْنَا، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا إِنِّي سَأَحَدُّكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمْ الْغَدَاةَ، إِنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ، فَتَوَضَّأْتُ، وَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي، فَتَنَعَسْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي عَزَّوَجَلَّ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ. قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَهَا ثَلَاثًا، قَالَ: فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْ، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ، وَعَرَفْتُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ. قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكُفَّارَاتِ. قَالَ: مَا هُنَّ؟ قُلْتُ: مَشْيُ الْأَقْدَامِ إِلَى الصَّلَوَاتِ - وَفِي رِوَايَةٍ: الْحَسَنَاتِ -، وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدَ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ حِينَ الْكَرَاهَاتِ» (٢).

(١) تفسير القرطبي (٩ / ١١٠).

(٢) أخرجه أحمد (٥ / ٢٤٣)، رقم (٢٢١٦٢)، والترمذي (٥ / ٣٦٨)، رقم (٣٢٣٥)، وقال: حسن.

وَفِي رِوَايَةٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «وَالْكَفَّارَاتُ الْمُكْتَبَةُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَالْمُشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(١).

قَالَ الْمُبَارَكُفُورِيُّ: «وَاخْتِصَامُ الْمَلَأِ الْأَعْلَى إِمَّا عِبَارَةٌ عَنْ تَبَادُّرِهِمْ إِلَى إِثْبَاتِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ، وَالصَّعُودِ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَإِمَّا عَنْ تَقَاوُلِهِمْ فِي فَضْلِهَا وَشَرَفِهَا، وَإِمَّا عَنْ اغْتِبَاطِهِمْ لِلنَّاسِ بِتِلْكَ الْفَضَائِلِ؛ لِاخْتِصَاصِهِمْ بِهَا، وَتَفْضُلِهِمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِسَبَبِهَا، مَعَ تَهَافُتِهِمْ فِي الشَّهَوَاتِ»^(٢).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُّوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى لِسَانَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

صحيح، والطبراني (١٠٩/٢٠، رقم ٢١٦)، والبخاري (١١٠/٧، رقم ٢٦٦٨).

(١) أخرجه أحمد (٣٦٨/١، رقم ٣٤٨٤) وعبد بن حميد (ص ٢٢٨، رقم ٦٨٢) والترمذي (٣٦٧/٥، رقم ٣٢٣٤)، وقال حسن غريب.

(٢) تحفة الأحوذى (٧٤/٩).

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: إِنَّ قَضِيَّةَ صَلَاةِ الْفَجْرِ فِي هَذَا الْوَقْتِ خَاصَّةٌ بِحَاجَةٍ إِلَى مُتَابَعَةٍ وَمُصَابَرَةٍ، وَلِيَتَذَكَّرَ كُلُّ مَنَّا أَجْرَهَا وَثَوَابَهَا؛ لِتُدْفَعَهُ إِلَى الْمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا، فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، قَالَ: دَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الْمَسْجِدَ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَقَعَدَ وَحْدَهُ، فَقَعَدْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي! سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ، فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ»^(١)، أَيُّ ثَوَابٍ وَبَشَارَةٍ يَنَالُهَا مَنْ صَلَّى هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ مَعَ الْجَمَاعَةِ؟!

هَنِيئًا لِأَهْلِ الْجَمَاعَاتِ، هَنِيئًا لِمَنْ يَشْهَدُ الْعِشَاءَ وَالْفَجَرَ فِي جَمَاعَةٍ، أَجْرُ قِيَامِ لَيْلَةٍ كَامِلَةٍ، وَمَا أَشَدَّ خَسَارَةَ الْكُسَالَى! وَمَا أَزْهَدَهُمْ بِالْأُجُورِ! بَلْ إِنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ فَسَّرَ حَدِيثَنَا هَذَا بِأَنَّ أَجْرَ الْعِشَاءِ مَعَ الْجَمَاعَةِ أَجْرُهُ نِصْفُ لَيْلَةٍ، وَأَجْرُ الْفَجْرِ لَيْلَةٌ كَامِلَةٌ، فَيَكُونُ الْمُصَلِّي مَعَ الْجَمَاعَةِ قَدْ حَصَلَ بِشُهُودِهِ صَلَاةَ الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ أَجْرَ قِيَامِ لَيْلَةٍ وَنِصْفٍ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مُشْكِلِ الصَّحِيحِينَ: «يَنَالُ مُصَلِّي الصُّبْحِ فِي جَمَاعَةٍ ضِعْفَ ثَوَابِ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: «فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ» أَيُّ: كُلِّ وَاحِدَةٍ بِنِصْفِ اللَّيْلِ»^(٢).

وَرَوَى مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ عَنْ عُمَرَ، قَالَ: «لَأَنْ أَشْهَدَ الْفَجَرَ وَالْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُحْيِيَ مَا بَيْنَهُمَا»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (١/ ٤٥٤)، رقم (٦٥٦).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (ص: ١٢٢).

(٣) فتح الباري لابن رجب (٦/ ٣٦).

قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: «كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الْمَشْيَ إِلَى الصَّلَاةِ فِي اللَّيْلِ الظُّلُمَاءِ مُوجِبَةٌ»^(١)، يَعْنِي: تُوجِبُ لِمُصَاحِبِهَا الْجَنَّةَ.

وَهَاتَانِ الصَّلَاتَانِ جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ بِفَضْلِهِمَا وَتَكَاثَرَتْ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا»^(٢).

وَفِي حَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ، أَنَّهُ قَالَ: «لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا عَلَى الرُّكْبِ»^(٣)، مَعَ أَنَّ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ الْحُضُورَ مَعْذُورٌ بِتَرْكِ الْجَمَاعَةِ، وَلَكِنْ كُلُّ هَذَا لِعِظَمِ الْأَجْرِ فِي الْإِتْيَانِ إِلَى هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ.

وَلِنُظَرٍ إِلَى الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فِي فَهْمِهِمْ لِفَضْلِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ فَقَدْ خَرَجَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ دُكَيْنٍ بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: «اسْمَعُوا وَبَلِّغُوا مَنْ خَلْفَكُمْ، حَافِظُوا عَلَى هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ الْعِشَاءِ وَالصُّبْحِ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَيْتُمُوهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا عَلَى مَرَافِقِكُمْ وَرُكْبِكُمْ»^(٤).

وَخَرَجَ بِإِسْنَادِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْقَاعِدُونَ مَا لِلْمَشَائِنِ إِلَى هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ: صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا»^(٥).

(١) فتح الباري لابن رجب (٦/ ٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٣٤، رقم ٦٢٦)، ومسلم (١/ ٤٥١، رقم ٦٥١).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٤٠، رقم ٢١٣٠٢)، وأبو داود (١/ ١٥١، رقم ٥٥٤)، والنسائي

(٢/ ١٠٤، رقم ٨٤٣)، وابن ماجه (١/ ٢٥٩، رقم ٧٩٠)، وابن حبان (٥/ ٤٠٥، رقم

٢٠٥٦)، والحاكم (١/ ٣٧٥، رقم ٩٠٤).

(٤) تفسير القرطبي (٣/ ٢١٢).

(٥) فتح الباري لابن رجب (٦/ ٣٦).

وروى الحافظ أبو موسى بإسناده عن عقبة بن عبد الغافر، قال: «صلاة العشاء في جماعة تعدل حجة، وصلاة الفجر في جماعة تعدل عمرة». وروى عن شداد بن أوس، قال: «من أحب أن يجعله الله من الذين يدفع الله بهم العذاب عن أهل الأرض فليحافظ على هاتين الصلاتين في جماعة: العشاء الآخرة، والصبح»^(١).

أيها الإخوة: ألسنا أهل الذنوب؟! ألسنا من أسرف على نفسه وظلمها وتجاوز؟! بل وأكثر من التماهي في الإثم؟! أي فرصة أعظم من هذه الفرصة؟!

لم نرى التفريط من أصحاب الشهوات والعظائم في أمر الصلاة؟! والغريب أن التفريط كان في الشباب والفتيان، وأما الآن فأصبحنا نراه وبكل أسف عند كبار السن من الرجال والنساء، وإذا ضيع المرء صلاته فقد ضيع ديناه ودينه.

وختاماً؛ فإنه يكثر السؤال عن جواز تكرار الجماعات في مساجد المحطات والأسواق التي لا يوجد لها إمام راتب معين من قبل الأوقاف.

والجواب: أن ذلك جائز، بلا كراهة، ولو كان ذلك بعد خروج الناس من مساجدهم، أو قبل ذلك، فما دام أن وقت الصلاة الشرعي لم يخرج، وأعني بوقت الصلاة الوقت الذي حدده الشارع، فالفجر مثلاً ما لم تطلع الشمس، والعصر ما لم تغرب، فتكرار الجماعة في هذا المسجد غير مكروه، ما

(١) فتح الباري لابن رجب (٦/ ٣٦).

دَامَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ إِمَامٌ رَاتِبٌ، فَتَشْدِيدُ بَعْضِ النَّاسِ عَلَى مَنْ يُكَرِّرُونَ الْجَمَاعَةَ فِي بَعْضِ مَسَاجِدِ الْمَحَطَّاتِ تَشَدُّدٌ لَا أَصْلَ لَهُ؛ فَالْجَمَاعَاتُ الَّتِي تُصَلِّي بَعْدَ أَنْ خَرَجَ النَّاسُ مِنْ مَسَاجِدِهِمْ، وَلَوْ بِكَثِيرٍ، مَا دَامَ أَنَّ الْوَقْتَ لَمْ يُخْرَجَ صَحِيحٌ لَا إِشْكَالَ فِيهِ؛ إِلَّا أَنَّهُ فَاتَهُمْ أَفْضَلِيَّةُ الصَّلَاةِ فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عَثِيمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْجِدَ سُوقٍ، أَوْ مَسْجِدَ طَرِيقِ سِيَارَاتٍ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَ مَسْجِدَ سُوقٍ يَتَرَدَّدُ أَهْلُ السُّوقِ إِلَيْهِ فَيَأْتِي الرَّجُلَانِ وَالثَّلَاثَةُ وَالْعَشْرَةُ يَصَلُّونَ ثُمَّ يُخْرَجُونَ، كَمَا يُوجَدُ فِي الْمَسَاجِدِ الَّتِي فِي بَعْضِ الْأَسْوَاقِ، فَلَا تُكْرَهُ إِعَادَةُ الْجَمَاعَةِ فِيهِ، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: قَوْلًا وَاحِدًا، وَلَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ مِنْ أَصْلِهِ مُعَدٌّ لْجَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ؛ لَيْسَ لَهُ إِمَامٌ رَاتِبٌ يَجْتَمِعُ النَّاسُ عَلَيْهِ»^(١)، وَلَكِنْ يُشَدَّدُ عَلَى أَهْمِيَّةِ اخْتِيَارِ الْإِمَامِ الْكُفَّاءِ لِلصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ»^(٢)، وَلَيْسَ أَشْجَعَهُمْ وَأَجْرَاهُمْ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الاحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٤ / ١٦١).

(٢) أخرجه مسلم (١ / ٤٦٥)، رقم (٦٧٣).

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَاَنْصُرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ أَنْصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



أحكام الزكاة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿[الأنفال: ١]﴾.

أَيُّهَا الصَّائِمُونَ لَمَّا أَرْسَلَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ أَوْصَاهُ بِوَصَايَا كَانَ مِنْهَا: «فَاعْلِمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ» كما في الصحيحين^(١)، فالزكاة أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ حَقٌّ لِلْفَقِيرِ لَيْسَ لِأَحَدٍ مَنَّةٌ؛ فَاِلْمَنَّةُ لِلَّهِ، وَهُوَ صَاحِبُ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ.

وَقَدْ يَخْفَى بَعْضُ أَحْكَامِهَا، وَفِيهَا يَلِي بَعْضُ الْأُمُورِ الَّتِي يَكْثُرُ السُّؤَالُ عَنْهَا:

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥/٢)، رقم (١٣٣١)، ومسلم (٥١/١)، رقم (١٩).

فَأَمَّا زَكَاةُ الْأَرْضِ الَّتِي يَمْلِكُهَا الْإِنْسَانُ: فَإِنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ عَلَيْهَا بَيْتًا لِلسُّكْنَى أَوْ لِلْإِجَارَةِ فَلَا زَكَاةَ فِيهَا، وَإِنْ كَانَ يَنْتَظِرُ بِهَا الرِّبْحَ فَفِيهَا الزَّكَاةُ؛ لِأَنَّهَا عُرُوضُ تِجَارَةٍ فَيُثَمَّنُهَا عِنْدَ تَمَامِ الْحَوْلِ، وَيُخْرِجُ رُبْعَ عَشْرِ قِيمَتِهَا، وَإِنْ أَبْقَاهَا لِلْحَاجَةِ يَقُولُ: إِنْ اخْتَجْتُ بِعْتُهَا وَإِلَّا أَبْقَيْتُهَا فَلَا زَكَاةَ فِيهَا.

وَلَيْسَ عَرْضُ الْأَرْضِ لِلْبَيْعِ أَوْ وَضْعُهَا عِنْدَ أَهْلِ الْعَقَارِ مُوجِبًا لِلزَّكَاةِ، بَلْ إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ يُرِيدُ التَّخْلُصَ مِنْهَا، وَبَقِيَتْ لَمْ يَشْتَرِهَا أَحَدٌ لِمُدَّةِ سَنَةٍ، أَوْ سَنَتَيْنِ، أَوْ أَكْثَرَ؛ فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ زَكَاةٌ؛ لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ تِجَارَةً، وَالزَّكَاةُ إِنَّمَا تَحِبُّ فِي التَّجَارَةِ.

وَكَذَلِكَ مَنْ اشْتَرَى أَرْضًا لِيَحْفَظَ دَرَاهِمَهُ، وَلَا يَقْصِدُ الْفِرَارَ مِنَ الزَّكَاةِ فَلَا زَكَاةَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ اشْتَرَاهَا لِلتَّكْسِبِ وَالتَّجَارَةِ وَالبَحْثِ عَنِ الْأَرْبَاحِ؛ فَهَذِهِ فِيهَا الزَّكَاةُ، قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عَثِيمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْإِنْسَانُ الَّذِي عِنْدَهُ أَرْضٌ نَسَأَلُهُ أَوَّلًا: مَاذَا تُرِيدُ بِهَذِهِ الْأَرْضِ؟ هَلْ تُرِيدُ أَنْ تُبْقِيَهَا لِتَبْنِيَ عَلَيْهَا مَسْكَنًا، أَوْ تَبْنِيَ عَلَيْهَا مَبْنًى لِلتَّاجِرِ، أَوْ تُرِيدُ أَنْ تَحْفَظَهَا وَتَقُولَ: إِنْ اخْتَجْتُ بِعْتُهَا وَإِلَّا أَبْقَيْتُهَا، أَوْ تَقُولَ: اشْتَرَيْتُ الْأَرْضَ لِأَحْفَظَ دَرَاهِمِي؛ وَلَا أَقْصِدُ الْفِرَارَ مِنَ الزَّكَاةِ، فَإِذَا كَانَ يُرِيدُ هَذِهِ الْأُمُورَ فَلَا أَرْضَ لَا زَكَاةَ فِيهَا. أَمَّا إِذَا كَانَ يَقُولُ: اشْتَرَيْتُ هَذِهِ الْأَرْضَ أَرَدْتُ بِهَا التَّكْسِبَ وَالتَّجَارَةَ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ فِيهَا الزَّكَاةُ»^(١).

أَمَّا الْبُيُوتُ الْمَوْجَرَّةُ فَلَا زَكَاةَ فِي أَصْلِهَا، وَإِنَّمَا الزَّكَاةُ عَلَى أَجْرَتِهَا إِنْ حَالَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ؛ فَإِنْ صَرَفَهَا قَبْلَ مُضِيِّ الْحَوْلِ فَلَا زَكَاةَ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا رَوَاتِبُ الْمُوظَّفِينَ: فَلَا زَكَاةَ فِيهَا حَتَّى يَحُولَ عَلَى كُلِّ شَهْرِ حَوْلٌ كَامِلٌ، فَإِنْ كَانَ يَضُرُّهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ فَلَا زَكَاةَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْأَشْهُرِ يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَسْتَطِيعُ تَمْيِيزُهُ فليُحَدِّدْ لَهُ شَهْرًا مَعِينًا يُزَكِّ فِيهِ كُلَّ مَا عِنْدَهُ؛ فَتَكُونُ زَكَاةُ الْمَالِ الَّذِي حَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ فِي حِينِهِ، وَتَكُونُ زَكَاةُ مَا بَعْدَهُ مُعَجَّلَةً، وَلَا يَضُرُّ تَعْجِيلُ الزَّكَاةِ، وَهَذَا أَخُو طُ وَأَسْلَمُ مِنَ الْاضْطِرَابِ.

وَأَمَّا الدُّيُونُ الَّتِي فِي ذِمِّ النَّاسِ: فَفِيهَا الزَّكَاةُ سَوَاءٌ كَانَ الْمَالُ بِسَبَبِ قَرْضٍ، أَوْ ثَمَنِ مَبِيعٍ، أَوْ غَيْرِهِ، فَإِنْ كَانَ الدَّيْنُ عَلَى شَخْصٍ مُوسِرٍ بِإِذِلِّ وَجَبَتْ الزَّكَاةُ كُلُّ سَنَةٍ، سَوَاءٌ أَخْرَجَهَا فِي كُلِّ عَامٍ، أَوْ إِذَا قَبَضَهَا أَخْرَجَهَا لِعَدَدِ السَّنَاتِ الْمَاضِيَةِ كُلِّهَا، وَإِنْ كَانَ الدَّيْنُ عَلَى فَقِيرٍ فَإِنَّهُ يُزَكِّيهِ إِذَا قَبَضَهُ زَكَاةَ سَنَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَأَمَّا أَصْحَابُ الْمَحَلَّاتِ التِّجَارِيَّةِ: وَهُمْ مَنْ عِنْدَهُمْ أَمْوَالٌ أَعَدُّوهَا لِلْبَيْعِ تَكْسِبًا وَانْتِظَارًا لِلرَّابِحِ مِنْ أَطْعَمَةٍ وَأَقْمَشَةٍ وَسَيَّارَاتٍ وَنَحْوِهَا؛ فَتَجِبُ الزَّكَاةُ فِيهَا كُلُّ سَنَةٍ بِرُبْعِ الْعُشْرِ عِنْدَ تَمَامِ الْحَوْلِ، وَيُقَوِّمُ بِضَاعَتَهُ كُلِّهَا عَدَا الْأَشْيَاءَ الثَّابِتَةَ مِثْلَ الدَّوَالِبِ وَالْأَرْفَفِ وَشَبِهِهَا؛ فَيُقَوِّمُهَا كُلُّ سَنَةٍ سَوَاءٌ بَلَغَتِ الثَّمَنُ الَّذِي اشْتَرَاهَا بِهِ، أَوْ قَلَّتْ، أَوْ ارْتَفَعَتْ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُحْصِيَ الدُّكَانَ، وَيُحَاسِبَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُحَاسِبَ بِالْآخِرَةِ، فَإِنْ كَانَ يَبِيعُ بِالْجُمْلَةِ قَوْمَهُ بِالْجُمْلَةِ، وَإِنْ كَانَ يَبِيعُ بِالتَّفْرِيدِ قَوْمَهُ مُفْرَدًا، وَإِنْ

كَانَ أَحْيَانًا يَبِيعُ جُمْلَةً، وَأَحْيَانًا مُفَرَّدًا فَلَا خِتْيَاطَ أَنْ يُثَمِّنَهُ بِمَا هُوَ أَنْفَعُ لِلْفُقَرَاءِ.

وَمِثْلُهُ مَنْ يَبِيعُ السَّيَّارَاتِ بِأَقْسَاطٍ: فَإِنَّهُ عِنْدَ حَوْلِهِ يَحْسِبُ كُلَّ الْأَقْسَاطِ الْمَتَبَقَّةِ عَلَى النَّاسِ كَامِلَةً، ثُمَّ يُخْرِجُ رُبْعَ الْعُشْرِ، أَوْ خُمْسَةً بِالمِائَةِ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ سُيُولَةٌ فِي الْحِسَابِ الْبَنَكِيِّ الْمَخْصَصِ لِهَذِهِ التَّجَارَةِ فَيُدْخِلُهَا مَعَهَا.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنَالَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى لِحَاشِنِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.
أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَتِي فِي اللَّهِ: وَأَمَّا أَصْحَابُ الْأَسْهُمِ: فَإِنْ كَانَتِ الشَّرِكَةُ أَوْ الدَّوْلَةُ تَأْخُذُ الزَّكَاةَ كَامِلَةً فَلَا تُخْرِجُ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَتْ لَا تُخْرِجُ الزَّكَاةَ، أَوْ تُخْرِجُ بَعْضَهَا، وَجَبَتْ الزَّكَاةُ فِيهَا بِقَدْرِ النَّقْصِ، فَإِنْ قَصَدَتْ بِالْأَسْهُمِ الْأَتِّجَارَ أَيْ الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ بِالْأَسْهُمِ، أَيْ أَنَّهُ يَشْتَرِي هَذَا السَّهْمَ الْيَوْمَ وَيَبِيعُهُ غَدًا كُلَّمَا رَبِحَ فِيهِ، فَإِنَّهَا عُرُوضُ تِجَارَةٍ، فَالزَّكَاةُ عَلَى السَّهْمِ كَامِلًا، أَيْ بِقِيمَتِهَا السُّوقِيَّةِ بِالِغَةِ مَا بَلَغَتْ، ثُمَّ تُخْرِجُ رُبْعَ الْعُشْرِ.

أَمَّا إِنْ قَصَدَتْ الْاِسْتِثْمَارَ، أَيْ أَنَّكَ لَا تُعِدُّهَا لِلْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَإِنَّمَا لِلْاِسْتِثْمَارِ وَالنَّهْءِ، وَتَنْتَظِرُ غَلَّتْهَا كُلَّ سَنَةٍ، وَلَسْتَ تَنْوِي الْأَتِّجَارَ بِأَصْلِ السَّهْمِ، فَالزَّكَاةُ فِي غَلَّتْهَا فَقَطْ إِذَا حَالَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ.

وُجُوبُ الزَّكَاةِ فِي سَائِمَةِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ إِذَا بَلَغَتْ نِصَابًا، وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ غَيْرَ سَائِمَةٍ بَأَنَّ تَكُونُ مَعْلُوفَةً فِي الْمَزَارِعِ، أَوْ كَانَ صَاحِبُهَا يَشْتَرِي لَهَا طَعَامَهَا وَنَحْوَهُ، فَلَا زَكَاةَ فِيهَا عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ قَوْلِي أَهْلُ الْعِلْمِ، فَمَنْ كَانَ يُعَلِّفُ أَقَلَّ مِنْ نِصْفِ الْعَامِ وَجَبَتْ عَلَيْهِ الزَّكَاةُ، وَإِلَّا فَلَا؛ فَالْسُّومُ أَكْثَرُ الْعَامِ شَرْطُ لُجُوبِ الزَّكَاةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ أَعَدَّ هَذِهِ الْغَنَمَ لِلْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، فَإِنَّ فِيهَا زَكَاةَ عُرُوضِ التِّجَارَةِ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ سَائِمَةً وَإِنَّمَا نِصَابُهَا وَالْوَاجِبُ فِيهَا مَا يَجِبُ فِي عُرُوضِ التِّجَارَةِ، فَمَنْ أَعَدَّهَا لِلْمُتَاجَرَةِ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، أَوْ مَا يُسَمَّى بِالْمَزَايِنِ، فَفِيهَا زَكَاةُ عُرُوضِ التِّجَارَةِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي هَذَا مَنْ يَبِيعُ مِنْ مِزْرَعَتِهِ مَا زَادَ عَلَى حَاجَتِهِ، أَوْ كَبَرَ فِي سَنَتِهِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنَ التِّجَارَةِ، وَلَيْسَ فِيهَا زَكَاةٌ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مَنْ أَعَدَّ هَذِهِ الْمَاشِيَةَ لِطَلَبِ الرِّبْحِ وَالتَّكْسِبِ.

وَمِنَ الْأَخْطَاءِ غَفْلَةُ كَثِيرٍ مِنَ الْمَرْكَبِينَ عَنْ أَقَارِبِهِ، فَإِنَّ أَقَارِبَهُ قَدْ يَكُونُونَ بِحَاجَةٍ وَيَتَلَمَّسُ الْأُبْعَدِينَ، وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيْجِزِي عَنِّي أَنْ أَتَفَقَّ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ لِي فِي حَجْرِي؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرَانِ أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ»^(١).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُم رَبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضُ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا

(١) أخرجه البخاري (٥٣٣/٢)، رقم (١٣٩٧)، ومسلم (٦٩٥/٢)، رقم (١٠٠٠).

جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم،
﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



استقبال رمضان

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله - عباد الله -، ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٥٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٥٦﴾ [البقرة: ٤٥ - ٤٦].

معشر الإخوة: بعد أيام قليلة يحلُّ غائبٌ طال انتظارُهُ، غائبٌ إذا قَدِمَ قَدِمَ بِالْخَيْرِ كُلِّهِ، وكأننا أَسَارَى نَنْتَظِرُ مَنْ يَفْدِينَا مِنْ أَسْرِنَا، وَيَفْكُنَّا مِنْ قُيُودِنَا، هَذَا الْغَائِبُ عَطَايَاهُ سَخِيَّةً، وَطِبُّهُ دَوَاءً.

نعم؛ نحنُ على مَشَارِفِ قُدُومِ رَمَضَانَ، فَاللَّهُمَّ بَلِّغْنَا رَمَضَانَ.

أَبَشِّرُوا بِشَهْرِ الْكَفَّارَاتِ.

أَبَشِّرُوا بِشَهْرِ تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ.

أَبَشِّرُوا بِشَهْرِ الْعِتْقِ مِنَ النَّارِ.

أَخْبَرَنَا رَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنَّ مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَاعَدَهُ اللَّهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»، كما في الصحيحين^(١)، مَنْ مِنَّا لَا يُرِيدُ أَنْ يَتَبَعَدَ عَنِ النَّارِ مَسِيرَةَ سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ شَهْرٍ؟!

فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْيَوْمُ يُبَاعِدُكَ سَبْعِينَ خَرِيفًا؟!

فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الصَّيَامُ ثَلَاثِينَ يَوْمًا؟!

فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الصَّوْمُ صِيَامَ الْفَرِيضَةِ؟!

فَكَمْ سَتَبْتَعِدُ عَنِ النَّارِ مِنْ مَسَافَةٍ بِفَضْلِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ؟!

كَيْفَ نُنْسِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهَا ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]، قال مجاهد: «كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى يُضْبِحَ ثُمَّ يُجَاهِدُ الْعَدُوَّ بِالنَّهَارِ حَتَّى يُمْسِيَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ أَلْفَ شَهْرٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ قِيَامُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ ذَلِكَ الرَّجُلِ»^(٢).

وقال أيضا: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ قَالَ: عَمَلُهَا وَصِيَامُهَا وَقِيَامُهَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»^(٣).

يَا اللَّهُ! مَا هَذَا الْعُمْرُ الَّذِي اخْتَصَرْتَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةُ أَكْثَرَ مِنْ عَمَلِ ثَمَانِينَ سَنَةً بِصِيَامِهِ وَقِيَامِهِ؟!

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٤٤، رقم ٢٦٨٥)، ومسلم (٢/ ٨٠٨، رقم ١١٥٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٦).

(٣) المصدر السابق.

كَيْفَ لَا نَفْرَحُ بِرَمَضَانَ، وَأَبْوَابُ الْجَنَّةِ فُتِّحَتْ، وَأَبْوَابُ النَّارِ
صُفِّدَتْ؟!

فَأَيْنَ الدَّاخِلُونَ؟

كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فَتُحْتَفَلُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَفِي رِوَايَةٍ
أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ»^(١)، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ.
«وَلِلَّهِ عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ»^(٢)، فَضْلًا مِنْهُ وَمِنَّةً.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الرَّسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ»^(٣)، أَي: سَاتِرٌ وَمَانِعٌ مِنَ النَّارِ وَالْآثَامِ.
كَيْفَ لَا نَفْرَحُ بِرَمَضَانَ، وَأَجْرُ الصَّوْمِ تَكْفَلُ اللَّهُ بِهِ مِنْ بَيْنِ الْأَعْمَالِ؟
فَثَوَابُهُ لَا يَتَقَيَّدُ بِعَدَدٍ مُعَيَّنٍ، بَلْ يُعْطَى أَجْرُهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَقَدْ جَاءَ فِي
الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»، وَفِي لَفْظِ مُسْلِمٍ: «كُلُّ عَمَلٍ
ابْنِ آدَمَ لَهُ، يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ» قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
«إِلَّا الصَّوْمُ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٦٧١/٢، رقم ١٧٩٩)، ومسلم (٧٥٨/٢، رقم ١٠٧٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٦٦/٣، رقم ٦٨٢)، وابن ماجه (٥٢٦/١، رقم ١٦٤٢)، وفي السنن
الكبرى (٣٠٣/٤، رقم ٨٢٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٢٣/٦، رقم ٧٠٥٤)، ومسلم (٨٠٧/٢، رقم ١١٥١).

(٤) أخرجه البخاري (٢٤/١، رقم ٤٢)، ومسلم (١١٧/١، رقم ١٢٩).

وَعِنْدَ الشَّيْخَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»^(١)، وَ«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢).

وَجَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصَّلَوَاتُ الْخُمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»^(٣).

ولهذا يا خسارة مَنْ أَدْرَكَهُ رَمَضَانٌ وَلَمْ يَحْضُلْ عَلَى هِبَاتِهِ، رَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانٌ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يَدْخُلَاهُ الْجَنَّةَ»^(٤).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ

(١) أخرجه البخارى (٢/ ٦٧٠، رقم ١٧٩٥)، ومسلم (٢/ ٨٠٧، رقم ١١٥١).

(٢) أخرجه البخارى (١/ ٢٢، رقم ٣٨)، ومسلم (١/ ٥٢٣، رقم ٧٦٠).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٩، رقم ٢٣٣).

(٤) أخرجه الترمذى (٥/ ٥٥٠، رقم ٣٥٤٥) وقال: حسن غريب.

مُسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴿١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِهَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى لِسَانِي، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.
أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ أَعْظَمَ مَا اسْتَعَدَّ الْمُؤْمِنُ لِهَذَا الشَّهْرِ التَّوْبَةُ إِلَى اللَّهِ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ، وَسُؤَالُ اللَّهِ الْإِعَانَةَ عَلَى الصَّيَامِ وَالْقِيَامِ، وَسُؤَالُهُ أَنْ يَرْزُقَكَ فِي هَذَا الشَّهْرِ تَوْبَةً نَّصُوحًا بِأَنْ تُكْثِرَ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ؛ عَلَّ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَكَ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ مِنَ الْمَقْبُولِينَ؛ فَالتَّوْبَةُ تَمْحُو مَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، وَهُوَ الْقَائِلُ -جَلَّ فِي عُلَاهُ- فِي حَدِيثٍ قُدْسِيٍّ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ

ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفْرَتُ لَكَ، وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوِ اتَّيَّنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَا تَتِيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»^(١).

وهو القائل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وَقَدْ جَاءَ فِي أَحْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ لَحِقَ بِهِمْ قَحْطٌ شَدِيدٌ عَلَى عَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَذَهَبُوا إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ؛ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يُغِيثَنَا الْغَيْثَ، فَقَامَ مَعَهُمْ وَقَدْ خَرَجُوا إِلَى الصَّحَرَاءِ وَعَدَدُهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَ، فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِهْنَأِ اسْقِنَا غَيْثَكَ، وَانْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ، وَارْحَمْنَا بِالْأَطْفَالِ الرُّضْعِ، وَالبَهَائِمِ الرُّثْعِ، وَالشُّيُوخِ الرُّكَّعِ. فَمَا زَادَتْ السَّمَاءُ إِلَّا تَقَشُّعًا، وَالشَّمْسُ إِلَّا حَرَارَةً، فَتَعَجَّبَ نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى مِنْ ذَلِكَ، وَسَأَلَ اللَّهَ عَنْ ذَلِكَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ فِيكُمْ عَبْدًا يُبَارِزُنِي بِالْمَعَاصِي مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَنَادِ فِي النَّاسِ حَتَّى يُخْرِجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ.

فَقَالَ مُوسَى: إِلَهِي وَسَيِّدِي، أَنَا عَبْدٌ ضَعِيفٌ وَصَوْتِي ضَعِيفٌ، فَأَيْنَ يَصِلُ صَوْتِي وَيُظْهَرُ وَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَ؟! فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى أَنْ مِنْكَ النَّدَاءُ وَمِنَّا الْبَلَاغُ، فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُنَادِيًا فِي النَّاسِ؛ قَائِلًا: يَا أَيُّهَا الْعَبْدُ الْعَاصِي الَّذِي يُبَارِزُ اللَّهَ بِالْمَعَاصِي مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً؛ اخْرُجْ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا، مِنْكَ وَمِنْ ذُنُوبِكَ مُنِعْنَا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ،

(١) أخرجه الترمذی (٥/ ٥٤٨، رقم ٣٥٤٠)، وقال: غريب.

فَقَامَ الْعَبْدُ الْعَاصِي، وَنَظَرَ ذَاتَ الْيَمِينِ، وَذَاتَ الشَّامِلِ، فَلَمْ يَرَ أَحَدًا خَرَجَ
فَعَلِمَ أَنَّهُ الْمَقْصُودُ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: إِنَّ أَنَا خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ هَذَا الْخَلْقِ
افْتُضِحْتُ عَلَى رُؤُوسِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِنْ قَعَدْتُ مَعَهُمْ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ
السَّمَاءِ بِشُؤْمِي وَشُؤْمِ ذَنْبِي وَمَعْصِيَتِي، فَمَا كَانَ مِنْ هَذَا الْعَبْدِ الْعَاصِي إِلَّا
أَنْ أَدْخَلَ رَأْسَهُ فِي ثِيَابِهِ نَادِمًا وَمَتَأَسِّفًا عَلَى فِعَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا إِلَهِي وَيَا
سَيِّدِي، عَصَيْتُكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَمْهَلْتَنِي، وَقَدْ أَتَيْتُكَ طَائِعًا تَائِبًا نَادِمًا
فَاقْبَلْنِي وَلَا تَفْضَحْنِي يَا كَرِيمُ، فَمَا أَكْمَلَ كَلَامَهُ حَتَّى ارْتَفَعَتْ سَحَابَةٌ
بَيْضَاءُ، فَأَمْطَرَتْ كَأَمْثَالِ الْقُرْبِ؛ حَتَّى ارْتَوَتْ الْأَرْضُ وَسَالَتِ الْأُودِيَةُ،
فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِلَهِي وَسَيِّدِي، سَقَيْتَنَا وَلَمْ تَخْرُجْ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا
أَحَدًا، فَقَالَ اللَّهُ: يَا مُوسَى أَسْقَيْتُكُمْ بِالَّذِي بِهِ مَنَعْتُكُمْ، فَقَالَ مُوسَى: إِلَهِي
أَرِنِي هَذَا الْعَبْدَ الطَّائِعَ التَّائِبَ، فَقَالَ اللَّهُ: يَا مُوسَى لَمْ أَفْضَحْهُ وَهُوَ
يَعْصِينِي، أَأَفْضَحْهُ وَهُوَ يُطِيعُنِي^(١)!!

فَاسْتَقْبَلُوا رَمَضَانَ بِالتَّشْمِيرِ عَنْ سَوَاعِدِ الْجَدِّ فِي اسْتِثْبَاقِ الْخَيْرَاتِ،
وَبِعَقْدِ الْعَزْمِ عَلَى اغْتِنَامِ فُرْصَتِهِ، فِي تَرْكِيبَةِ النَّفْسِ وَتَهْذِيبِهَا وَالْزَامَهَا
بِسُلُوكِ الْجَادَّةِ، وَقَطْعِ الصَّلَاةِ بِمَا ضَيَّ الْخَطَايَا وَسَابِقِ الْآثَامِ وَانْتِهَاجِ السَّبِيلِ
الْمَوْصِلِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَالْحِظْوَةِ عِنْدَهُ بِالدرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُم
رَبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

صَلُّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وعلى آلِهِ وصحبه أجمعين، وارْضَ اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين، والأئمة
المهديين أبي بكرٍ وعُمَرُ وعُثْمَانُ وعليٌّ، وعن الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وعنَّا معهم
بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين
يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم،
اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاريين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛
فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا في أوطاننا، وأُصْلِحْ أئِمَّتَنَا وُولاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وفقهم لما
يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جميلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم،
﴿﴾ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿﴾ [العنكبوت: ٤٥].

عشر ذي الحجة والأضحية

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: كُلُّنَا يُرِيدُ أَنْ يَتَعَبَّدَ لِلَّهِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، كُلُّنَا تَطْمَحُ نَفْسُهُ أَنْ يَنَالَ فِيهَا الْخَيْرَ وَالْأَجَرَ الْجَزِيلَ، وَمَنْ مِنَّا لَا يُرِيدُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمَشْكِلَةَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ هُوَ اسْتِحْضَارُهُ لِعَدَدٍ مِنَ الطَّاعَاتِ لَا يَقْوَى عَلَيْهَا، فَيَظُنُّ أَنَّهُ خَارِجَ الْمَنَافَسَةِ، وَيَأْسَى عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ لَمْ يُوفَّقْ لِلْخَيْرِ، وَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ.

إِنَّ مَفْهُومَ الْعِبَادَةِ مَفْهُومٌ وَاسِعٌ، وَمَنْ الَّذِي خَصَّصَهَا بِالصَّوْمِ أَوْ التَّبَكُّيرِ إِلَى الصَّلَوَاتِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْفَضَائِلِ؟! أَلَيْسَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ - كَمَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَمَلِ»^(١)، فهو يقول: «ما العمل» اسمُ جنسٍ، معرَّفٌ باللام، يدلُّ على العموم، أي: عموم العمل الصَّالح.

بَلْ رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ: «مَا مِنْ عَمَلٍ أَزْكَى عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ خَيْرِ تَعْمَلُهُ فِي عَشْرِ الْأَضْحَى»^(٢)، أَيْنَ أَعْمَالُ الْقُلُوبِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الْإِيمَانِ، كَمَا يَقُولُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣).

هَلْ زَاوَلَتْ إِحْسَانَ الظَّنِّ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ؟

هَلْ أَزَلَّتِ الْحَقْدَ وَالضَّغِينَةَ؟

هَلْ تَسَاحَتَتْ مَعَ الْآخَرِينَ؟

مَا فَايِدَةُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي نَزَاوَلُهَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، وَقُلُوبُنَا تَحْمِلُ الْحَقْدَ وَالْكِبْرَ وَالْغُرُورَ وَالتَّعَالِي؟

وَيَذْكُرُنَا هَذَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»^(٤).

أَيْنَ مَقَامَاتُ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ؟ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ تَعْظُمُ الْأَجُورُ فِي بَرِّهِمَا

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩/١)، رقم (٩٢٦).

(٢) أخرجه الدارمي (٤١/٢)، رقم (١٧٧٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩٠/٧).

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٥١/٥)، رقم (٥٧١٠).

وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا أَكْثَرُ مِنْ أَيِّ عَمَلٍ، وَحِينَما أَقُولُ: (بِرُّ الْوَالِدَيْنِ)، فَإِنِّي لَا أُرِيدُ فَقَطِ الْوَالِدَيْنِ الْكَبِيرَيْنِ الْهَرَمَيْنِ، كَمَا يَظُنُّ بَعْضُ الشَّبَابِ فَإِنَّ هَذَيْنِ يَدْخُلَانِ بِيَدَيْهِمَا الْخَاطِرُ؛ وَهَذَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَبْنَاءِ لَا يَسْتَحْضِرُ بَرَّهُ لَوَالِدَيْهِ إِذَا كَانَ وَالِدَاهُ لَمْ يَبْلُغَا الْكِبَرَ، بَلْ هُمَا دَاخِلَانِ وَلَكِنْ نَمَطَ الْبِرِّ وَنَوْعَهُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ السَّنِّ.

فَإِنَّ مِنْ مَظَاهِرِ بَرِّهِمَا إِذَا كَانَا غَيْرَ كَبِيرَيْنِ احْتِرَامَهُمَا، وَالتَّسَامُحَ عِنْدَ مَنْعِهِمَا لِشَيْءٍ لَشِدَّةِ خَوْفِهِمَا، وَإِظْهَارَ مَوَدَّتِهِمَا، وَتَقَبُّلَ نَصَائِحِهِمَا، وَمُشَارَكَتَهُمَا فِي بَعْضِ شُؤْنَيْهِمَا.

أَيُّنَ الصَّدَقَةِ وَالْإِحْسَانُ بِهَا قَلٌّ أَوْ كَثُرٌ، وَخَاصَّةً عَلَى الْأَهْلِ وَالْأَقَارِبِ وَالْمَحْتَاجِينَ؛ فَإِنَّ الصَّدَقَةَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، وَمَنْ مِنَّا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِأَقَلِّ الْقَلِيلِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، فَأَنْتَ إِذَا أَنْفَقْتَ دِرْهَمًا، فَإِنَّ جَزَاءَهُ سَبْعُمِائَةٍ دِرْهَمٍ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، فَهُوَ الْقَائِلُ: ﴿فِيضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، فَهُوَ يُضَاعِفُهُ لَهُ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ، بَلْ إِلَى أَكْثَرٍ - كَمَا جَاءَ - إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ نَمْرَةً فَتَرَبُّوْا فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ أَوْ فَصِيلُهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٥١١/٢)، رقم (١٣٤٤)، ومسلم (٧٠٢/٢)، رقم (١٠١٤).

بَلْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ لِرَجُلٍ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ يُرِيدُ أَنْ يَغْزُو غَزْوَ التَّطَوُّعِ، فَقَالَ لَهُ: «أَقِمْ عَلَى وَلَدِكَ، وَتَعَاهِدْهُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ»، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُ^(١).

بَلْ إِنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ يَرَى أَنَّ الصَّدَقَةَ أَفْضَلُ مِنْ حَجِّ التَّطَوُّعِ، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: «الصَّدَقَةُ أَفْضَلُ مِنَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ التَّطَوُّعِيِّ»، وَقَالَ بَعْضُ فُقَهَاءِ الْحَنَابِلَةِ: «وَصِيَّتُهُ بِالصَّدَقَةِ أَفْضَلُ مِنْ وَصِيَّتِهِ بِالْحَجِّ»^(٢). وَعَنِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ «بِأَنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى الْمُحْتَاجِ أَفْضَلُ مِنْ حَجِّ التَّطَوُّعِ»^(٣).

وَمِنْ ذَلِكَ صَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ لِغَيْرِ الْحَاجِّ، مَعَ أَنَّنَا نَرَى -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ- إِقْبَالًا عَظِيمًا مِنَ الصَّغَارِ وَالْكِبَارِ عَلَى صِيَامِ هَذَا الْيَوْمِ، وَكَيْفَ لَا يُصَامُ وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّهُ «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ»^(٤)، وَهَذَا فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ، وَكَرَمٌ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

وَهُنَاكَ مِنَ الطَّاعَاتِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ، يَسْتَطِيعُ الْجَمِيعُ أَنْ يُزَاوِلَهَا؛ مُسْتَشْعِرًا أَنَّهُ يَتَعَبَّدُ لِلَّهِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، وَيَجْتَهِدُ فِي الطَّاعَةِ مِنْ رَحْمَةِ الْأَبْنَاءِ، وَالتَّيْسِيرِ عَلَى الْأَهْلِ، وَالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ لِلنَّاسِ، وَأَنْ يَقُولَ لَهَا حُسْنًا وَحَسَنًا، وَكَفَّ الْأَذَى، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

(١) الفروع (١/ ٥٢٢)، والإنصاف (٢/ ١٦٢).

(٢) الإنصاف للمرداوي (٣/ ٢٦٦).

(٣) حاشية ابن عابدين (١/ ٤٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٨٢٠، رقم ١١٦٢).

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِهَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ
وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.
أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَعْمَالِ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ الْأَضْحِيَّةِ فِي يَوْمِ
الْعِيدِ: فَقَدْ «ضَحَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ»، كَمَا فِي
الصَّحِيحَيْنِ^(١)، وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي رِوَايَةٍ مُعَلَّقَةٍ: «سَمِينَيْنِ»^(٢).

بَلْ إِنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ ذَهَبَ إِلَى وُجُوبِهَا عَلَى كُلِّ قَادِرٍ، فَلَا تَحْرِمُ
نَفْسَكَ هَذَا الْفَضْلَ الْعَظِيمَ، فَيُسْرِعُ أَنْ يُضَحِّيَ عَنْ نَفْسِهِ، وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ،
يَذْبَحُهَا طَبِئَةً بِهَا نَفْسُهُ؛ مُتَقَرِّبًا بِهَا إِلَى اللَّهِ، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

(١) أخرجه البخاري (٢١١٣/٥)، رقم (٥٢٣٨)، ومسلم (١٥٥٧/٣)، رقم (١٩٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢١١٣/٥).

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يُضَحَّى إِلَّا بِالثَّنِيِّ مِنَ الْإِبِلِ، وَهُوَ مَا تَمَّ لَهُ خَمْسُ سِنِينَ،
وَالثَّنِيُّ مِنَ الْبَقَرِ، وَهُوَ مَا تَمَّ لَهُ سَتَانِ، وَالثَّنِيُّ مِنَ الْمَعِزِّ، وَهُوَ مَا تَمَّ لَهُ سَنَةٌ،
وَالجَذَعُ مِنَ الضَّأْنِ، وَهُوَ مَا تَمَّ لَهُ نِصْفُ سَنَةٍ، وَمَا دُونَ ذَلِكَ لَا يُجْزَى.

فَعَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْبَاعَةُ - أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ فِي أَسْنَانِ مَا تَحْلِبُونَ؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ
النَّاسِ لَا يَعْرِفُ السَّنَّ، وَإِنَّمَا يَكُلُّ الْأَمْرَ إِلَى ذِمَّتِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُ فَاسْأَلْ
أَهْلَ الْحَبْرَةِ فِي ذَلِكَ، وَلَا تَعْرِضْ شَيْئًا لَمْ يَبْلُغِ السَّنَّ الْمَجْزَى.

وَمِنْ أَخْطَاءِ بَعْضِ النَّاسِ أَنَّ أَيْ عَيْبٍ فِي الْأُضْحِيَّةِ يَطْنُهُ لَا يُجْزَى
ذَبْحُهَا، وَهَذَا فَهْمٌ غَيْرُ صَحِيحٍ؛ فَالْعُيُوبُ الَّتِي لَا تُجْزَى مَعَهَا الْأُضْحِيَّةُ
ذَكَرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ عُبَيْدِ بْنِ فَيْرُوزَ،
قَالَ: قُلْتُ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَدَّثَنِي عَمَّا كَرِهَ أَوْ نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَضَاحِي، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَكَذَا بِيَدِهِ
-وَبِيَدِي أَقْصَرُ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَرْبَعٌ لَا يُجْزَيْنِ فِي
الْأَضَاحِي: الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوْرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَرَجَاءُ الْبَيِّنُ
عَرَجُهَا، وَالْكَسِيرُ الَّتِي لَا تَنْقَى»، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ نَقْصٌ فِي
الْأُذُنِ وَالْقَرْنِ، قَالَ: فَمَا كَرِهْتَ فَدَعُهُ، وَلَا تُحَرِّمُهُ عَلَى غَيْرِكَ^(١).

فَذَكَرَ أَرْبَعَةَ عُيُوبٍ فَقَطْ:

الْعَرَجُ الْبَيِّنُ: وَهُوَ الَّذِي يَمْنَعُ مِنْ مُسَايَرَةِ الصَّحِيحَاتِ.

(١) أخرجه أحمد (٢٨٩/٤)، رقم (١٨٥٦٥)، وأبو داود (٩٧/٣)، رقم (٢٨٠٢)، والترمذي
(٨٥/٤)، رقم (١٤٩٧) وقال: حسن صحيح. والنسائي (٧/٢١٤) رقم (٤٣٦٩)، وابن ماجه
(٢/١٠٥٠)، رقم (٣١٤٤).

وَالْعَوْرُ الْبَيِّنُ: بِأَنْ تَكُونَ الْعَيْنُ عَوْرَاءَ بَارِزَةً أَوْ هَابِطَةً.
وَالْمَرَضُ الْبَيِّنُ: هُوَ الَّذِي يَظْهَرُ أَثَرُهُ عَلَيْهَا، وَمِنْهُ الْجَرْبُ وَاهْتِرَالُ الَّذِي
أَذْهَبَ مَخْجَهَا.

وَعَلَيْهِ فَتُجْزِئُ الْأُصْحِيَّةُ مَقْطُوعَةَ الْأُذُنِ، وَلَكِنْ مَعَ الْكَرَاهَةِ؛ لِحَدِيثِ
عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَسْتَشْرِفَ الْعَيْنَ
وَالْأُذُنَيْنِ، وَلَا نُصَحِّي بِعَوْرَاءَ، وَلَا مُقَابِلَةً، وَلَا مُدَابِرَةً، وَلَا خَرْقَاءَ، وَلَا
شَرْقَاءَ»^(١)، وَهَذِهِ الْأَوْصَافُ طُرُقٌ لِشَقِّ الْأُذُنِ عِنْدَ النَّاسِ.

وَكَذَلِكَ تُجْزِئُ الْأُصْحِيَّةُ إِذَا كَانَتْ مَكْسُورَةً الْقَرْنِ، وَكَذَلِكَ الَّتِي
سَقَطَتْ أَسْنَانُهَا؛ إِلَّا أَنْ تَكُونَ كَبِيرَةً لَا مُخَّ فِيهَا، وَكَذَلِكَ مَقْطُوعَةُ الذَّنْبِ،
وَأَمْثَالُهَا تُجْزِئُ مَعَ الْكَرَاهَةِ.

أَمَّا مَا قُطِعَتْ إِلَيْتُهُ مِنَ الضَّأْنِ فَإِنَّهُ لَا يُجْزِئُ؛ لِأَنَّ الْإِلْيَةَ لَهَا قِيَمَةٌ، إِلَّا إِنْ
كَانَتْ مِنْ نَوْعٍ لَا إِلْيَةَ لَهُ فِي أَصْلِ الْخِلْقَةِ، فَلَا بَأْسَ بِهِ.

وَالْبَعْضُ مِنَ النَّاسِ يَتَحَرَّجُ مِنَ الْكَبْشِ الْخَصِيِّ، وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، فَقَدْ
جَاءَ عِنْدَ أَحْمَدَ فِي مُسْنَدِهِ وَغَيْرِهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحَّى بِكَبْشَيْنِ
مَوْجُؤَيْنِ^(٢)، أَيْ خَصِيَّيْنِ، وَالْإِجْمَاعُ مَنْعَقِدٌ عَلَى إِجْرَائِهِ، بَلْ إِنَّ تَمَيُّزَ الْخَصِيِّ مِنْ
حَيْثُ أَنَّهُ أَطْيَبُ لَحْمًا فِي الْغَالِبِ فَهُوَ أَفْضَلُ.

(١) أخرجه أحمد (١٠٨/١)، رقم (٨٥١)، وأبو داود (٩٨/٣)، رقم (٢٨٠٤)، والترمذي (٨٧/٤)،
رقم (١٤٩٨)، والنسائي (٥٥/٣)، رقم (٤٤٦٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٥/٦)، رقم (٢٥٩٢٨)، وأبو داود (٩٥/٣)، رقم (٢٧٩٥).

واعْلَمُوا أَنَّ الْأُضْحِيَّةَ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ بِشَمَنِهَا؛ لِأَنَّهَا شَعِيرَةٌ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ.

حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ: اسْتَحْضِرُوا وَأَنْتُمْ تَتَهَيَّؤْنَ لِلْسَفَرِ أَنْكُمْ سَائِرُونَ لِإِجَابَةِ رَبِّكُمْ جَلَّ وَعَلَا، ﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]، اسْتَحْضِرُوا تَيَسِّرَ اللَّهُ لَكُمْ بِالْإِعَانَةِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَسَهَّلَ الْوُصُولَ إِلَى بَيْتِهِ مِنْ غَيْرِ كُلْفَةٍ وَلَا مَشَقَّةٍ.

وَاحْرِضُوا عَلَى تَطْبِيقِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ الْقَائِلُ: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»^(١).

فَاللَّهُمَّ يَسِّرْ عَلَى الْحُجَّاجِ حَجَّهُمْ، وَاحْفَظْهُمْ، وَأَعِنُّهُمْ، وَاكْلَأْهُمْ بِرِعَايَتِكَ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ

(١) أخرجه مسلم (٢/٩٤٣، رقم ١٢٩٧).

باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضال المسلمين، اللهم رُدَّهم إليك ردًّا جميلًا، اللهم ارفع ما نزل من الفتن، اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] ،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



أكل الطيبات

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَافْتَقَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله - عِبَادَ اللَّهِ - حق التقوى، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

معاشر الإخوة: خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وجمله وحسنه، وكمل خلقته، وخلق له الطيبات من المأكول والمشرب، ونهاه عن أكل الخبيث المحرم، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ

السَّفَرِ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبَّ يَا رَبَّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ»^(١).

قال ابن رجب: «والمراد بهذا أن الرُّسُلَ وأُمَمَهُم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال، وبالعَمَلِ الصالح، فما دام الأكل حلالاً، فالعملُ الصالحُ مقبولٌ، فإذا كان الأكل غيرَ حلالٍ فكيف يكون العمل مقبولاً؟»^(٢)، ومن أعظم ما يحصل به طيبُ الأعمال للمؤمن من طيبِ مطعمه، وأن يكون من حلالٍ، فبذلك يزكو عمله، وفي هذا الحديث إشارةٌ إلى أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ الْعَمَلُ وَلَا يَزْكُو إِلَّا بِأَكْلِ الْحَلَالِ، وَإِنَّ أَكَلَ الْحَرَامِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ، وَيَمْنَعُ قَبُولَهُ.

فهُنَاكَ عِلَاقَةٌ بَيْنَ أَكْلِ الطَّيِّبَاتِ وَبَيْنَ قَبُولِ الْأَعْمَالِ، وَعِلَاقَةٌ بَيْنَ أَكْلِ الْخَبَائِثِ وَضَعْفِ قَبُولِ الْأَعْمَالِ، وَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَأْتِ مِنْ مَضَارِّ أَكْلِ الْحَرَامِ إِلَّا هَذِهِ لَكَفَى بِهَا رَادِعًا، هَلْ شَرِبُ الْخَمْرِ وَأَكْلُ الْمَخْذَرَاتِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي تَزْكُو مَعَهَا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ؟! كَلَّا وَاللَّهِ، وَالِدَلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْعِلَاقَةِ الْمَخِيفَةِ مَا جَاءَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَشْرَبُ الْخُمْرَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي فَيَقْبَلَ اللَّهُ مِنْهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»^(٣)، فَانْظُرْ كَيْفَ حُرِمَ أَجْرُ هَذِهِ الصَّلَاةِ وَثَوَابُهَا!

وعجباً لصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ مَنْ أَدْمَنُواهَا وَأَلْفُوهَا

(١) أخرجه مسلم (٧٠٣/٢)، رقم (١٠١٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص: ١٠٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٠/٤)، رقم (١٨٦٢)، والنسائي (٣١٤/٨)، رقم (٥٦٦٤)، والحاكم (٣٨٨/١)، رقم (٩٤٥) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

وَأَحَبُّهَا وَفُتِنُوا بِهَا، لَكِنَّهُمْ لَمَّا جَاءَ نَهْيُ اللَّهِ أَرَأَقُوهَا، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ
عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ
الْفَضِيخَ^(١)، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَادِيًا يُنَادِي: أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ
حُرِّمَتْ، قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: أَخْرُجْ فَأَهْرِقْهَا، فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا، فَجَرْتُ
فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: قَدْ قُتِلَ قَوْمٌ وَهِيَ فِي بُطُونِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ:
﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [المائدة: ٩٣] الآية.

هذا حال من أذمناها وهي مباحة له، فكيف بمن نشأ على أكل الطيب
وكبر وأسَنَ ثم انتكس على شربٍ وأكلٍ هذا المحرَّم، عصى الله على بصيرةٍ
وعقلٍ وعلمٍ بالعقوبات، ففي صحيح مسلم عن جابر عن النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْخَمْرَ أَنْ
يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخُبَالِ». قالوا: يا رسول الله: وما طينة الخبال؟ قال: «عَرَقُ
أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عُصَاةُ أَهْلِ النَّارِ»^(٢).

وفي المسند عن أبي أمامة مرفوعاً: «أَقْسَمَ رَبِّي بِعِزَّتِهِ: لَا يَشْرَبُ عَبْدٌ مِنْ
عِبِيدِي جُرْعَةً مِنْ خَمْرٍ، إِلَّا سَقَيْتُهُ مَكَائِهَا مِنْ حَمِيمِ جَهَنَّمَ، مُعَذِّبًا أَوْ مَغْفُورًا لَهُ»^(٣).

وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ شَرِبَ
الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ»^(٤)، وفي رواية: «فَمَاتَ وَهُوَ مُدْمِنُهَا»^(٥)،

(١) أخرجه البخاري (٦/٢٦٤٩، رقم ٦٨٢٦)، ومسلم (٣/١٥٧١، رقم ١٩٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٣/١٥٨٧، رقم ٢٠٠٢).

(٣) أخرجه أحمد (٥/٢٥٧، رقم ٢٢٢٧٢).

(٤) أخرجه مسلم (٣/١٥٨٨، رقم ٢٠٠٣).

(٥) أخرجه أحمد (٢/٩٨، رقم ٥٧٣٠).

وفي رواية: «ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا»^(١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفّعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الدّاعي إلى جنّته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.
أَمَّا بَعْدُ:

إخوتي في الله! وَإِنْ مَّا ابْتُلِيَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ شَرِبَ الدُّخَانَ، وقد أجمعت المجامع الفقهية وأهل الفتوى على تحريمه، وأنه من الخبائث، ولا يكاد يُذَكَّرُ الدُّخَانُ إِلَّا وَمَعَهُ الْأُمْرَاضُ الشَّنِيعَةُ الْمُخَوِّفَةُ كَسَرطَانِ الرَّئِثَةِ، وسرطان الحنجرة، وسرطان الشفة، وسرطان البلعوم، وسرطان المريء، وسرطان الفم، وسرطان اللسان، وسرطان البنكرياس، وسرطان المثانة،

(١) أخرجه البخاري (٥/٢١١٩، رقم ٥٢٥٣)، ومسلم (٣/١٥٨٨، رقم ٢٠٠٣).

وسرطان الكلى، سموماً تفتك بالصحة، وتقود إلى الهلاك.

ومن المحزن جداً أن ترى شاباً في مقتبل عمره قد وقع فريسةً لهذا الداء، والمحزن أكثر حينما يكون الأب هو سبب سقوط هذا الابن في شباك التدخين، فحينما يكون الأب مُدخناً فإن أسباب وقوع الابن فيه كبيرة.

أي ذنب لابن في مقتبل عمره حينما يرى أباه أو أخاه الأكبر مُدخناً وهم قدوثه في بيته وخارجها؟!!

أين ضمير الآباء حينما يرون -شأؤوا أم أبوا- أن ابنهم يعدُّهم قدوته في راحة العقل، وسلامة التفكير، وقوة الإرادة، ومع ذلك يَقعون فيه؟!!

هل نطلب من الابن الصغير أن يُكَبِّر عقله، ويقول: هذا نافعٌ وهذا ضارٌّ، والأب الكبير لا نطلبه بأعظم من ذلك؟!!

إنني أخطب كلَّ أب، وكلَّ أخٍ أكبر، أن يتقي الله في أبنائه وإخوانه، بأن يكون قدوةً لهم، وما أكثر ما نسمعُ هذه الإجابة حينما يُسأل الشخص: كيف دخنت؟ فيجيب: أبي أو أخي كان مدخناً.

أيها الشاب! كثيرٌ من أقرانك وأترابك يعيشون معك ولم يقعوا فيه، هل هم أكثر عقلًا منك؟! أهْم على حياتهم أشدَّ حرصًا منك على حياتك؟! كيف استطاعوا أن يحموا أنفسهم؟! كيف تجاوزوا هذا المارد الخطير دون أن يقعوا فيه؟!!

وإننا بحمدِ الله نرى قافلة التائبين من هذا الداء زرافاتٍ ووحدانًا، في كلِّ يومٍ نسمع من يترك هذا الداء، إمَّا عن طريق العيادات المتخصصة أو

غيرها، تَقَلَّلَ من الشر في كُلِّ يومٍ، تَقَلَّلَ منه حتى ترى أنك أَلِفْتَ تركه، حاول ولا تَسْتَسْلِمَ، «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ»^(١).

وَيَا وَيْلَ مَنْ تاجر بهذه المحرّمات، سَيَلَقَى اللهَ بِسؤالٍ عظيمٍ: «مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَ مَالَكَ؟ وَفِيمَ أَنْفَقْتَهُ»^(٢)، سؤالٌ عظيمٌ تكون إجابته: بإضلال عبادِ الله، وإمراضهم، وتأكيلهم الحرام، ونعوذ بالله من الخسران.

اللَّهُمَّ عَافِ كُلَّ مُبْتَلًى بِالْخُمُورِ وَالْمَخْذِرَاتِ وَالذُّخَانِ، اللَّهُمَّ عَافِهِ وَأَعِنَهُ عَلَى الْخُلَاصِ مِنْهُ، واجْعَلْهُ يَلْقَاكَ طَيِّبَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصحبه أجمعين، وارِضْ اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين، وَالْأئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وعن الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وعنَّا معهم بعفوك وكرَمِك يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحارِبِينَ، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

(١) أخرجه البخاري (٥٣٤/٢)، رقم (١٤٠٠)، ومسلم (٧٢٩/٢)، رقم (١٠٥٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٦١٣/٤)، رقم (٢٤١٧).

اللَّهُمَّ آمِنَا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلَحْ أَمْتَنَا، وَوَلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا.

اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] ،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



السوق

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيَكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، ﴿وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الْأَمَنِ الَّذِي تَكْفُلُ اللَّهُ بِهِ لِأَهْلِ مِلَّتِهِ هُوَ الْأَمْنُ الْأَقْتَصَادِيُّ، هَذَا الْأَمْنُ عِبَادُهُ هُوَ الْقَضَاءُ عَلَى مَقُولَةٍ: (مَالِي، وَأَفْعَلُ بِهِ مَا أَشَاءُ)، وَلَقَدْ قَصَّ اللَّهُ لَنَا قِصَّةَ قَوْمٍ قَالُوا هَذِهِ الْكَلِمَةُ فَصَارَتْ نَهَائْتُهُمْ وَخِيَمَةً، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوَّمُ عِبَادُوا اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٨٤]، أَي: أَحْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُشْرِكُونَ بِهِ، وَكَانُوا -مَعَ شُرِكِهِمْ- يَبْخَسُونَ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، وَلِهَذَا نَهَاَهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ [هود: ٨٤]، بَلْ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ، ﴿إِنِّي أَرَىكُمْ يَخْتَرُونَ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ [هود: ٨٤]، أَي:

بنعمة كثيرة، وصحة، وكثرة أموال وبنين، فاشكروا الله على ما أعطاكم، ولا تكفروا بنعمة الله، فيزيلها عنكم، فيصيبكم عذابٌ يحيط بكم، ولا يُبقي منكم باقية. ﴿وَيَقَوْمٌ أَزْهَوُوا الْإِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [هود: ٨٥]، أي: بالعدل الذي ترضون أن تعطوه، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [هود: ٨٥]، أي: لا تنقصوا من أشياء الناس، فتسرقوها بأخذها، بنقص المكيال والميزان، ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: ٨٥]، فإن الاستمرار على المعاصي، يُفسد الأديان، والعقائد، والدين، والدنيا، ويهلك الحرث والنسل، ﴿بَقِيَ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٦]، أي: يكفيكم ما أبقي الله لكم من الخير، وما هو لكم، فلا تطمعوا في أمرٍ لكم عنه غنية، وهو ضارٌ لكم جدًا. فلا تذهبوا إلى الحرام، فليس فيه خير، وإن رأيتموه خيرًا، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [هود: ٨٦]، أي: لستُ بحافظٍ لأعمالكم، ووكيلٍ عليها، وإنما الذي يحفظها الله تعالى، وأما أنا فأبلغكم ما أُرسلتُ به. فماذا كان ردُّ هؤلاء على هذا النصيح المشفق، ﴿قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلَوْلَكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [هود: ٨٧]، أي: قالوا ذلك على وجه التهكم بنبيهم، والاستبعاد لإجابتهم له.

وَمَعْنَى كَلَامِهِمْ: أَنَّهُ لَا مُوجِبَ لِنَهْيِكَ لَنَا، إِلَّا أَنَّكَ تُصَلِّيَ لِلَّهِ، وَتَتَعَبَّدَ لَهُ، أَفَإِنْ كُنْتَ كَذَلِكَ، أَفَيُوجِبُ لَنَا أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، لِقَوْلِ لَيْسَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ إِلَّا أَنَّهُ مُوَافِقٌ لَكَ، فَكَيْفَ نَتَّبِعُكَ، وَنَتْرَكَ آبَاءَنَا الْأَقْدَمِينَ أُولِي الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ؟! وَكَذَلِكَ لَا يُوجِبُ قَوْلُكَ لَنَا: ﴿أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا﴾ [هود: ٨٧]، مَا قُلْتَ لَنَا، مِنْ وَفَاءِ الْكَيْلِ، وَالْمِيزَانِ، وَأَدَاءِ الْحَقُوقِ الْوَاجِبَةِ فِيهَا، بَلْ لَا نَزَالَ

نَفْعُلُ فِيهَا مَا شِئْنَا، لِأَنَّهَا أَمْوَالُنَا، فَلَيْسَ لَكَ فِيهَا تَصَرُّفٌ. وَلِهَذَا قَالُوا فِي تَهْكِمِهِمْ: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، أَي: أَتِنَّكَ أَنْتَ الَّذِي، لَكَ الْحِلْمُ وَالْوَقَارُ خُلُقٌ، وَالرُّشْدُ لَكَ سَجِيَّةٌ، أَي: لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ. فَرَدَّ عَلَيْهِمْ: ﴿يَقُومُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَيْنِ مِنْ رَبِّي﴾ [هود: ٨٨]، أَي: يَقِينٌ وَطَمَأْنِينَةٌ، فِي صَحَّةِ مَا جِئْتُ بِهِ، ﴿وَزَرَفَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [هود: ٨٨]، أَي: أَعْطَانِي اللَّهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا أَعْطَانِي. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَضَكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨]، فَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ أَنهَأَكُمْ عَنِ الْبَخْسِ، فِي الْمِكْيَالِ، وَالْمِيزَانِ، وَأَفْعَلَهُ أَنَا، وَحَتَّى تَتَطَرَّقَ إِلَيَّ التَّهْمَةُ فِي ذَلِكَ. بَلْ مَا أَنهَأَكُمْ عَنْ أَمْرِ إِلَّا وَأَنَا أَوَّلُ مُبْتَدِرٍ لتركه، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨]، أَي: لَيْسَ لِي مِنَ الْمَقَاصِدِ إِلَّا أَنْ تَصْلَحَ أَحْوَالُكُمْ، وَتَسْتَقِيمَ مَنَافِعُكُمْ، وَلَيْسَ لِي مِنَ الْمَقَاصِدِ الْخَاصَةِ لِي وَحْدِي، شَيْءٌ بِحَسَبِ اسْتَطَاعَتِي. ثُمَّ دَفَعَ تَرْكِيَةَ نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

إِنَّ سُعْيَنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ تَكَلَّمَ عَنِ الْأَمْنِ الْاِقْتِصَادِيِّ، وَخَطَرَ الْأَزْمَاتِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ الَّتِي تُسَبِّبُهَا أُمُورٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَعْظَمِهَا انْعِدَامُ أَخْلَاقِيَّاتِ السُّوقِ، وَالْغَدْرُ وَالشُّحُّ وَالْأَنَانِيَّةُ، وَخِشْيَةُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَوَاقِبِ ذَلِكَ، وَوَاللَّهُ إِنْ عَوَاقِبَ اخْتِلَالِ الْأَسْوَاقِ وَأَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَعْظَمِ وَأَخْطَرِ الْعُقُوبَاتِ الْإِلَهِيَّةِ.

وَلْتَنَاقِلْ إِلَى قَوْلِ كُفَّارِ مَكَّةَ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِينَمَا دَعَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِسْلَامِ بِمَا فِيهِ مِنْ عِلَاقَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ وَعِلَاقَتِهِ بِغَيْرِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا إِن تَنْبِئُ الْمُدَى مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٢٥].

[٥٧]، أي: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخَطَفُ﴾ بالقتل والأسر ونهب الأموال، فإنَّ النَّاسَ قد عَادَوْكَ وخَالَفُوكَ، فلو تَابَعْنَاكَ لتَعَرَّضْنَا لمَعَادَاةِ النَّاسِ كُلِّهِمْ، ولم يكن لنا بهم طَاقَةٌ. وهذا الكلام منهم، خوفاً على أَمْنِهِمْ واقتصادِهِمْ، لكنَّهُ يَدُلُّ على سوء الظنِّ بالله تعالى، وأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ دينَهُ، فقال اللهُ مَبِينًا لَهُمْ حَالَهُ اخْتَصَمَهُمُ اللهُ بِهَا، فقال: ﴿أَوَلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمَاءُ إِمْنَا يُجِبْنَ إِلَيْهِ ثَمَرْتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾، أي: أَوَلَمْ نجعلهم متمكِّنين [مُكَمِّينَ] في حرم يكثُرُه المتتابعون ويقصده الزائرون، قد احترمه البعيدُ والقريبُ، فلا يُهاجِ أهْلُهُ، ولا ينتقصون بقليل ولا كثير، والحالُ أَنَّ كُلَّ ما حولهم مِنَ الأماكن، قد حَفَّ بها الخوفُ مِن كُلِّ جانبٍ، وأهلُها غيرُ آمِنِينَ ولا مُطمَئِنِّينَ، فَلْيَحْمَدُوا رَبَّهُمْ على هذا الأَمْنِ التَّامِّ، الذي ليس فيه غيرهم، وعلى الرِّزْقِ الكثيرِ، الَّذِي يَجِيءُ إِلَيْهِمْ مِن كُلِّ مَكَانٍ، مِنَ الثَّمَرَاتِ وَالْأَطْعِمَةِ وَالْبَضَائِعِ، ما بِهِ يَرْزُقُونَ ويتوسَّعون. وَلْيَتَّبِعُوا هذا الرَّسُولَ الْكَرِيمَ، لِيُتِمَّ لَهُمُ الأَمْنُ والرَّغَدُ. وإِيَّاهُمْ وتكذيبَهُ، والبَطَرُ بِنِعْمَةِ اللهِ، فَيَبْذُلُوا مِن بَعْدِ أَمْنِهِمْ خوفاً، وبعْدَ عِزِّهِمْ ذُلًّا وبعْدَ غِنَاهُمْ فَقْرًا، ولهذا تَوَعَّدَهُمْ بما فَعَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَهُمْ، فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرَبٍ بِطَرَتِ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: ٥٨]، أي: فَخَرَّتْ بِهَا، وأَهْلَتْهَا، واشتَغَلَتْ بِهَا عَنِ الإِيْمَانِ بِالرُّسُلِ، فأهْلَكَهُمُ اللهُ، وَأَزَالَ عَنْهُمْ النِّعْمَةَ، وأَحْلَلَ بِهِمُ النِّقْمَةَ. ﴿فَإِنَّكَ مَسْكُونُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [القصص: ٥٨]، لِتَوَالِي الهَلَاكِ والتَّلَفِ عَلَيْهِمْ، وإِيحَاشِهَا مِنْ بَعْدِهِمْ. فَعَلِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَخَالَفَةَ أَمْرِ اللهِ فِي النِّظَامِ الاقْتِصَادِيِّ هُوَ مُوجِبٌ لِسَخَطِ اللهِ وَعَقُوبَتِهِ.

أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿لَا يَلْفُ قَرِيشٌ ۖ﴾ ① إِلَيْهِمْ رِحْلَةً

الشَّيْءَ وَالصَّيْفَ ﴿١﴾ [قريش: ١-٢].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ تَعْظِيمًا لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.
أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: مَا حَدَّثَ فِي الْأَيَّامِ الْمَاضِيَةِ مِنْ انْتِشَارِ كَذِبَةِ الزُّبُنِ الْأَحْمَرِ^(١)، وَاضْطِرَابِ بَعْضِ النَّاسِ فِي مَعَاشِهِمْ وَأَخْلَاقِيَّاتِهِمْ، بَلْ وَفِي عُقُولِهِمْ، هُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَجْتَمَعَ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ وَكَبِيرَةٍ إِلَى زِيَادَةِ التَّوَعُّيَةِ عَنْ أَهْمِيَّةِ الْأَمْنِ الْاِقْتِصَادِيِّ وَأَخْلَاقِيَّاتِ السُّوقِ، كَمْ تَضَرَّرَ مِنْ مُسْلِمٍ فِي هَذِهِ الْكِذْبَةِ الْحَقِيرَةِ؟!

ضَبِطَتْ أَكْثَرُ مِنْ حَالَةٍ لِلسَّرِقَةِ عَلَى الْبُيُوتِ وَالْمَحَلَّاتِ، بَلْ وَفِي

(١) انتشر بين الناس أن بعض مكائن الخياطة القديمة تُشترى بغالي الأثمان لأن فيها مادة تُسمى بالزُّبُنِ الْأَحْمَرِ، وهو نادر ونفيس، فأصبحت هذه المكائن تُشترى وتُعرض في الأسواق، ويُبالغ في الكذب بأسعارها.

المدارس، كما نَشَرَتِ الصُّحُفُ المحليَّةُ ذلكَ، بَلْ وَنَقَلَتِ شِجَارًا بَيْنَ الإِخْوَةِ فِي السُّوقِ وَأَمَاكِنِ البَيْعِ.

والسُّؤالُ الذي يَحْتَاجُ مِنَّا إلى تَأَمُّلٍ وانتباهٍ حتى لا نُكَرِّرَ الخطأَ مرَّةً أُخْرَى؟ مَنِ المُسْتَفِيدُ مِنْ زَلْزَلَةِ السُّوقِ، وَنَقْلٍ مِثْلِ هَذِهِ الشَّائِعَةِ؟ إِنَّ المُسْتَفِيدَ مِنْ ذَلِكَ جِهَاتٌ كَثِيرَةٌ، مِنْ أَعْظَمِهِمْ أَرْبَابُ المَحْرَمَاتِ، وَأَكَلَةُ الحَرَامِ، وَعِصَابَاتُ الإِجْرَامِ، وَمِنْ أَعْظَمِهِمْ أَرْبَابُ الجَرِيمَةِ المُنَظَّمَةِ، وَمَا يُسَمَّى بِتَبْيِضِ الأَمْوَالِ، أَوْ غَسِيلِهَا، وَالمَتَضَرِّرُ مِنْ هَذَا هُوَ سُوقُ المُسْلِمِينَ، فَإِنَّ مِثْلَ هَذِهِ العَمَلِيَّاتِ المَحْرَمَةِ والقَدْرَةِ تُؤَدِّي إلى انتِشَارِ الجُرَائِمِ، وَزِيَادَةِ عَدَدِ المَجْرِمِينَ، وَلِهَذَا فَإِنَّ أَعْظَمَ مَسْئُولِيَّةٍ عَلَى جِهَازِ الأَمْنِ وَالْحِسْبَةِ هُوَ مُرَاقَبَةُ سُوقِ المُسْلِمِينَ، وَمتَابَعَةُ مِثْلِ هَذِهِ الشَّائِعَاتِ الَّتِي تُدَمِّرُ أَمْوَالَ النَّاسِ وَأَمْنَهُم.

وَلَقَدْ قَامَتِ الدَّوْلَةُ -بِحَمْدِ اللَّهِ- بِأَجْهَازِهَا المَعْنِيَّةِ بالتَّضْيِيقِ عَلَى هَذِهِ الشَّائِعَةِ، وَمُتَابَعَةِ المَرْجُوحِينَ لِهَذِهِ الكِذْبَةِ؛ حَسْمًا لِلشَّرِّ، وَحِفَاطًا عَلَى الأَمْنِ الاِقْتِصَادِيِّ فِي بِلَادِ الإِسْلَامِ.

واعلموا -أيُّهَا الإِخْوَةُ- أَنَّ مَا تَلَاحَقَ عَلَى المُسْلِمِينَ مِنْ مَصَائِبَ فِي أسْوَاقِهِمْ فِي السَّنَاتِ الأَخِيرَةِ إِنَّهَا هِيَ نُذْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ، فَلَا زَالَتِ تَدَاعِيَاتُ المَسَاهِمَاتِ العَقَارِيَّةِ المَتَعَثِّرَةِ مُزْزَلَّةً لكَثِيرٍ مِنَ اليُّتُوتِ، وَالَّتِي رَاحَ صَحِيَّتُهَا كَثِيرٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، ثُمَّ تَبِعَهَا الانْهِيَارُ العَظِيمُ لَلْأُسْهُمِ، وَمَا سَبَّبَهُ مِنْ تَرَائِكُمِ الدُّيُونِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، حَتَّى ضَاعَتْ كَثِيرٌ مِنَ الأُسْرِ وَتَشَتَّتَتْ، بَلْ رَاحَ صَحِيَّتُهَا أَنْفُسٌ، ثُمَّ مَا تَبِعَهَا مِنْ غَلَاءِ الأَسْعَارِ، وَضعْفِ المعيشَةِ، وَكُلُّ هَذَا فِي سِنَوَاتٍ قَلِيلَةٍ، تِلْكَمُ وَاللَّهِ نُذْرٌ عَظِيمَةٌ.

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ بَلَّوْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بُرُكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

فأعظم ما يهدد السوق والاقتصاد في المجتمع المسلم هو انتشار الكذب والغش والغدر، سمعنا في هذه الحادثة من ختل واحتال وغدر بالمسلمين والضعفاء، أين أخلاقيات السوق المسلم في ذم الغدر؟! أين الغادر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين من حديث ابن عمر، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ، فَيُقِيلُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ»^(١).

وختامًا -أيها الإخوة- إن مثل هذه الحادثة إن لم تُستثمر في التوعية المجتمعية وزيادة وعي الناس بأن أول واجب يفرضه ربك في المعاملات هو المحافظة على سوق المسلمين وأموالهم، وأن لا يتحول الناس إلى سباع ضارية يأكل الذكي الغبي، والغني المحتاج، والكبير الصغير، لا بد أن تسري ثقافة أخلاقيات السوق والاقتصاد في المجتمع، فلقد أبانت هذه الحادثة عوزًا وضعفًا في كثير من فئات المجتمع، واليوم مكيته، وغداً بهيمته.

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٨٥، رقم ٥٨٢٣)، ومسلم (٣/ ١٣٥٩، رقم ١٧٣٥).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ
فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي
بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

أخذ ما ليس لك

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله جَلَّ وَعَلَا، ﴿وَيَحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

معشر الإخوة: قال ربنا لأبينا آدم وأمنا حواء وهما في الجنة: ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، فأباح لهما الأكل مما شاءا، إلا أنه نهاهما عن هذه الشجرة، وقال: إنها ليست لكما، ولا تملكان الأكل منها، ولهذا قال: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾؛ لأنكما تعدّيتما على ما ليس لكما، وأخذتما ما ليس لكما فيه حق، ولكن الشيطان زين لهما، ووسوس لهما، وجمل لهما الأكل منها.

فماذا كانت عاقبة هذا الاعتداء على ما ليس لهما؟

عوقبا بإخراجهما من الجنة إلى دار البلاء والنكد والكبد، وما أعظمها من عقوبة، ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]. ما أشد عاقبة أخذ ما ليس لك، وادعائه، وامتلاكه بطريق غير صحيحة؟!

فكم من مُدَّعٍ لِمَالٍ ليس له!

وكم من ممتلك أرضاً ليست ملكه!

وكم من مُطَالِبٍ بِإِرْثٍ ليس له فيه نصيب!

وكم من جاحِدٍ عاريةٍ ليست له!

وكم مُدَّعٍ وَظيفَةٍ ليست له!

إلى غير ذلك...

وقد وردت النصوص العظيمة بالنهي عن أخذ ما ليس لك، وادعائه على أنه لك.

وتأملوا هذا الوعيد الشديد في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا وَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

قال شراح الحديث: «هو أن يدَّعي ما ليس له من نسب، أو مال، أو حق من الحقوق، أو عمل من الأعمال، أو يزعم صفة فيه يستغلها،

(١) أخرجه مسلم (١/ ٨٠)، رقم (٦١).

ويصرفُ بها وجوهَ الناسِ إليه. يدَّعي علماً من شَرع، أو طبَّ، أو غيرَهما، ليكسب من وراء دعواه، فيكون ضرُّه عظيماً، وشرُّه خطيراً. أو يخاصم في أموال الناس عند الحكام، وهو كاذبٌ، فهذا عذابه عظيم، إذ تبرأ منه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمره أن يختار له مَقَرًّا في النار؛ لأنه من أهلها»^(١).

وقال النووي معلقاً على هذا الحديث: «وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَحْرِيمُ دَعْوَى مَا لَيْسَ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ سَوَاءٌ تَعَلَّقَ بِهِ حَقٌّ لِغَيْرِهِ أَمْ لَا، وَفِيهِ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ مَا حَكَمَ لَهُ بِهِ الْحَاكِمُ إِذَا كَانَ لَا يَسْتَحِقُّ»^(٢).

فذكر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له عقوبتين:

الأولى: أنه ليس منا.

والثانية: أن يتبوأ ويختار له مقعداً في النار، نسأل الله السلامة والعافية.

كم هم الذين يدعون الأموال على الناس بغير وجه حقٍّ، ويطالبونهم بأموالٍ ليست لهم، ويرفعون القضايا والادعاءات، ويُنهونها إما في المحاكم أو الصلح، وهم يعلمون أنهم ظالمون، وأنهم أخذوا أموالاً ليست لهم.

وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ الْمَالَ الْحَرَامَ لَا يُحِلُّهُ حُكْمُ قَاضٍ، أَوْ صُلْحُ مُصْلِحٍ، مَا دَامَ أَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّكَ ظَالِمٌ، وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ

(١) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (٢/ ٢٨٩).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٥٠).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ؛ فَلَا يَأْخُذْهَا»^(١)، زاد ابن ماجه: «يَأْتِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

وتأملوا هذه المخاصمة الشريفة عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه أحمد في مسنده عن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ يَخْتَصِمَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوَارِيثَ بَيْنَهُمَا قَدْ دُرِسَتْ، لَيْسَ بَيْنَهُمَا بَيِّنَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ - أَوْ قَدْ قَالَ: لِحُجَّتِهِ - مِنْ بَعْضٍ، فَإِنِّي أَقْضِي بَيْنَكُمْ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ؛ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ يَأْتِي بِهَا إِسْطَاطًا فِي عُنُقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فَبَكَى الرَّجُلَانِ، وَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: حَقِّي لِأَخِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا إِذْ قُلْتُمَا فَادْهَبَا، فَاقْتَسِمَا، ثُمَّ تَوَخَّيَا الْحَقَّ، ثُمَّ اسْتَهِمَا، ثُمَّ لِيَحْلِلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ»^(٣).

ما أجملها من خصومةٍ حينما تكون القلوب صافية خائفةً من الله جَلَّ وَعَلَا!

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ

(١) أخرجه البخاري (٩٥٢/٢)، رقم (٢٥٣٤)، ومسلم (١٣٣٧/٣)، رقم (١٧١٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٧٧٧/٢)، رقم (٢٣١٧).

(٣) أخرجه أحمد (٣٢٠/٦)، رقم (٢٦٦٠).

تَوَفَّ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.
أَمَّا بَعْدُ:

معشر الإخوة: فكيف إذا صاحبَ ذلك الادعاءَ يمينٌ كاذبة فاجرة؟! نسأل الله السلامة والعافية، اسمعوا هذا الوعيد الشديد في الحديث الذي رواه مسلمٌ في صحيحه من حديث ثابت بن الضحاك، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةٍ لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا قَلَّةً، وَمَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرٍ فَاجِرَةٍ»^(١)، ويمينُ الصبر هي التي ألزم بها الخالف عند حاكم، وقد روى الشيخان من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٠٥، رقم ١١٠).

يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ هُوَ عَلَيْهِ فَاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ»^(١)، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا﴾ [آل عمران: ٧٧] الآية، فجاء الأشعثُ فقال: ما حدثكم أبو عبد الرحمن؟ في أنزلت هذه الآية، كانت لي بئرٌ في أرض ابن عمِّ لي، فقال لي: «شهودك». قلت: ما لي شهود، قال: «فيمينه»، قلت: يا رسول الله إذن يحلف، فذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الحديث، فأنزل الله ذلك تصديقًا له.

وروى مسلمٌ في صحيحه من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكِ»^(٢).

وَلْيُعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْوَعِيدَ فِي دَعْوَى مَا لَيْسَ لَكَ غَيْرُ خَاصٍّ بِهَا إِذَا كُنْتَ سَتَأْخُذُ حَقَّ غَيْرِ مُعَيَّنٍ، كَلَا، بَلْ هُوَ عَامٌّ، فَمَنْ ادَّعَى مُلْكًا مَشَاعًا لِلْمُسْلِمِينَ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْعُقُوبَةِ، وَمَنْ ادَّعَى أَرْضًا مُشَاعَةً لِلْمُسْلِمِينَ بِأَنَّهَا مُلْكُهُ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْعُقُوبَةِ، وَلِهَذَا تَجِدُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَتَحَايِلُ فِي مُلْكِ الْأَرْضِي، وَنَجِدُهُ لَا يَبَالِي فِي الزِّيَادَةِ عَلَى مُلْكِهِ، أَوْ مُلْكٍ مَا لَمْ يَمْلِكْهُ، وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ اقْتَطَعَ شَيْئًا مِنْ

(١) أخرجه البخاري (٤/١٦٥٦، رقم ٤٢٧٥)، ومسلم (١/١٢٢، رقم ١٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (١/١٢٢، رقم ٢١٨).

الأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»^(١)، قال شراح الحديث: «وأما التطويق المذكور في الحديث فقالوا: يحتمل أن معناه أنه يحمل مثله من سبع أرضين، ويكلف إطاقه ذلك، ويحتمل أن يكون يجعل له كالطوق في عنقه، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سَيَطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وقيل: معناه أنه يطوق إثم ذلك ويلزمه كلزوم الطوق بعنقه، وعلى تقدير التطويق في عنقه يطول الله - تعالى - عنقه كما جاء في غِلْظِ جلد الكافر وعظم ضَرْسِهِ»^(٢).

ولهذا فإن على الناس أن يحترسوا عند بنائهم لبيوتهم أو مزارعهم أن يأخذوا شِبْرًا واحدًا؛ فإن بعض الناس يخرج على طريق المسلمين، أو مواضع الرعي، أو مسایل السيول، ويتساهل في هذا، وكل هذا عقوبته عظيمة، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشح في الأراضي شديد، والاعتداء عليها عقابه شديد، فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»، أي: يُجْعَل طَوَّقًا في عنقه من سبع أرضين، وليس من أرض واحدة؛ لأنه ظلم، حتى إن العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ قالوا: لا يجوز للإنسان أن يزيد في تليس الجدار أكثر مما جرت به العادة؛ وذلك لأنه يأخذ بهذه الزيادة من السوق، والسوق مشترك، فإلى هذا الحد حذر العلماء من التعدي على الأرض»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٠، رقم ٢٤٥٢)، ومسلم (٣/ ٢٣٠، رقم ١٦١٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (١١/ ٤٨).

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع (١٠/ ٣١٩).

فاتقوا الله عبادَ الله، وتذكروا أن العبد ماثل وواقف أمام علام الغيوب، وليتذكر أن يمينه التي أخذ بسببها الحق يوم القيامة لن تنفعه في الآخرة، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨].

ثم صلُّوا وسلِّموا على رسولِ الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربُّكم فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلِّ وسلِّم على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارِضْ اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكرٍ وعمرَ وعُثمانَ وعليٍّ، وعن الصحابة أجمعين، وعنَّا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللهم رُدِّهم إليك ردًّا جميلًا، اللهم ارفع ما نزل من الفتن، اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿[النحل: ٩٠] ،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم،
﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



مُحَارِبَةُ الْفَسَادِ

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: كَثُرَ الْحَدِيثُ عَنِ الْفَسَادِ بِكُلِّ أَنْوَاعِهِ فِي مُجْتَمَعِنَا، وَأُنْشِئَتْ هَيْئَةٌ لِمُكَافَحَةِ الْفَسَادِ، وَالسُّؤَالُ: مَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ الْمَفْسِدُونَ؟ هَلْ هُمْ مِنْ كَوَكِبٍ آخَرَ لَا يُرُونَ وَلَا يُعْرِفُونَ؟ كَلَّا، هُمْ بَعْضُنَا، هُمْ مَنْ نُؤَاكِلُهُمْ وَنُشَارِبُهُمْ وَنُجَالِسُهُمْ، وَلَكِنَّا نَسْتَرُّ عَلَيْهِمْ، بَلْ أَحْيَانًا نُشَارِكُهُمْ فِي فُسَادِهِمْ. الْمَوْظَفُ الْحَكُومِيُّ الَّذِي يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ، أَوْ مَا يُسَمَّى بِالْإِكْرَامِيَّةِ مَنْ الَّذِي أَعْطَاهُ؟ وَمَنْ هُوَ مُدِيرُهُ الَّذِي سَكَتَ عَنْهُ؟ كُلُّ هَؤُلَاءِ مُشَارِكُونَ فِي الْفَسَادِ، أَمِينُ الصُّنْدُوقِ، وَمُدِيرُ الشُّؤُونِ الْمَالِيَّةِ، وَمُدِيرُ الْمَشَارِيعِ، وَقَائِمَةُ كَبِيرَةٍ بِإِمكَانِهَا أَنْ تَخْتَلِسَ، وَتَتَلَاعَبَ عَلَى مَرَأَى مِنَّا، أَوْ عَلَى مَرَأَى مِنْ مُدِيرِهَا، وَمَعَ ذَلِكَ نَظَلُّ سَاكِتِينَ.

ولهذا لَا عَجَبَ عِنْدَمَا وَقَعَتْ كَوَارِثُ عَظِيمَةٌ فِي الْمُنَشَّاتِ وَالْمَشَارِيعِ،
مَشَارِيعُ وَهْمِيَّةٌ، وَبَعْضُهَا شَكْلِيَّةٌ فَرَّاحَتْ الْأَنْفُسُ ضَحِيَّتَهَا، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ
تُطَالِعُنَا الصُّحُفُ الْوَرَقِيَّةُ وَالْإِكْتِرُونِيَّةُ بِقَوَاصِمَ يَنْدَى لَهَا الْجَبِينُ، مَبَانٍ
حُكُومِيَّةٌ كَلَّفَتْ الْمَلَائِينَ لَمْ تُسْتَلَمَ إِلَّا لِأَشْهَرٍ، ثُمَّ يَظْهَرُ فِيهَا الْخَلَلُ الْكَبِيرُ، وَلَمَّا
جَاءَتِ الْأَمْطَارُ أَظْهَرَتْ بَعْضَ عُيُوبِهَا.

مَعَشَرُ الْإِخْوَةِ: لَئِنْ كَانَ اللَّهُ تَوَعَّدَ الْوَعِيدَ الشَّدِيدَ لِمَنْ أَكَلَ مَالَ الْيَتِيمِ،
وَهُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ يَخْتَلِسُ مِنْهُ بِالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَتَنَّهُمْ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾
[النساء: ١٠]، فَمَا بِالْكَ بَمَنْ يَأْخُذُ بَعْضَ أَمْوَالٍ وَمَمْلَكَاتٍ شَرَائِحِ الْمَجْتَمَعِ
كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ، غَنِيَّهِمْ وَفَقِيرِهِمْ، أَيْتَامِهِمْ وَأَرَامِلِهِمْ؟!

فَأَمْوَالُ الْمُسْتَشْفِيَّاتِ وَمَشَارِيعُهُ مَلِكٌ هَوْلَاءِ، وَكَذَلِكَ الْبَلَدِيَّاتُ
وَالْمَدَارِسُ وَالْمَرَافِقُ، كُلُّ نَقْدٍ وَلَوْ قَلَّ لِمَشَارِعِهَا فَلِلْجَمِيعِ فِيهَا حَقٌّ فِي أَنْ
يَذْهَبَ إِلَيْهِمْ، وَإِلَى مَشَارِعِهِمْ وَمَبَانِيهِمْ.

وَتَأَمَّلُوا عُقُوبَةَ قَوْمٍ شُعَيْبٍ، فَإِنَّ الْبَائِعَ كَانَ يُنْقِصُ الْمِكْيَالَ عَلَى رَجُلٍ
وَاحِدٍ، وَمَعَ ذَلِكَ نَزَلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا
تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٨٥) يَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
بِحَفِيفٍ ﴿[هود: ٨٥ - ٨٦]، فَهُوَ يَقُولُ لَهُمْ: لَا تُنْقِصُوا مِنْ أَشْيَاءِ النَّاسِ، عَمَّ
النَّقْصُ فِي الْأَشْيَاءِ، أَيِ: فِي كُلِّ شَيْءٍ لَا تُنْقِصُوهُ، فَتَسْرِقُوهَا بِأَخْذِهَا.

إِذَنْ نَحْنُ أَمَامَ تَهْدِيدٍ -أَيْضًا- بِسَبَبِ هَوْلَاءِ الْمُرْضَى، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى

أَنْ تُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ؛ وَهَذَا قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ عِنْدَمَا أَفْسَدُوا فِي الْأَمْوَالِ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥].

إِنَّ الاختِلَاسَاتِ الَّتِي تَحْدُثُ فِي الدَّوَائِرِ الْحُكُومِيَّةِ مَرَضٌ عَضَالٌ إِنْ لَمْ يَتَكَتَفِ الْمُجْتَمَعُ بِأَكْمَلِهِ لِاجْتِنَائِهِ وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِ؛ فَنَحْنُ أَمَامَ تَهْدِيدٍ مِنْ رَبِّ الْعِبَادِ.

أَلَيْسَ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي لَا نَرْضَاهُ أَبَدًا أَنْ يَقُومَ هَذَا الْمَفْسِدُ بِاسْتِغْلَالِ وَظِيفَتِهِ، وَكَأَنَّهَا إِقْطَاعٌ مِنْ وَلِيِّ الْأَمْرِ، يُعْطَى مَنْ يُرِيدُ، وَيَمْنَعُ مَنْ يُبْغِضُ؟

أَلَيْسَ مِنَ الْفَسَادِ أَنْ نَتَرَلَّفَ إِلَى الْمَسْئُولِ لِيُقْطِعَنَا حُقُوقَنَا؟

إِنَّكَ لَتَعْجَبُ مِمَّنْ اسْتَغْلَوْا مَنَاصِبَهُمْ لِيَمْلُؤُوا حِسَابَاتِهِمْ قَبْلَ انْتِهَاءِ خِدْمَتِهِمْ، أَيْنَ مَبْدَأُ الْمَحَاسِبَةِ، وَأَيْنَ قَانُونٌ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟

فَقَدْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَاسِبُ عُمَّالَهُ حِسَابًا شَدِيدًا، فَيُحْصِي ثَرَوَةَ الْعَامِلِ قَبْلَ الْعَمَلِ وَأَثْنَاءَ الْعَمَلِ، فَإِذَا ظَهَرَتْ زِيَادَةٌ غَيْرُ مَبْرَرَةٍ أَخَذَهَا مِنْهُ وَرَدَّهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ، وَمِنَ الْأَقْوَالِ الْمَثُورَةِ عَنِ الْفَارُوقِ عُمَرُ: «لَوْ رَتَعْتَ لَرَتَعْتَ الرِّعْيَةَ»^(١)، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ لَا بُدَّ أَنْ يَحْسِنَ الْمَدِيرُ وَالْمَسْئُولُ اخْتِيَارَ مُسَاعِدِيهِ عَلَى أَسَاسِ الْكِفَاةِ، وَلَيْسَ الْمَجَامِلَةُ أَوْ الْمَحَابَاةُ.

فَهَذَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ وَهُوَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ لَهُ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟

قال: فَضْرَبَنِي بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»، وفي لفظ: «وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي لَا تَأْمَرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»^(١).

يا لها من وَصِيَّةٍ! كُلُّ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ ضَعِيفٌ لَيْسَ فَقَطُ لِقَلَّةِ أَمَانَتِهِ، بل لضعفه في تحصيل الحقوق، وضعفه بأخذ الحق، وقوته وشدته في تطبيق قواعد السلامة في المنشآت والمشاريع، ومتابعة المقاولين، وكذلك قوته في محاسبة مَنْ تَسَوَّلَ له نفسه في أكل الرشاء.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ معلقاً على حديث أبي ذرٍّ: «هذا الحديث أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي اجْتِنَابِ الْوَلَايَاتِ، لَا سِيَّامَا لِمَنْ كَانَ فِيهِ ضَعْفٌ عَنِ الْقِيَامِ بِوِظَائِفِ تِلْكَ الْوَلَايَةِ»^(٢).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٥٧، رقم ١٨٢٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢١٠).

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله؛ تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه، أما بعد:

مُعَسَّرَ المَصْلِينَ: ما أَجْمَلَ الخَازِنَ أو المَسْؤُولَ المَالِيَّ في دَوَائِرِنَا الحُكُومِيَّةِ إِذَا كَانَ صَاحِبَ ضَمِيرٍ حَيٍّ، يُحِبُّ قِيَمَ الحَقِّ والخَيْرِ والجَمَالِ والعِفَّةِ والفضيلةِ والتَّقْوَى والأَمَانَةِ والصَّدْقِ والوَلَاءِ والكَرَمِ والجُودِ، وعن طريق الضمير الحيِّ يَسْتَطِيعُ الإنسانُ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ الصَّوَابِ وَالْحَطَأِ.

إِنَّ الرِّقَابَةَ الدَّاخِلِيَّةَ لَدَى الْفَرْدِ الْمُسْلِمِ تُعِينُهُ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ عَنْ كُلِّ الْمَحْرَمَاتِ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَشْعِرُ رِقَابَةَ اللَّهِ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، وَالْمُتَمَثِّلَةِ فِيهَا نُطْلُقُ عَلَيْهِ الضَّمِيرَ الْحَيَّ الْمُرْتَبِطَ بِاللَّهِ الْقَائِلِ: ﴿أَمْ يَحْسُبُونَ أَنَّا لَنَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلَيْسَتْهُمْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

ولهذا عَظَّمَ اللهُ أَجْرَ الْوَلَايَاتِ وَالْإِدَارَاتِ الَّتِي تَكُونُ مَسْؤُولَةً عَنِ الْمَالِ مُبَاشَرَةً، فَأَجَرَهُمْ مَتَمَيِّزٌ عَنْ غَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يُجَاهِدُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيُجَاهِدُونَ أَعْوَانَ الشَّيْطَانِ، فَمَا أَعْظَمَ أَجْرَ الْخَازِنِ، وَأَمِينِ الصُّنْدُوقِ، وَمَنْ يُبَاشِرُ إِبْرَامَ الْعُقُودِ وَالْمَشَارِيعِ، إِذَا كَانَ أَمِينًا!

تَأَمَّلُوا فَضْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوْلَاءِ إِذَا أَحْسَنُوا الْعَمَلَ، فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ،

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الْخَازِنُ الْأَمِينُ الَّذِي يُنْفِقُ - وَرُبَّمَا قَالَ: الَّذِي يُعْطِي - مَا أُمِرَ بِهِ كَامِلًا مُؤَفَّرًا طَيِّبًا نَفْسُهُ إِلَى الَّذِي أُمِرَ بِهِ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ»^(١)، بَوَّبَ عَلَيْهِ الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «باب وكالة الأمين في الخزانة ونحوها».

فهنيئًا لهؤلاء، هنيئًا لهم هذا الأجر الذي لم يدفعوا فيه ريبًا واحدًا، وإنَّما أُنْفَذُوا ما كُلِّفُوا بِهِ، فَصَارُوا فِي عِدَادِ الْمُتَصَدِّقِينَ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَشَارِيعُ بِالْمَلَائِينِ، هَنِيئًا لَهُمْ هَذَا الْأَجْرُ الْجَزِيلُ.

والمصيبة كُلُّ المصيبة إِذَا تَغَلَّفَ هَذَا الْفَسَادُ بِغِلَافِ التَّحَايُلِ، وَأَخْرَجَ نَفْسَهُ مِنْ عِدَادِ السَّارِقِينَ وَالْمُفْسِدِينَ بِحِيلَةٍ، كَمَا يَتَحَايَلُ بِهَا عَلَى الصَّغَارِ، وَمَا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْطِفُونَ لَهُ، كَمَا يَحْطِفُونَ لَكَرَّ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(١٨) اسْتَحْذَرُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أَوْلِيَّكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿[المجادلة: ١٨ - ١٩].

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَيْمَةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٥٢١)، رقم (١٣٧١)، ومسلم (٢/ ٧١٠)، رقم (١٠٢٣).

في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضال المسلمين، اللهم رُدَّهم إليك ردًا جميلاً، اللهم ارفع ما نزل من الفتن، اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



أداء الديون

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ
لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا
وَزِيرًا، وَلَا وَنَدًا وَلَا ظَهِيرًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، نَشْهَدُ أَنَّهُ
بَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَنُصِّحَ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله أيها المؤمنون والمؤمنات، ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَرَى الْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَلِّئُنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا
أَخَصَّنَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

معشر الإخوة: كم نرجو مغفرة ذُنُوبِنَا، وَمَا مِنْ عَمَلٍ ثَوَابُهُ مَغْفِرَةٌ
الذُّنُوبِ إِلَّا وَالنَّفْسُ تَحْرِصُ عَلَى عَمَلِهِ، وَتَرْجُو قَبُولَهُ، وَلَكِنْ جَمِيعُ
الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ - عِبَادَةُ اللَّهِ - لَا تُكَفِّرُ مَظْلَمَتَكَ بِأَخْذِكَ مَالَ أَخِيكَ بِغَيْرِ
حَقٍّ، إِيَّاكَ أَنْ تَوَمِّلَ أَوْ تَتَكَبَّرَ عَلَى صِلَاحِكَ، وَأَنْتَ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَلْعَبُ
بَأَمْوَالِكَ، وَأَخْوَاكَ الْمُسْلِمَ يَنْتَظِرُ مَالَهُ الَّذِي أَقْرَصَكَ، أَوْ مَالَهُ الَّذِي أَعْطَاكَ
إِيَّاهُ لَتَسْتُمْرَهُ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَظُمَ بَطْنُهُ، وَنُبْتُ لَحْمُهُ، بِهَالٍ غَيْرِهِ، أَكَلَهَا بِالْبَاطِلِ، إِنْ اسْتَدَانَ دَيْنًا جَحَدَهُ، وَإِنْ اسْتَقْرَضَ قَرْضًا تَظَاهَرَ أَنَّهُ نَسِيَهُ، فَسُبْحَانَ رَبِّي! كَيْفَ يَهْنَأُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْمَنَامِ، مَنْ ذِمَّتُهُ مَشْغُولَةٌ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»^(١).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ»^(٢).

اتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَأَدُّوا مَا فِي ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَالٍ، وَلَوْ كَانَ أَقَلُّ مِنْ رِيَالٍ، وَلَوْ ثَمَنَ خُبْزَةٍ أَوْ بَيْضَةٍ أَوْ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ؛ فَإِنْ مِيزَانَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ يُحْصِي مِثَاقِيلَ الذَّرِّ، وَلَيْسَ ثَمَّتْ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنَّمَا هِيَ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ وَحُقُوقُ الْآدَمِيِّينَ، لَا تَسْقُطُ بِالتَّوْبَةِ فَقَطْ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ رَدِّهَا إِلَى أَهْلِهَا، وَأَنْتَ مَسْئُولٌ عَنْ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، وَقَلِيلِهَا وَكَثِيرِهَا.

وَلَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، وَلَوْ كَانَ يَسِيرًا، رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدَرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩٨٦، رقم ٢٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥/٢١١٠، رقم ٥٢٣٠)، ومسلم (٣/١٣٠٥، رقم ١٦٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥/٢٣٩٤، رقم ٦١٦٩).

ولا تَنْتَظِرْ مَنْ أَقْرَضَكَ مَالَهُ أَنْ يَأْتِيَكَ فَيَسْأَلَكَ حَقَّهُ، فَلَرْبَمَا مَنَعَهُ الْحَيَاءُ، أَوْ وَكَّلَ أَمْرَكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ. وَبَعْضُ النَّاسِ يَتَقَالَّ الَّذِي فِي ذِمَّتِهِ، ثُمَّ لَا يُؤَدِّيهِ، وَلَا يَسْتَسْمِحُ صَاحِبَهُ، وَهَذَا خَطَأٌ وَخَطَرٌ عَظِيمٌ، تَأَمَّلُوا مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ عَلَى ثَقَلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ «كَرْكِرَة» يَعْنِي مَوْلَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُوَ فِي النَّارِ»، فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَجَدُوا عِبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا ^(١).

بَلْ رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خَيْبَرَ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا، قَالَ: فَلَمَّا نَزَلْنَا الْوَادِيَّ قَامَ غُلَامٌ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحِلُّ رَحْلَهُ فَرَضَمِي بِسَهْمٍ، فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ، فَقُلْنَا: هَنِيئًا لَهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلًّا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنْ الشُّمْلَةَ لَتَلْتَهَبَ عَلَيْهِ نَارًا، أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ»، قَالَ: فَفَزَعَ النَّاسُ فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكِ أَوْ شِرَاكَيْنِ، فَقَالَ: أَصَبْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ، أَوْ: شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ» ^(٢).

عِبَادَ اللَّهِ! مَنْ أَرْجَى مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبُولًا لِدَعَائِهِ، وَقُرْبًا مِنْ إِلَهِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ رَفُضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى مَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ، كَمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى بِجَنَازَةٍ، فَقَالُوا: يَا

(١) أخرجه البخاري (٣/١١١٩، رقم ٢٩٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦/٢٤٦٧، رقم ٦٣٢٩)، ومسلم (١/١٠٨، رقم ١١٥).

رسول الله صلّ عليها، قال: «هَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟» قالوا: لا، قال: «فَهَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ؟» قالوا: ثلاثة دنائير. قال: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ»، قال أبو قتادة: صلّ عليه يا رسول الله وعليّ دَيْنُهُ، فصلى عليه ^(١).

وفي رواية الحاكم في حديث جابر: فجعل رسول الله إذا لقي أبا قتادة يقول: «مَا صَنَعْتَ الدَّيْنَارَانِ؟» حتى كان آخر ذلك أن قال: قد قضيتهما يا رسول الله، قال: «الآنَ حِينَ بَرَدَتْ جِلْدَتُهُ» ^(٢).

قال ابن حجر: «وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِشْعَارٌ بِضُعُوبَةِ أَمْرِ الدِّينِ وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي تَحْمُلُهُ إِلَّا مِنْ ضَرُورَةٍ» ^(٣)، وروى أحمد في مسنده من حديث سمرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى الفجر، فقال: «هَهُنَا مِنْ بَنِي فُلَانٍ أَحَدٌ؟» ثلاثا، فقال رجل: أنا، قال، فقال: «إِنَّ صَاحِبَكُمْ مَحْبُوسٌ عَنِ الْجَنَّةِ بِدَيْنِهِ» ^(٤).

وعنده أيضًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ» ^(٥)، بل روى أبو داود في سننه من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِنَّ أَعْظَمَ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يَلْقَاهَا بِهَا عَبْدٌ بَعْدَ

(١) أخرجه البخاري (٨٠١/٢)، رقم (٢١٦٨).

(٢) أخرجه المستدرک (٥٨/٢)، رقم (٢٣٤٦).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٣٣/٧).

(٤) أخرجه أحمد (٢٠/٥)، رقم (٢٠٢٣٥)، والحاكم (٣٠/٢)، رقم (٢٢١٣).

(٥) أخرجه أحمد (٥٠٨/٢)، رقم (١٠٦٠٧)، والترمذي (٣٨٩/٣)، رقم (١٠٧٨)، وقال عن

الثاني: حسن وهو أصح من الأول. وابن ماجه (٨٠٦/٢)، رقم (٢٤١٣)، والحاكم (٣٢/٢)،

رقم (٢٢١٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

الكبائر التي نهى عنها، أن يموت رجلٌ وعليه دينٌ لا يدع له قضاء»^(١).

فهذه الأحاديث العظيمة القاطعة بعظم ذنب من مات وعليه دينٌ كفيلةٌ بردع كلِّ قلب يشم رائحةَ الإيمان، ومحفزة كلِّ التحذير أن يأخذ المسلم مال أخيه ويتساهل في أدائه، «ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله»^(٢)، وكيف تسمح للإنسان نفسه أن يجحد سلف أخيه، أو يباطله في ذلك.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، ولسائر المسلمين، من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكرُ على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.
أَمَّا بَعْدُ:

معشر الإخوة: أين الكثيرُ منا من ذلكم الرجل الذي قصَّ لنا

(١) أخرجه أحمد (٣٩٢/٤)، رقم (١٩٥١٣)، والبخاري في التاريخ الكبير (٥٣/٩)، وأبو داود (٢٤٦/٣)، رقم (٣٣٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٨٤١/٢)، رقم (٢٢٥٧).

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبره، كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَالَ: اثْنَيْنِي بِالشُّهَدَاءِ أَشْهَدُهُمْ فَقَالَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا قَالَ فَأَتْنِي بِالْكَفِيلِ قَالَ كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا قَالَ صَدَقْتَ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ التَّمَسَّ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَلُهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا فَأَخَذَ خَشَبَةً فَتَقَرَّهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا - أي سوى موضع النقر - ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فَلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلًا فَقُلْتُ كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا فَرَضِي بِكَ وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا فَرَضِي بِكَ وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِإِلَيْهِ فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالْأَلْفِ دِينَارٍ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِأَتِيكَ بِإِلَيْكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ قَالَ هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ قَالَ أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ فَانْصَرَفَ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا»^(١).

ما أعظمها من قصة جمعت بين الإحسان، وحسن الأداء، والأمانة

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٠١ رقم ٢١٦٩).

والرضا بالله شهيداً وكفيلاً، ﴿فَأَقْصِرْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وروى عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما في الصحيحين حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة. فذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توسلهم بأعمالهم الصالحة. فذكر قصة البارِّ لوالديه (ففرج لهم فرجة) ثم قصة الرجل مع ابنة عمه (ففرج لهم فرجة) ثم ذكر قول الثالث: «اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدَّ (أَدَّى) إِلَيَّ أَجْرِي فَقُلْتُ لَهُ كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ (أَجْلِكَ) مِنْ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَأْفَقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»^(١).

الله المستعانُ صاحب الحق لم يعلم عن تجارته، فلو أرضاه بِعُشْرِهَا لَرْضِيَتْ نَفْسُهُ، بل لشكره، فكيف بمن أخذ أموال الناس ويلاحقونه ويسألونه، بل ويترجّونه، وهو مع ذلك غيرُ مبالٍ بحالهم، وصاحب الحق محتاجٌ يذهب إلى الناس يسألهم ويستقرضهم، أفلا يخاف هذا الجاحد من دعوات الليالي؟! أفلا يخاف من يوم الفصل؟! أفلا يشفق من يوم لا يستطيع أن يتخلص أبداً لا مال ولا استعطاف؟! النفوس شحيحةٌ بكل شيء، حتى الولد مع والديه، فكيف بمن ما طلك وأفسد عليك حياتك؟!

(١) أخرجه البخاري (٧٩٣/٢)، رقم (٢١٥٢)، ومسلم (٤/٢١٠٠)، رقم (٢٧٤٣).

دعوة صادقة - عباد الله - أن يراجع المرء حساباته، ولو كان دينه مئات الآلاف، ليبدأ بالتسديد بقدر ما يستطيع، بمائة بمائتين، لا تقل: هذه قليل، فإن الله يبارك لمن صلحت نيته، فخلّص نفسك ما دمت قادرًا على ذلك، ﴿فَلَا أَقْنَمِ الْعَقَبَةَ ۝۱۱﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿[البلد: ١١ - ١٢].

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أمتنا، وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضالّ المسلمين، اللهم ردهم إليك ردًا جميلًا.

اللهم ارفع ما نزل من الفتن، اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



سجن المعسر

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا
كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله جَلَّ وَعَلَا، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ
بِالْعَبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ، لَئِنْ كَانَ مَطْلُ الْغَنِيِّ الْوَاجِدِ بَعْدَمِ سَدَادِ دَيْنِهِ ظُلْمًا يُحِلُّ
لِلدَّائِنِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَى الْقَاضِي وَيُطَالِبَهُ بِالسَّدَادِ أَوْ السَّجْنِ مَا دَامَ قَادِرًا مُطَاطِلًا،
بَلْ لَوْ وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى تَغْزِيرِهِ بِالضَّرْبِ حَتَّى يُؤَدِّيَ الَّذِي عَلَيْهِ فِي قَوْلِ عَامَّةِ
الْفُقَهَاءِ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ»^(١).

وَفِي السُّنَنِ مِنْ حَدِيثِ الشَّرِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ
قَالَ: «لِيَ الْوَاجِدِ^(٢) يُحِلُّ عَرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٧٩٩/٢)، رقم (٢١٦٦) ومسلم (١١٩٧/٣)، رقم (١٥٦٤).

(٢) أي مَطْلُ الْقَادِرِ.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٢/٤)، رقم (١٧٩٧٥)، وأبو داود (٣١٣/٣)، رقم (٣٦٢٨)، والنسائي (٣١٦/٧)، رقم (٤٦٨٩)، وابن ماجه (٨١١/٢)، رقم (٢٤٢٧).

ولكن دعونا نقف مع فئة لا تقدر على السداد ولا تجد المال بل هي لا تجد نفقة أولادها فكيف تؤدي دينها دعونا نقف مع فئة أنصفها رب العالمين فئة رحمها أرحم الراحمين وأمر برحمتها استمعوا إلى قول الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُوْعُسْرَةً فَنُظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ^(١): «أي: وإن كان الذي عليه الدين مُعْسِرًا، لا يَقْدِرُ على الوفاء، وجب على غريمه أن يُنْظِرَهُ إلى مَيْسَرَةٍ، وهو يجب عليه إذا حصل له وفاء بأي طريق مباح أن يُوفِّيَ ما عليه، وإن تَصَدَّقَ عليه غريمه بإسقاط الدين كُلَّهُ أو بعضه فهو خيرٌ له، ويُهَوِّنُ على العبد التزام الأمور الشرعية، واجتناب المعاملات الربويّة، والإحسان إلى المُعْسِرِينَ، عِلْمُهُ بأنَّ له يومًا يُرْجَعُ فيه إلى الله، ويُوَفِّيهِ عَمَلَهُ، ولا يَظْلِمُهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، كما خَتَمَ هذه الآية بقوله: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].»

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «قال الله - جل ثناؤه -: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُوْعُسْرَةً فَنُظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ»^(٣)، فَلَمْ يَجْعَلْ عَلَى ذِي الدَّيْنِ سَبِيلًا فِي الْعُسْرَةِ حَتَّى تَكُونَ الْمَيْسَرَةُ، وَلَمْ يَجْعَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَطْلَهُ ظَالِمًا إِلَّا بِالْغِنَى، فَإِذَا كَانَ مُعْسِرًا لَيْسَ مِمَّنْ عَلَيْهِ سَبِيلٌ إِلَى أَنْ يُوسَرَ».

(١) تفسير السعدي (ص ٩٥٩).

(٢) معرفة السنن والآثار (٨/ ٢٥٤).

(٣) تقدم تخريجه.

وقد روى مسلم في صحيحه عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أُصِيبَ رَجُلٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَمَارِ ابْتِاعَهَا فَكَثُرَ دَيْنُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَصَدَّقُوا عَلَيْهِ». فَتَصَدَّقَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ وَفَاءَ دَيْنِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُرَمَائِهِ: «خُذُوا مَا وَجَدْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ»^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «في الحديث أَنَّ الْمُعْسِرَ لَا تَحِلُّ مُطَابَّتُهُ وَلَا مُلَازِمَتُهُ وَلَا سَجْنُهُ».

إن كثيراً من الغرماء يَعْلَمُ وَيَغْلِبُ على ظَنِّهِ أَنَّ هذا المدينَ لَا يَجِدُ سَدَادًا، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْضِيَ دَيْنَهُ، وَلَا يَمْلِكُ شَيْئًا يَبِيعُهُ لِقَضَاءِ دَيْنِهِ، ومع هذا يَرْفَعُ به إلى القاضي، وَيُلْزِمُهُ بالسَّدَادِ، أَوِ السَّجْنِ.

أين أنت أيُّها الغريمُ من هذا التوجيهِ ﴿فَنَظَرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾؟

أين أنت من تقوى يومٍ تُرْجَعُ فيه إلى الله؟

كَمْ من مدينٍ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا، وَغَرِيمُهُ يَعْلَمُ ذلك، وهو يقول بِكُلِّ غِلْظَةٍ: أُرِيدُ مالي، وَلَا يَغْنِينِي حَالُكَ.

والله إِنَّ هذا لَظُلْمٌ عَظِيمٌ، رَبُّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُنْظِرَهُ، لَا أَنْ تَسْجُنَهُ، رَبُّكَ يُوجِّهُكَ لِأَنْ تَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، لَا أَنْ تُنْكَلَ بِهِ.

أين أُخُوَّةُ الْإِيمَانِ؟ أين الرأفةُ والحنانُ؟

(١) أخرجه مسلم (٣/١١٩١)، رقم (١٥٥٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٠/٢١٨).

كَمْ مِنْ مَدِينٍ سُجِنَ أَشْهُرُهَا، بَلْ أَكْثَرُ، وَتَشَتَّتْ أُسْرَتُهُ، وَضَاعَ أَوْلَادُهُ، وَأَصْبَحُوا يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَلَا عَائِلَ لَهُمْ، وَالدَّائِنُ يَتَقَلَّبُ فِي بَيْتِهِ وَمَعَ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ، بَلْ وَلَعَلَّهُ يَظُنُّ أَنَّهُ لَمْ يَظْلِمَ أَحَدًا فِي حَيَاتِهِ.

أَيُّ ظُلْمٍ أَشَدُّ مِنْ هَذَا الظُّلْمِ؟ وَلَمْ تَكُنِ النَّفُوسُ شَاحِيحَةً إِلَى هَذَا الْحَدِّ الَّذِي يَجْعَلُكَ تَرْفَعُ وَتُطَالِبُ بِحَبْسٍ مَنْ نَعَلِمُ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ سَدَادًا. قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عَثِيمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ ^(١): «وَنَجِدُ أَوْلَئِكَ الْقَوْمَ الْأَشْحَاءَ ذَوِي الطَّمَعِ لَا يُنْظَرُونَ الْمُعْسِرَ، وَلَا يَرْحُمُونَهُ، يَقُولُ لَهُ: أَعْطِنِي وَإِلَّا فَالْحَبْسَ، وَيُحْبَسُ فِعْلًا، وَإِنْ كَانَ لَا يَجُوزُ حَبْسُهُ إِذَا تَيَقَّنَا أَنَّهُ مُعْسِرٌ، وَلَا مُطَالَبَتُهُ، وَلَا طَلَبُ الدَّيْنِ؛ بَلْ يُعَزَّرُ الدَّائِنُ إِذَا أَلَحَّ عَلَيْهِ فِي الطَّلَبِ وَهُوَ مُعْسِرٌ، لِأَنَّهُ طَلَبَهُ مَعَ الْإِعْسَارِ مَعْصِيَةً، وَالتَّعْزِيرُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَاجِبٌ فِي كُلِّ مَعْصِيَةٍ لَا حَدَّ فِيهَا وَلَا كَفَارَةَ.

وَيَجِبُ عَلَى أَصْحَابِ الدُّيُونِ أَنْ يُنْظَرُوا هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءَ، وَأَلَّا يَطْلُبُوا مِنْهُمْ الْوَفَاءَ، وَلَا يُطَالِبُوهُمْ بِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ لَهُ مَدِينٌ فَقِيرٌ، لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: أَعْطِنِي دَيْنِي، وَلَا يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ، وَلَا بَرُّبَعِ كَلِمَةٍ، لِأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يَقُولُ: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، وَهَؤُلَاءِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - عَصَوْا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَلَمْ يَخَافُوا مِنْهُ، وَلَمْ يَرْحَمُوا هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءَ.

وَالوَاجِبُ عَلَيْكَ إِذَا كَانَ لَكَ عِنْدَ فَقِيرٍ مُعْسِرٍ دَيْنٌ أَنْ تَسْكُتَ، وَلَا تَطْلُبَ مِنْهُ الدَّيْنَ، وَلَا تُطَالِبْهُ بِهِ، وَأَنْتَ إِذَا طَالَبْتَهُ، أَوْ طَلَبْتَهُ مِنْهُ، فَإِنَّكَ عَاصٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(١) تفسير الفاتحة والبقرة (٣/ ٣٩٢).

وقال أيضًا ^(١): «ولهذا أنا أقول إن الدائنين الذين يرفعون الفقراء إلى ولاة الأمور ليسجنوهم لِعَدَمِ قضاءِ ديونهم هم مُعْتَدُونَ ظالمون آثمون، ويخشى أن يُسَلِّطَ اللهُ عليهم، أو على ذُرِّيَّاتهم مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العذابِ، فيفعلوا بهم كما فعلوا بهذا السَّجِينِ المظلوم، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].»

وهؤلاء الدائنون الجشعون كأنهم يقولون: إن كان ذو عُسْرَةٍ فليؤدِّ إلى السَّجِينِ، بعكسِ ما أَمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ به -والعياذُ بالله-، فيضْطَرُّونَ الفقيرَ إلى أن يَتَدَيَّنَ ويُوَفِّيَهُمْ، وأحياناً يقولون: نحن نُدينُك وتُوفِّينا، وهذا كُلُّهُ حَرَامٌ، ولا يَحِلُّ لشخصٍ يعلمُ أنَّ مَدِينَهُ فقيرٌ أن يُطالبَه، بل ولا يقول: أَعْطِنِي ديني، وهو يعلمُ أنه فقيرٌ؛ لأنه يُحْرِجُه، والربُّ عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي حتى يُوسِرَ اللهُ عليه.

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ^(٢) عن رَجُلٍ عليه دَيْنٌ وله مُدَّةٌ في الاعتقال، وليس عنده شيءٌ، فقال: «لَا يَحِلُّ اعْتِقَالُهُ، وَلَا ضَرْبُهُ وَالْحَالَةُ هَذِهِ، بَلْ الْوَاجِبُ تَمْكِينُهُ حَتَّى يَعْمَلَ مَا يُوفِّي دَيْنَهُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ [النور: ٢٢].

بَارِكْ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (١٨/ ٢١٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٠/ ٣٢).

والذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تَعْظِيمًا لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ، قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: إِنْ الْمَدِينَ هُوَ مَنْ تَسَبَّبَ لِنَفْسِهِ بِهَذَا الدِّينِ، وَهُوَ مَنْ يَتَحَمَّلُ جَرِيرَةَ عَمَلِهِ.

والجواب على هذا أن يقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وهذا رَبُّكَ يَا مُرْك - وهو مَنْ وَهَبَكَ الْمَالَ - أَنْكَ إِنْ عَلِمْتَ أَنَّ هَذَا الْمَدِينَ مُعْسِرٌ، وَلَا يَمْلِكُ السَّدَادَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَكَ مَطَالِبَتُهُ، فَمُقْتَضَى الْإِيمَانِ هُوَ التَّسْلِيمُ وَالْانْقِيَادُ، وَسَيَعُوْضُكَ اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا فَقَدْتَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

تَأَمَّلُوا مَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَالُوا أَعْمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا. قَالُوا: تَذَكَّرَ. قَالَ: كُنْتُ أَدَايُنُ النَّاسَ، وَكُنْتُ أَقْبِلُ مِنَ الْمُوسِرِ وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ، وَكُنْتُ أَمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ»^(١).

بل وانظروا إلى النفوسِ الطاهرةِ النَّقِيَّةِ الرَّحِيمَةِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٥٧، رقم ١٩٧١).

مُسْلِمٌ: أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ طَلَبَ غَرِيماً لَهُ فَتَوَارَى عَنْهُ، ثُمَّ وَجَدَهُ فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ. فَقَالَ: اللَّهُ. قَالَ: اللَّهُ. قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيُنْفُسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعُ عَنْهُ»^(١).

بل اسمعوا إلى هذا الصاحبِ التقيِّ في هذه القِصَّةِ التي تحكي أحوال هؤلاء المساكين الذين صاروا بين أسنان بعض مَنْ لا يرحمُ.

روى مسلمٌ في صحيحه من حديثِ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسْرِ، صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ، مَعَهُ ضِمَامَةٌ^(٢) مِنْ صُحُفٍ، وَعَلَى أَبِي الْيَسْرِ بُرْدَةٌ وَمَعَاوِرِيٌّ^(٣)، وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَاوِرِيٌّ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا عَمَّ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ سَفْعَةً^(٤) مِنْ غَضَبٍ، قَالَ: أَجَلْ، كَانَ لِي عَلَى فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ الْحَرَامِيِّ^(٥) مَالٌ، فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ، فَسَلَّمْتُ، فَقُلْتُ: ثُمَّ هُوَ؟ قَالُوا: لَا، فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنُ لَهُ جَفَرٌ^(٦)، فَقُلْتُ

(١) أخرجه مسلم (١١٩٦/٣)، رقم (١٥٦٣).

(٢) هي بِكَسْرِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ، أَيْ رِزْمَةٌ يُضَمُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ. شرح النووي على مسلم (١٣٤/١٨).

(٣) الْبُرْدَةُ شِمْلَةٌ مُحْطَطَةٌ، وَقِيلَ: كِسَاءٌ مُرَبَّعٌ فِيهِ صِغَرٌ يَلْبَسُهُ الْأَعْرَابُ، وَجَمْعُهُ الْبُرْدُ. وَالْمَعَاوِرِيُّ - بَفَتْحِ الْمِيمِ - نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ يُعْمَلُ بِقَرْيَةٍ تُسَمَّى مَعَاوِرَ، وَقِيلَ: هِيَ نِسْبَةٌ إِلَى قَبِيلَةٍ تَزَلَّتْ تِلْكَ الْقَرْيَةُ، وَالْمِيمُ فِيهِ زَائِدَةٌ. شرح النووي على مسلم (١٣٤/١٨).

(٤) هِيَ بَفَتْحِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَضَمِّهَا لُعْتَانٍ، وَيُاسْكَاكِ الْفَاءِ، أَيْ عِلَامَةٌ وَتَعْبِيرٌ. شرح النووي على مسلم (١٣٤/١٨).

(٥) نِسْبَةٌ إِلَى بَنِي حَرَامٍ. شرح النووي على مسلم (١٣٤/١٨).

(٦) الْجَفَرُ هُوَ الَّذِي قَارَبَ الْبُلُوغَ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي قَوَى عَلَى الْأَكْلِ، وَقِيلَ: ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ. شرح النووي على مسلم (١٣٤/١٨).

لَهُ: أَيْنَ أَبُوكَ؟ قَالَ: سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي، فَقُلْتُ: اخْرُجْ إِلَيَّ، فَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَنْتَ، فَخَرَجَ، فَقُلْتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ اخْتَبَأْتَ مِنِّي؟ قَالَ: أَنَا، وَاللَّهِ أُحَدِّثُكَ، ثُمَّ لَا أَكْذِبُكَ، خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ أُحَدِّثَكَ فَأَكْذِبَكَ، وَأَنْ أَعِدَّكَ فَأُخْلِفَكَ، وَكُنْتُ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُنْتُ وَاللَّهِ مُعْسِرًا. قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ. قَالَ: اللَّهُ. قُلْتُ: اللَّهُ. قَالَ: اللَّهُ. قَالَ: اللَّهُ. قَالَ: فَآتَى بِصَحِيفَتِهِ فَمَحَاَهَا بِيَدِهِ، فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتَ قَضَاءً فَاقْضِنِي، وَإِلَّا، أَنْتَ فِي حِلٍّ، فَأَشْهَدُ بِصُرِّ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ - وَوَضَعَ إِصْبَعِيهِ عَلَى عَيْنَيْهِ - وَسَمِعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطٍ ^(١) قَلْبِهِ - رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ ^(٢) مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظْلَمَ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ» ^(٣).

الله أكبر، لم يقل: لا عليّ منك، ولم يوبّخه، ولم يتطاوّل عليه، ولم يقل: لم تتدبّر مني؟ ولم يفرّق شمله، والله المستعان، بل ورد فضل عظيم لهذه النفوس الزكية. والله ما أعظمه من ثواب في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من حديث بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةٌ». قَالَ ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِيهِ صَدَقَةٌ». قُلْتُ: سَمِعْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِيهِ صَدَقَةٌ». ثُمَّ سَمِعْتُكَ تَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِيهِ صَدَقَةٌ». قَالَ: «لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ

(١) هو عِرْقٌ مُعَلَّقٌ بِالْقَلْبِ. شرح النووي على مسلم (١٨/١٣٥).

(٢) الْإِنْظَارُ: التَّأخِيرُ وَالْإِهْمَالُ. يُقَالُ: أَنْظَرْتُهُ أَنْظَرْتُهُ، وَاسْتَنْظَرْتُهُ، إِذَا طَلَبْتَ مِنْهُ أَنْ يُنْظَرَكَ. النهاية: نظر.

(٣) أخرجه مسلم (٤/٢٣٠١، ٣٠٠٦).

الدَّيْنُ، فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَانْظُرْهُ، فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِيهِ صَدَقَةٌ»^(١).

فاهنؤوا يا أصحاب الديون، فلا تعتقدوا أن أموالكم ذهبت، فهي صدقات لكم في كل يوم مضاعفة، رأيت مالك الذي في بيتك لا تأخذ عليه أجراً، وهذا لك به في كل يوم مثلاًه صدقة، فأنتم تتصدقون، تالله ما أمركم ربكم أن تنظروا المعسر ليذهب عليكم أموالكم، بل أمركم ليبقي أجرها لكم، فالله خير وأبقى.

ثم صلّوا وسلّموا على رسول الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال جلّ وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلّ وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، وعن الصحابة أجمعين، وعنّا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عدداً.

اللهم آمناً في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

(١) أخرجه أحمد (٣٦٠/٥)، رقم ٢٣٠٩٦ واللفظ له، وابن ماجه (٨٠٨/٢)، رقم ٢٤١٨.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جميلاً، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الزوجُ وحقُّ الزوجة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيَكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فَقَدْ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّهُ لَا حَدٌّ لِلسَّيِّئِ الَّذِي تَتَزَوَّجُ بِهِ الْفَتَاةُ مَا دَامَتْ تُطِيقُهُ.

وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، وَأُدْخِلَتْ عَلَيْهِ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ، وَمَكَثَتْ عِنْدَهُ تِسْعًا»^(١).

(١) أخرجه البخاري (١٧/٧، رقم ٤٨٤٠)، ومسلم (١٠٣٩/٢، رقم ١٤٢٢).

ولكن مَنْ هي عائشة؟

قال عطاء: «كَانَتْ عَائِشَةُ أَفْقَهَ النَّاسِ، وَأَعْلَمَ النَّاسِ، وَأَحْسَنَ النَّاسِ رَأْيًا فِي الْعَامَّةِ»^(١).

وقال عروة: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِشَعْرٍ، وَلَا فَرِيضَةٍ، وَلَا أَعْلَمَ بِفِقْهِ مِنْ عَائِشَةَ»^(٢).

وقال أبو الزناد: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَرَوَى لِشَعْرٍ مِنْ عُرْوَةَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا أَرَوَاكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! قَالَ: وَمَا رِوَايَتِي مِنْ رِوَايَةِ عَائِشَةَ! مَا كَانَ يَنْزِلُ بِهَا شَيْءٌ إِلَّا أَنْشَدْتُ فِيهِ شِعْرًا»^(٣).

قال الزُّهْرِيُّ: «لَوْ جُمِعَ عِلْمُ عَائِشَةَ إِلَى عِلْمِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِلْمُ جَمِيعِ النِّسَاءِ، لَكَانَ عِلْمُ عَائِشَةَ أَفْضَلَ»^(٤).

وَرَوَتْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِي حَدِيثٍ.

إِنَّ السَّنَّ لَيْسَ هُوَ الْمَقْيَاسُ فِي نَجَاحِ الزَّوْجِ وَفَشْلِهِ، وَإِنَّمَا فِي عَقْلِ الْمَرْأَةِ وَتَرْبِيَّتِهَا، وَكَذَلِكَ الشَّابُّ.

ولهذا روى الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا خُطِبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرَّوْجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»^(٥).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/ ١٥)، رقم (٦٧٤٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٧٦)، رقم (٢٦٠٤٤).

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ١٨٨٣).

(٤) موطأ مالك (٦/ ١٢٤).

(٥) تقدم تخريجه.

فَجَعَلَ الْمَنَاطَ هُوَ الدِّينَ وَالْخُلُقَ.

وقد روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضَى لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «الْمُرَادُ هُنَا بِالْبَاءَةِ مُؤْنُ النِّكَاحِ، سُمِّيَتْ بِاسْمِ مَا يُلَازِمُهَا، وَتَقْدِيرُهُ: مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ مُؤْنَ النِّكَاحِ فَلْيَتَزَوَّجْ».

إن واقع كثير من المتزوجين يعيش ظلماً من الأزواج على زوجاتهم، وبعضها ترنحاً ينتظر السقوط، فبعض الأزواج يريد زوجة لا تكدره أبداً تسمع وتطيع، ولا يحق لها الشكوى، ولا الأنيُن، وهذا طلبُ المحال.

لِنَتَأَمَّلَ حال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه القصة المؤثرة التي رواها مسلم من حديث جابر بن عبد الله قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ لَمْ يُؤْذَنَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ - قَالَ - فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ وَاجِمًا سَاكِتًا - قَالَ - فَقَالَ: لَا أَقُولَنَّ شَيْئًا أَضْحِكُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ سَأَلْتَنِي النَّفَقَةَ فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَوَجَأْتُ عَنْقَهَا. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: «هُنَّ

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٥٠، رقم ٤٧٧٨)، ومسلم (٢/ ١٠١٨، رقم ١٤٠٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (٩/ ١٧٣).

حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلُنِي النَّفَقَةَ». فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجُأُ عَنْقَهَا فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجُأُ عَنْقَهَا كِلَاهُمَا يَقُولُ تَسْأَلُنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ. فَقُلْنَ وَاللَّهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ، ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ، ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبُ الْأَنْبِيَاءِ﴾ [الأحزاب: ٢٨]، حَتَّى بَلَغَ ﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرٌ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٩]، قَالَ فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ أَمْرًا أَحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكَ». قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ، قَالَتْ أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ، بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ. قَالَ: «لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةً مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعْتَنًا، وَلَا مُتَعَتًّا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُسِيرًا»^(١).

كَأَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَوَقَّعَتْ: أَنَّهُ إِذَا لَمْ يُخْبِرْ أَحَدًا مِنْ زَوْجَاتِهِ يَكُونُ فِيهِنَّ مَنْ يَخْتَارُ الدُّنْيَا، فَيَفَارِقُهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْهَنَ إِذَا سَمِعْنَ بِاخْتِيَارِهَا هِيَ لَهُ اقْتَدَيْنَ بِهَا فَيَخْتَرْنَهُ، وَكَذَلِكَ فَعَلْنَ.

وَوَجْهُ التَّيْسِيرِ فِي هَذَا أَنَّهُ إِذَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ اقْتَدَى بِهَا غَيْرُهَا مِنْ أَزْوَاجِهِ، وَسَهَّلَ عَلَيْهَا اخْتِيَارُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالِدَارِ الْآخِرَةِ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّكَ اسْتَفْجِرَةٌ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَفْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا
الله تعظيماً لِسَانِهِ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى جنّته
ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرِ الْإِخْوَةِ، إِذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمُرُّ بِبَعْضِ هَذَا مَعَ
أَزْوَاجِهِ، مَعَ أَنَّهُنَّ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَيْفَ بَغَيْرِهِ.

فَالزَّوْجُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ زَوْجَتِهِ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي خُطْبَتِهِ الَّتِي سُمِّيَتْ بِخُطْبَةِ الْوَدَاعِ: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ
بِأَمَانٍ مِنَ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ»^(١).

جاء في الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنْ
أَعْوَجَ شَيْءٌ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرْتُهُ، وَإِنْ تَرَكْتُهُ لَمْ يَزَلْ
أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»^(٢).

(١) أخرجه مسلم (٨٨٦/٢)، رقم (١٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٢١٢/٣)، رقم (٣١٥٣)، ومسلم (١٠٩١/٢)، رقم (١٤٦٨).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ^(١): «يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ضَرَبَ ذَلِكَ مَثَلًا لِأَعْلَى الْمَرْأَةِ، لِأَنَّ أَعْلَاهَا رَأْسُهَا، وَفِيهِ لِسَانُهَا، وَهُوَ الَّذِي يَحْصُلُ مِنْهُ الْأَذَى».

وقد شَعَرَ الصحابة - رضي الله عنهم - عناية الكتاب والسنة بالوصية بِحَقِّ الزَّوْجَةِ، والتأكيد على ذلك، فاسمع إلى ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما في صحيح البخاري - وهو يَحَدِّثُنَا عن ذلك إذ يقول: «كُنَّا نَنْقِي الْكَلَامَ وَالْإِنْسَاطَ إِلَى نِسَائِنَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَيْبَةً أَنْ يَنْزَلَ فِينَا شَيْءٌ، فَلَمَّا تُوِّفِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكَلَّمْنَا وَانْبَسَطْنَا»^(٢).

فقوله: «والانبساط»، أي ومن جُمْلَةٍ ما نَقِي أيضًا التقصير في حَقِّهنَّ، وَتَرَكِ الرَّفْقَ بهنَّ، كما أفاده العيني رَحِمَهُ اللهُ^(٣).

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

فكيف إذا كان شتمًا ولعنًا، وربما تتعدى يده الأثمة إلى ضربٍ مُبرِحٍ. لقد عَظُمَ الْخَطْبُ على كثيرٍ من أَخَوَاتِنَا أَمَامَ هَمَجِيَةِ بَعْضِ الْأَزْوَاجِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ رَادَعًا دُنْيَوِيًّا، وَلَا يَخَافُونَ عِقَابًا أُخْرَوِيًّا.

وكم سَمِعْنَا مِنَ الْمَآسِي مَا تَنْقَطِعُ لَهُ الْأَكْبَادُ، وهذه المرأة المسكينة تتجرع الغصص وتعيش النكد وتحمله إما بسبب قلة الناصر من أوليائها أو النظر

(١) فتح الباري (٩/٢٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧/٢٦، رقم ٤٨٩١).

(٣) انظر عمدة القاري (٢٠/١٦٧).

إلى عاقبة أولادها وتأمل قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه الإمام أحمد وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِكُمْ»^(١).

وروى الترمذي وغيره من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»^(٢).

وإن أعظم حق على الزوج هو أمرها بالقيام بحقوق ربها جل وعلا، وذلك بأمرها بالصلاة والمحافظة عليها، كما وصف الله نبيه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَام بقوله: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥].

وإن من الخير الذي انتشر هذه الدورات الثقيفية في إدارة الأسرة والتعامل بين الزوجين في وقت أصبح كثير من الشباب والفتيات يتلقفون قانون الحياة من الإعلام الهابط، والممثلين الهابطين الذين فسلوا في إدارة أنفسهم قبل بيوتهم وزوجاتهم.

وكثير من المشاكل التي نسمعها -وبعضها يؤدي إلى الطلاق- هي بسبب أمور تافهة لا يخلو منها بيت، ولكن طريقة التعامل معها، وعدم تدخل العقلاء من الأسرتين أدّى إلى الطلاق.

على الأم أن تثقف بنتها بحق الزوج، وأهميّة رعاية زوجها، لا أن تأتي البنت وأكبر همّها هو السّفَر والأسواق واللباس، والتحدث بذلك عند صديقاتها، بل لتخبرها أن الزوج طريق للجنة، إن قامت بحقه ورعايته.

(١) أخرجه أحمد (٩٩/٦، رقم ٢٤٧٢١)، والترمذي (٤٥٨/٣، رقم ١١٦٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٧٠٩/٥، رقم ٣٨٩٥).

وعلى الأب أن يُربِّي ابنه على احترام حقِّ زوجته، وألا يستعبدَها، ولا يحقرَها، وأن يحفظَ كرامتها، ويُنزلها المكانَ اللائقَ بها، واتَّقوا الظُّلَمَ فإنه ظلماتٌ يومَ القيامةِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا يَفْرُكُ - أي لا يبغيض - مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»^(١).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُم رَبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا

(١) أخرجه مسلم (٢/١٠٩١)، رقم (١٤٦٩).

جميلًا، اللهم ارفع ما نزل من الفتن، اللهم اغفر لنا ولو الدين.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



مال الزوجة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله - عِبَادَ اللَّهِ - حق التقوى، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: صُورَةٌ مِنْ صُورِ الظُّلْمِ وَأَكْلِ الْمَالِ قَدْ انْتَشَرَتْ وَتَفَاقَمَتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبُيُوتِ يُزَاوِلُهَا الْأَزْوَاجُ فِي كُلِّ آخِرِ شَهْرٍ، أَلَا وَهِيَ أَكُلُ رَاتِبِ الزَّوْجَةِ أَوْ مَكَافَأَتِهَا، كَثِيرٌ مِنَ الْأَزْوَاجِ يَأْخُذُ بِطَاقَةِ الصَّرَافِ مِنْ زَوْجَتِهِ، وَيَسْحَبُ مِنْ مَالِهَا، مَتَى مَا أَرَادَ دُونَ خَوْفٍ أَوْ وَجَلٍ، وَالْأُنْكَى حِينَمَا يَأْخُذُهُ الزَّوْجُ دُونَ تَأْنِيْبٍ ضَمِيرٍ، مِنْ قَالَ: إِنْ مَالُهَا لَكَ، وَاللَّهُ لَتُسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَنْ هَذَا الْمَالِ، وَلَتُحْشَرَنَّ مَعَ الظَّالِمَةِ وَآكِلِي أَمْوَالِ النَّاسِ، تَأْمَلُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتَيْنِ نَحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيَّتًا﴾ [النساء: ٤].

وسبب الآية فيما ذكر أن قومًا تحرَّجُوا أن يرجع إليهم شيء مما دفعوه إلى

الزوجات فنزلت: ﴿فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ﴾، فالخطاب للأزواج أمروا بإيتاء نسائهم الصَّدَاقَ، فَإِنْ طَابَتْ نَفُوسُهُنَّ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَوْهَبْنِ مِنْكُمْ، ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ سائغًا طيبًا.

وقال ابن عباس: «إذا جادت المرأة لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة، لا يقضي به عليكم سلطان، ولا يؤاخذكم الله تعالى به في الآخرة»^(١).

عن ابن عباس: ﴿فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ [النساء: ٤]، يقول: إذا كان غير إضرارٍ ولا خديعة، فهو هنيءٌ مريءٌ، كما قال الله جل ثناؤه، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا، قال الله: ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ [النساء: ٢٠].

فتأمل كيف منع الله جلَّ وعَلَا أَنْ يَأْخُذَ الزَّوْجُ مِنْ زَوْجَتِهِ بَعْضَ مَهْرِهَا، فكيف بمالٍ هو من كَدِّهَا وَتَعَبِهَا وَجَهْدِهَا؟ وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْإِعْتِدَاءِ وَأَخِذِ الْمَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ، رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي حُرَّةَ الرَّقَاشِيِّ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: كُنْتُ آخِذًا بِزِمَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ أَذُودُ عَنْهُ النَّاسُ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَتَذَرُونَ فِي أَيِّ شَهْرِ أَنْتُمْ؟ وَفِي أَيِّ يَوْمٍ أَنْتُمْ؟ وَفِي أَيِّ بَلَدٍ أَنْتُمْ؟» قَالُوا: فِي يَوْمٍ حَرَامٍ وَشَهْرٍ حَرَامٍ وَبَلَدٍ حَرَامٍ، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَهُ» ثُمَّ قَالَ: «اسْمَعُوا مِنِّي تَعِيشُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، إِنَّهُ لَا يَحِلُّ

مَا لُ امْرِئٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ»^(١).

وروى مسلمٌ في صحيحه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟». قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(٢).

وَرَوَى أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتَوُودَنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرَنَاءِ»^(٣).

ولا شك أن أخذ مال الزوجة دون رضاها ظلمٌ وغصب، وأكلٌ لما لها بالباطل، حتى ولو كان الزوج يعود بهذا المال على البيت ونفقته فهو حرامٌ لا يجوز؛ لأن نفقة البيت واجبةٌ على الزوج لا عليها.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا كانت الزوجة تُدرِّس، وقد شرط على الزوج تمكينها من تدريسها؛ فإنه لا حقَّ له فيما تأخذه من راتبٍ، لا نصف ولا أكثر ولا أقل، الراتب لها ما دام قد شرط عليه عند العقد أنه لا يمنعها من التدريس فرضي بذلك، فليس له الحقُّ أن يمنعها من التدريس، وليس له

(١) أخرجه أحمد (٧٢/٥)، رقم (٢٠٧١٤) قال الهيثمي (٣/٢٦٦): رواه أحمد وأبو حرة الرقاشي وثقه أبو داود وضعفه ابن معين، وفيه على بن زيد وفيه كلام.

(٢) أخرجه مسلم (٤/١٩٩٧)، رقم (٢٥٨١).

(٣) أخرجه مسلم (٤/١٩٩٧)، رقم (٢٥٨٢).

الحق أن يأخذ من مكافأتها، أي من راتبها شيئاً، هو لها، أما إذا لم يشترط عليه أن يمكنها من التدريس، ثم لما تزوج قال لا تدرسي، فهذا لهما أن يصطلحا على ما يشاءان، يعني مثلاً له أن يقول: أمكنك من التدريس بشرط أن يكون لي شيء من الراتب، على ما يتفقان عليه، وأما إذا شرط عليه أن تدرس وقبل فليس له الحق أن يمنعها وليس له الحق أن يأخذ من راتبها شيئاً^(١).

أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ، وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٤].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ تَعْظِيماً لِّشَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.
أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: لَقَدْ سَمِعْنَا وَقَرَأْنَا آهَاتٍ كَثِيرٍ مِنَ الزَّوْجَاتِ بِسَبَبِ اسْتِبْدَادِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَظُلْمِهِنَّ فِي أَمْوَالِهِنَّ، وَعَدَمِ النِّفْقَةِ عَلَيْهِنَّ بِحُجَّةِ أَنَّهُنَّ

(١) شرح رياض الصالحين (٦/١٤٣).

يستلمن راتبًا أو مكافأة، وهذا صحيح ولكن يبقى التوجيه للزوجات بأن من أعظم البرِّ والإحسان هو مساعدة الزوج على تكاليف الحياة، وشدة المعيشة، فما المانع أن تساهم الزوجة من مالها بما يحتاجه زوجها وأولادها بما لا يضرها؟! بل إن الله جل وعلا جعله ﴿هَيْئَةً مِّنَّا﴾ [النساء: ٤].

وقد روى الطبري عن عبيدة قال، قال لي إبراهيم: أكلت من الهنيء المريء! قلت: ما ذاك؟ قال: امرأتك أعطتك من صدقها. وروى عن إبراهيم قال: دخل رجل على علقمة، وهو يأكل من طعام بين يديه، من شيء أعطته امرأته، فقال له علقمة: اذن فكل من الهنيء المريء! ^(١).

روى البخاري في صحيحه عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: كنت في المسجد فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «تصدقن، ولو من حليكن» وكانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام في حجرها، قال فقالت لعبد الله سل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيجزي عني أن أنفق عليك وعلى أيتام في حجرني من الصدقة؟ فقال سيلي أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت امرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتي، فمرر علينا بلال، فقلنا: سل النبي صلى الله عليه وسلم: أيجزي عني أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجرني؟ وقلنا: لا تخبر بنا، فدخل فسأله فقال: «من هما؟» قال: زينب، قال: «أي الزينب؟» قال: امرأة عبد الله، قال: «نعم، لها أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة» ^(٢).

(١) تفسير الطبري (٧/ ٥٥٥).

(٢) أجر البخاري (٢/ ٥٣٣، رقم ١٣٩٧).

فاعلمي أنَّ ما تبدُّلينه هو من أفضل الصدقات والبر، والله لا يُضيع أجرَ مَنْ أحسنَ عملاً.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارْضُ اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين، وَالْأئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزِّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّهُمَّ وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

العضل

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أثرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ، لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النُّورِ فَاحِشَةَ الزِّنَا وَعُقُوبَتَهَا، وَمَنْ سَعَى فِي نَشْرِهَا بِقَصْدٍ أَوْ بِدُونِ قَصْدٍ، ذَكَرَ سَبَبًا مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ انْتِشَارِ الْفَاحِشَةِ، وَهُوَ غَضُلُ الْفَتَيَاتِ عَنِ الزَّوْجِ وَالتَّشْدِيدُ عَلَى الْفِتْيَانِ، قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]. وَالْأَيَامَى: جَمْعُ أَيْمٍ، وَهِيَ مَنْ لَا زَوْجَ لَهَا، وَيُطْلَقُ عَلَى الرَّجُلِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَقَوْلُهُ: ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ أَي: الْعَبِيدُ الذُّكُورُ، وَالْإِمَاءُ كَذَلِكَ.

قَالَ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ^(١): «وَزَوَّجُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مَنْ لَا زَوْجَ لَهُ مِنْ

أَحْرَارَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ، وَمِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ مِنْ عِبِيدِكُمْ وَمَالِكِكُمْ... إِنْ يَكُنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تُنكِحُونَهُمْ مِنْ أَيَّامِي رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ وَعِبِيدِكُمْ وَإِمَائِكُمْ أَهْلَ فَاقَةٍ وَفَقْرٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يُغْنِيهِمْ مِنْ فَضْلِهِ، فَلَا يَمْنَعَنَّكُمْ فَقْرُهُمْ مِنْ إِنْكَاحِهِمْ».

ولهذا حَرَّمَ اللَّهُ عَصَلَ الْبَنَاتِ، وَجَعَلَهُ مِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ، وهو أَنْ يَرْفُضَ الْوَلِيُّ مِنْ أَبٍ أَوْ أَخٍ أَوْ جَدٍّ أَوْ عَمٍّ أَنْ يَرْفُضَ تَزْوِيجَ الْبِنْتِ، وهي رَاغِبَةٌ: إِمَّا لِفَقْرِ الزَّوْجِ، أَوْ لِأَنَّ قَبِيلَتَهُ لَيْسَتْ مِنْ قَبِيلَتِهِ، أَوْ أَنْ تَكُونَ الْبِنْتُ مُوظَّفَةً لِيَأْخُذَ رَاتِبَهَا، أَوْ يَتَنَظَّرَ التُّجَّارَ وَالْكِبَارَ أَنْ يَتَقَدَّمُوا إِلَيْهَا، وَهَذَا مِنْ أَشْنَعِ الظُّلْمِ، بَلْ قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿لَا يَحِلُّ﴾ تأملوا قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

قال الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ^(١): «فَحَرَّمَ اللَّهُ -تَعَالَى- ذَلِكَ عَلَى عِبَادِهِ، وَحَظَرَ عَلَيْهِمْ نِكَاحَ حَلَائِلِ آبَائِهِمْ، وَنَهَاهُمْ عَنْ عَضْلِهِنَّ عَنِ النِّكَاحِ».

قال الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «يُوجَدُ أَنَاثٌ عِنْدَهُمْ بَنَاتٌ، بَلْ عِنْدَهُمْ عِدَّةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْبَنَاتِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَأْتِيهِ الْخَاطِبُ الْكَفَاءُ، فَيُرَدُّهُ دُونَ أَنْ يَسْتَشِيرَ الْبِنْتَ، وَقَدْ جَرَى هَذَا كَثِيرًا، وَمَا أَكْثَرَ الْبَنَاتِ اللَّاتِي يَشْكُونُ مِنْ هَذَا: أَنَّ آبَاهُنَّ يَرُدُّنَّ الْخُطَّابَ الْأَكْفَاءَ دُونَ أَنْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَى الْبِنْتِ الْمَخْطُوبَةِ،

(١) تفسير الطبري (٦/ ٥٢١).

(٢) في أحد اللقاءات الشهرية التي كان يلقيها رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهذه والله خيانة للأمانة، وقد قال الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا
 اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٧) وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمَوَلُكُمْ وَأَوَلَدُكُمْ
 فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿[الأنفال: ٢٧ - ٢٨]، وقد ذَكَرَ العلماء - رَحِمَهُمُ
 اللَّهُ - أَنَّ وَلِيَّ الْمَرْأَةِ إِذَا مَنَعَهَا كُفْتًا فِي دِينِهِ وَخُلُقِهِ، فَإِنَّ وَلَايَتَهُ تَسْقُطُ، وَإِذَا تَكَرَّرَ
 ذَلِكَ مِنْهُ، فَإِنَّ عِدَالَتَهُ تَزُولُ، بِمَعْنَى: أَنَّ الرَّجُلَ لَوْ خُطِبَ مِنْهُ عِدَّةَ مَرَاتٍ
 وَهُوَ يَرُدُّ الْأَكْفَاءَ، فَإِنَّهُ يَكُونُ بِذَلِكَ فَاسِقًا، لَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ، وَلَا وَلَايَتُهُ لَهُ، بَلْ
 قَالَ الْعُلَمَاءُ: لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا فِي النَّاسِ؛ لِأَنَّهُ فَاسِقٌ، حَيْثُ عَصَلَ ابْنَتَهُ
 مِنَ الزَّوْاجِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَسْقُطُ وَلَايَتُهُ، وَالْأَبُ سَيَزِدَادُ إِثْمًا؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي مَنَعَ
 حَقَّهَا. وَلَقَدْ حَدَّثَ قَبْلَ سِنَوَاتٍ أَنَّ فَتَاةً حَضَرَهَا الْمَوْتُ وَعُمُرُهَا فَوْقَ ثَلَاثِينَ
 سَنَةً، وَعِنْدَهَا نِسَاءٌ يُمَرِّضْنَهَا، فَلَمَّا حَضَرَهَا الْمَوْتُ - وَهِيَ فِي سِيَاقِ الْمَوْتِ -
 قَالَتْ لَهُنَّ: بَلِّغُوا أَبِي سَلَامِي، وَقُلْنَ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ ظَلَمَنِي حَيْثُ لَمْ يُزَوِّجْنِي،
 وَلَكِنِّي سَأَقِفُ أَنَا وَهُوَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ».

وهنيئًا لمن وُفِّقَ فِي تَزْوِيجِ بَنَاتِهِ، وَسَهَّلَ أَمْرَ زَوَاجِهِنَّ.

وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ فَأَدَبَهُنَّ وَزَوَّجَهُنَّ
 وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ» (١).

قَالَ الزَّيْنُ الْعِرَاقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٢): «وَفِيهِ تَأْكِيدُ حَقِّ الْبَنَاتِ لِمَا فِيهِنَّ مِنْ
 الضَّعْفِ غَالِبًا عَنِ الْقِيَامِ بِمَصَالِحِ أَنْفُسِهِنَّ بِخِلَافِ الذُّكُورِ لِمَا فِيهِمْ مِنْ قُوَّةٍ

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٣٣٨، رقم ٥١٤٧).

(٢) تحفة الأحوذى (٦/ ٣٦).

الْبَدَنِ وَجَزَالَةَ الرَّأْيِ».

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هُنْتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِجٌّ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله؛ تعظيماً لِسَانِهِ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنّته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه، أمّا بعد:

مَعَشَرَ الْمُصْلِينَ، وَمِنْ صُورِ الْعُضْلِ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الْأَزْوَاجِ حِينَ لَا تُعْجِبُهُ الْمَرْأَةُ، أَوْ لِأَيِّ أَمْرٍ آخَرَ، ثُمَّ يُسِيءُ عَشْرَتَهَا مِنْ أَجْلِ أَنْ تُرَدَّ إِلَيْهِ مَهْرَهَا، وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ هَذَا فِي كِتَابِهِ، قَالَ اللَّهُ -تعالى-: ﴿يَتَايَاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْثُوا النِّسَاءَ كَرَهًا وَلَا تَقْضُوا لَهُنَّ إِنْ تَزَاجَرُوا فِي بَعْضِ مَا ءَاتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ [النساء: ١٩].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(١): «قوله: ﴿وَلَا تَقْضُوا لَهُنَّ﴾ يقول: لا

(١) تفسير الطبري (٦/٥٢٨).

تَقْهَرُوهُنَّ، ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ اتَيْتُمُوهُنَّ﴾ يعني الرَّجُلُ تكونُ له المرأةُ وهو كَارِهِهُ لِصُحْبَتِهَا، ولها عليه مَهْرٌ، فَيُضْرَبُ بِهَا لِتَقْتَدِيْ».

وَكَمْ فِي وَاقِعِنَا مِنْ قِصَصِ الْأَزْوَاجِ الْمُتَعَتِّينِ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ ضَيَّقُوا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ وَنَكَّدُوا عَلَيْهِنَ دُونَ أَيِّ سَبَبٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَدْفَعَ لَهُ الْمَهْرَ الَّذِي دَفَعَهُ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ اتَيْتُمُوهُنَّ﴾، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ نَهَى عَنِ الْبَعْضِ، وَجَعَلَهُ حَرَامًا، فَكَيْفَ بِمَنْ يَطْلُبُ الْكُلَّ؟! وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَخِطَابٌ لِلآبَاءِ بَأَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِي تَرْوِيجِ أَبْنَائِهِمْ لِمَنْ كَانَ قَادِرًا، وَقَدْ نَصَّ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الْأَبَ إِذَا كَانَ قَادِرًا، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَوِّجَهُ، وَأَنَّ هَذَا مِنَ النَّفَقَةِ الْوَاجِبَةِ كَالطَّعَامِ وَالْكِسْوَةِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْإِحْسَانِ لَا سِيَّمَا فِي زَمَانِنَا، مَعَ كَثْرَةِ الْفِتَنِ.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «أَوْصِي الْآبَاءَ بِالنِّسْبَةِ لِأَبْنَائِهِمْ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ -تَعَالَى- فِيهِمْ، لِأَنَّ الْأَبَ إِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَى تَرْوِيجِ ابْنِهِ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُزَوِّجَهُ وَجُوبًا، كَمَا يَجِبُ أَنْ يَكْسُوهُ وَيُطْعِمَهُ وَيُسْقِيَهُ وَيُسْكِنَهُ، يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَوِّجَهُ، وَالْعَجَبُ أَنَّهُ يَوْجَدُ آبَاءَ أَغْنِيَاءُ يَقُولُ لَهُ الْوَلَدُ: زَوِّجْنِي، فَيَقُولُ: لَا أَرْوِّجُكَ، أَنْتَ اْعْمَلْ وَزَوِّجْ نَفْسَكَ. سُبْحَانَ اللَّهِ! الْأَمْرُ بِيَدِهِ، هَلِ الدَّرَاهِمُ مَوْجُودَةٌ عَلَى الرِّمَالِ وَرُءُوسِ الْجِبَالِ؟ وَلِهَذَا تَرَى أَنَّ الرَّجُلَ الْقَادِرَ عَلَى تَرْوِيجِ أَبْنَائِهِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَوِّجَهُمْ وَجُوبًا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَهُوَ ظَالِمٌ آثِمٌ، وَلَسْتُ أَقُولُ هَذَا مِنْ عِنْدِ نَفْسِي، بَلْ قَالَهُ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، قَالُوا: إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يُعِفَّ أَبْنَاءَهُ كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسُدَّ جُوعَهُمْ وَعَطَشَهُمْ، بَلْ قَدْ تَكُونُ

(١) فِي أَحَدِ اللَّقَاءَاتِ الشَّهْرِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَلْقِيهَا رَحِمَهُ اللَّهُ.

مسألة الزواج أخطر؛ لأنها قد تتعدى إلى الغير فيفسد غيره، فيجب على الآباء أن يزوجوا أبناءهم إذا كانوا قادرين.

ثم صلُّوا وسلِّموا على رسول الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين، وعنَّا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضال المسلمين، اللهم رُدِّهم إليك ردًّا جميلًا، اللهم ارفع ما نزل من الفتن، اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

القتل

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله أيها المسلمون والمسلمات؛ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

مَعَاشِرَ الْإِخْوَةِ: جَرِيمَةُ عَظِيمَةٌ وَفِعْلَةٌ خَطِيرَةٌ، نَهَى اللَّهُ عَنْهَا فِي عَشْرَاتِ الْمَوَاضِعِ مِنَ الْقُرْآنِ، جَرِيمَةٌ تُوجِبُ خَمْسَ عُقُوبَاتٍ، كُلُّ وَاحِدَةٍ أَشَدُّ مِنَ الْأُخْرَى، إِنَّهَا جَرِيمَةُ الْقَتْلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، عُقُوبَاتُ أُخْرَوِيَّةٌ عَظِيمَةٌ، تَنْتَظِرُ الْقَاتِلَ، عُقُوبَاتُ تُفْزَعُ النَّفْسُ، وَتُزَلْزَلُ الْكَيَانُ، وَتُرْعَبُ الْجَنَانُ.

الأولى: جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا؛ فَيَا وَيْلَهُ، مَا أَصْبَرَهُ عَلَى نَارِ جَهَنَّمَ، وَ«قَدْ

فُضِّلَتْ عَلَى نَارِ الدُّنْيَا كُلِّهَا بِتِسْعَةِ وَسْتَيْنَ جُزْءًا^(١)، أَلَا يَعْلَمُ الْقَاتِلُ أَيَّ دَارٍ هِيَ جَهَنَّمُ؟ أَلَا يَعْلَمُ الْقَاتِلُ أَيَّ دَارٍ سَتَسْتَقْبِلُهُ؟ إِنَّهَا دَارُ الدُّلِّ وَالْهَوَانِ، وَالْعَذَابِ وَالْخِذْلَانِ، دَارُ الشَّهيقِ وَالزَّفَرَاتِ، وَالْأَيْنِ وَالْعَبْرَاتِ، الْأَغْلَالُ تَجْمَعُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَعْنَاقِهِمْ، وَالنَّارُ تَضْطَرُّ مِنْ تَحْتِهِمْ وَمِنْ فَوْقِهِمْ، شَرَابُهُمْ مِنْ حَمِيمٍ يُضْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودِ، وَأَكْلُهُمْ شَجَرُ الزَّقُومِ، ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ ⑤ ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٥ - ٤٦]، يَدْعُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْمَوْتِ فَلَا يُجَابُونَ، وَيَسْأَلُونَ رَبَّهُم الْخُرُوجَ مِنْهَا فَلَا يُكَلِّمُونَ.

كَيْفَ لَوْ أَبْصَرَهُمُ الْقَاتِلُ - الَّذِي سَعَى لِإِزْهَاقِ نَفْسٍ مُسْلِمَةٍ - وَهُمْ يُسْحَبُونَ فِيهَا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ، أَمْ كَيْفَ لَوْ سَمِعَ الْقَاتِلُ صُرَاخَهُمْ وَعَوِيلَهُمْ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ.

ثم قال تعالى: ﴿وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾؛ وَيَبْسُ مَا حَصَلَ لِنَفْسِهِ مِنْ غَضَبِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ رَحْمَتَهُ وَعَفْوَهُ وَمَغْفِرَتَهُ.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَعَنَهُ﴾؛ أَي: طَرَدَهُ اللَّهُ وَأَبْعَدَهُ عَنْ رَحْمَتِهِ، خَتَمَ بِهِذِهِ اللَّعْنَةِ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ مَطْرُودٌ غَيْرُ مَرْحُومٍ.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾؛ وَيْلٌ، ثُمَّ وَيْلٌ لِمَنْ قَتَلَ مُسْلِمًا مُتَعَمِّدًا، وَيْلٌ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْعُقُوبَاتِ: النَّارُ، وَغَضَبُ الْجَبَّارِ، وَاللَّعْنَةُ، وَالْعَذَابُ الْعَظِيمُ.

وفي الحديث المتفق عليه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١٩١)، رقم ٣٠٩٢، ومسلم (٤/ ٢١٨٤)، رقم ٢٨٤٣.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ..»^(١).

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصَبْ دَمًا حَرَامًا»^(٢).

وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»^(٣).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ، الَّتِي لَا تَخْرُجُ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفْكَ الدِّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ»^(٤)، إِنَّ النَّفْسَ أَمْرُهَا عَظِيمٌ، وَسَفْكَ الدِّمِ جُرْمٌ عَظِيمٌ، وَلِذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ لَهَا الصَّدَاةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْقَضَاءِ فِي الْحَقُوقِ، فَكَمَا لِلصَّلَاةِ الصَّدَاةُ فِي الْقَضَاءِ فِي أُمُورِ الْعِبَادَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَالِدَّمَاءُ لَهَا الصَّدَاةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْقَضَاءِ فِي الْحَقُوقِ؛ كَمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدَّمَاءِ»^(٥).

وَانْظُرُوا إِلَى عِظَمِ الْأَمْرِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ

(١) أخرجه البخاري (٣/١٠١٧، رقم ٢٦١٥)، ومسلم (١/٩٢، رقم ٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦/٢٥١٧، رقم ٦٤٦٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/١٦، رقم ١٣٩٥)، وقال: روى سفيان الثوري عن يعلى بن عطاء موقوفاً وهذا أصح من الحديث المرفوع. والنسائي (٧/٨٢، رقم ٣٩٨٧)، والبيهقي (٨/٢٢، رقم ١٥٦٤٨) وقال: ورواه غندر وغيره عن شعبة موقوفاً والموقوف أصح.

(٤) أخرجه البخاري (٦/٢٥١٧، رقم ٦٤٧٠).

(٥) أخرجه البخاري (٦/٢٥١٧، رقم ٦٤٧١).

حديث المقداد بن عمرو قال: يا رسول الله، إن لقيت كافرًا فاقتلنا فضرَب يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ بشجرة، وقال: أسلمتُ لله، أقتله بعد أن قالها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقتله». قال: يا رسول الله، فإنه طَرَح إحدى يدي، ثم قال ذلك بعدما قطعها أقتله؟ قال: «لا تقتله؛ فإن قتلته فإنه بمنزلة قبل أن تقتله، وأنت بمنزلة قبل أن يقول كلمته التي قال»^(١).

أتعلمون قصة أسامة، ومن هو أسامة؟! حبُّ رسول الله وابنُ حبه، ولكن تأملوا قصته مع أنه كان متأولاً، كما جاءت في الصحيحين، واللفظ لمسلم، أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث بعثاً من المسلمين لقتال قوم من المشركين، وإنهم اتفقوا، فكان رجلٌ من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله، وإن رجلاً من المسلمين - وكنا نحدث أنه أسامة بن زيد - قصد غفلته، فلما رفع عليه السيف قال: لا إله إلا الله. فقتله أسامة فجاء البشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فأخبره حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع، فدعا أسامة فسأله فقال: «لم قتلته». قال: يا رسول الله! أوجع في المسلمين، وقتل فلاناً وفلاناً - وسمى له نفراً -، وإنني حملت عليه، فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقتله». قال: نعم. قال: «فكيف تصنع بلا إله إلا الله، إذا جاءت يوم القيامة». قال: يا رسول الله استغفر لي. قال: «وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة». قال: فجعل لا يزيدُه على أن يقول: «كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة». قال: فما زال يكررها عليّ حتى تميتُني لم أكن أسلمتُ

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٧٤، رقم ٣٧٩٤)، ومسلم (١/ ٩٥، رقم ٩٥).

قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ^(١).

إِذَا كَانَ هَذَا كَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَنْ قَتَلَ حَامِلَ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَالِ، فَكَيْفَ يُقَالُ لَمَنْ قَتَلَ حَامِلَ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَعَاشَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ عَلَى الصَّلَاةِ وَالْحَيْرِ.

وَتَأَمَّلُوا هَذَا الْحَدِيثَ الْعَظِيمَ كَمَا عِنْدَ ابْنِ مَاجَه فِي سُنَنِهِ؛ لِيُبَيِّنَ جُرْمَ وَعِظَمَ قَتْلِ حَامِلِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ قَالَ: شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ بَعَثَ جَيْشًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا لَقَوْهُمْ قَاتَلُوهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَّا عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِالرُّمَحِ. فَلَمَّا غَشِيَهُ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. إِنْهُ مُسْلِمٌ. فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ. فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ، قَالَ: «وَمَا الَّذِي صَنَعْتَ؟» مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ. فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي صَنَعَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهَلَّا شَقَقْتَ عَنْ بَطْنِهِ فَعَلِمْتَ مَا فِي قَلْبِهِ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ شَقَقْتُ بَطْنَهُ لَكُنْتُ أَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ: قَالَ «فَلَا أَنْتَ قَبِلْتَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ، وَلَا أَنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ»، قَالَ: فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ. فَدَفَنَاهُ فَأَصْبَحَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ. فَقَالُوا: لَعَلَّ عَدُوًّا نَبَشَهُ. فَدَفَنَاهُ. ثُمَّ أَمَرْنَا غِلْمَانَنَا يَحْرُسُونَهُ. فَأَصْبَحَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ. فَقُلْنَا: لَعَلَّ الْغِلْمَانَ نَعِسُوا. فَدَفَنَاهُ. ثُمَّ حَرَسْنَاهُ بَأَنْفُسِنَا فَأَصْبَحَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ. فَأَلْقَيْنَاهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الشُّعَابِ^(٢).

(١) أخرجه مسلم (١/ ٩٧، رقم ٩٧).

(٢) أخرجه ابن ماجة (٥/ ٨٣، رقم ٣٩٣٠).

أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تَعْظِيمًا لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ. أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَتِي فِي اللَّهِ: إِنَّ الْعَوَامِلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى الْقَتْلِ - فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ - كَثِيرَةٌ، وَمُثِيرَاتِ الْفِتَنِ مُتَعَدِّدَةٌ، وَأَسْلِحَةُ إِبْلِيسَ فِي إِذْكَاءِ نَارِ الْفِتْنَةِ وَالزِّيَادَةِ فِي وَهْجِهَا لَا تُحْصَى، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِهَا تَرْبِيَةَ الْأَبْنَاءِ عَلَى الْخُصُومَاتِ وَاعْتِبَارَهَا مِنَ الْبُطُولَاتِ، وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ حَقَّهُ بِيَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَهُ لَهُ غَيْرُهُ، فَتَنْتَشِرَ الْمَضَارِبَاتُ، وَتَتَحَفَّزُ الْعَدَاوَاتُ، وَتَتَوَطَّنَ مِنَ الْقَلْبِ الْأَحْقَادُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى الْقَتْلِ، وَإِزْهَاقِ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ عَلَى شَيْءٍ أَتْفَهَ مِنَ النَّافَةِ.

وَلَعَلَّ مَا يُذَكِّي نَارَ الْفِتْنَةِ أَنْ الْبَعْضَ يُحْمِلُ مَعَهُ فِي جَنْبِهِ سَكِينًا صَغِيرَةً، وَرُبَّمَا الْمُسْدَسَ، لَا لِشَيْءٍ سِوَى أَنَّهُ يُبْرِزُهُ عِنْدَ الْمَضَارِبَاتِ وَالْمَخَاصِمَاتِ؛

لِيَنْتَصِرَ عَلَى الْحَصَمِ، وَالشَّيْطَانُ أَحْرَصُ مَا يَكُونُ فِي أَنْ تَشْتَعِلَ نَارُ الْفِتْنَةِ، وَيَشْتَدَّ وَهْجُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى تَضْغَطَ الْأُنْمَلَةُ عَلَى زِنَادِ الْخُسْرَانِ وَالنَّدَامَةِ، زِنَادِ سُخْطِ اللَّهِ وَاللَّعْنَةِ، زِنَادِ الْهَوَانِ وَالذُّلِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، «وَمَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا»^(١)، لِنَنْطَلِقَ قَذِيفَةً تَتَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ لِتُرْدِيَ مُسْلِمًا قَتِيلًا عَلَى الْأَرْضِ فَتَرْهَقَ رُوحُهُ، وَيَزْهَقَ مَعَهَا حُرْمَةُ الْقَاتِلِ، وَتَحُلَّ مَكَانَهَا النَّدَامَةُ وَالْخُسْرَانُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

أَيُّ بَطُولَةٍ هَذِهِ تُزْهَقُ النَّفْسُ فِيهَا مِنْ أَجْلِ كَلِمَاتٍ غَيْرِ مَسْئُولَةٍ، مِنْ شَخْصٍ لَا يُبَالِي بِالْعَوَاقِبِ؟

أَيُّ بَطُولَةٍ هَذِهِ تُزْهَقُ نَفْسًا مِنْ أَجْلِ رِيَالٍ مَعْدُودَةٍ، بَلْ وَلَوْ مِائَاتِ الْأُلُوفِ، بَلْ الْمَلَايِينِ؟

أَيُّ بَطُولَةٍ هَذِهِ يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهَا بَعْدَهَا اللَّعْنَ وَالطَّرْدَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَذَابَ الْأَلِيمَ؟

وَإِنَّمَا لَبَطُولَةٌ حَقًّا أَنْ يَمْلِكَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ، فَلَا يُعْطِي الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ سَبِيلًا، تِلْكَ هِيَ الْقُوَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُهَا إِلَّا الْأَبْطَالُ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ الْمَعْصُومُ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ؛ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٦/٢٥٢٠، رقم ٦٤٨٠)، ومسلم (١/٩٨، رقم ٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥/٢٢٦٧، رقم ٥٧٦٣)، ومسلم (٤/٢٠١٤، رقم ٢٦٠٩).

ولعلَّكُمْ تَتَفَقُّونَ مَعِيَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - فِي أَنَّ لِلْأُسْرَةِ وَتَرْبِيَّتِهَا سَبَبًا رَئِيسًا فِي كُلِّ ذَلِكَ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ عِنْدَمَا تَشْهَدُ شَابًّا يَظُنُّ الْبُطُولَاتِ فِي الْمَضَارِبَاتِ وَالْمَخَاصِمَاتِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَقْرَانِهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ تَحْتَ تَشْجِيعِ الْأُسْرَةِ وَرِضَاهَا، - أَقُولُ - تَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ الْأُسْرَةَ قَدْ ضَلَّتْ طَرِيقَهَا فِي إِرْشَادِ ذَلِكَ الشَّابِّ، وَلَسَوْفَ يَنْدَمُ الْأَبُّ، وَتَنْدَمُ الْأُمُّ وَالْأُسْرَةُ بِأُسْرِهَا عِنْدَمَا يَقَادُ ابْنُهُمْ إِلَى سَاحَةِ الْقَصَاصِ ذَلِيلًا كَسِيرًا، يُدْفَعُ إِلَى الْمَوْتِ دَفْعًا، فِي ذُلٍّ وَهَوَانٍ وَصَغَارٍ!!

لَمْ؟ مِنْ أَجْلِ بُطُولَاتٍ زَائِفَةٍ؟ وَعَدَاوَاتٍ بَاطِلَةٍ؟ وَسَقَطٍ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الزَّائِلِ؟

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لِنَزْرَعْ فِي قُلُوبِنَا وَقُلُوبِ أَوْبَانِنَا وَجُوبِ الْإِنْقِيَادِ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَتَعْظِيمِ مَا عَظَّمَ اللَّهُ، وَالْوُقُوفَ عِنْدَ حُدُودِ اللَّهِ، فَتُعْظَمُ النَّفْسُ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ، وَالَّتِي هِيَ أَشَدُّ حُرْمَةً مِنْ حُرْمَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَلِنَقِفْ عِنْدَ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، فَلَا نُزْهِقْ نَفْسًا حَرَّمَهَا اللَّهُ، وَلَا نَتَعَدَّى حَدًّا حَدَّهُ اللَّهُ.

لِنُرَبِّ أَنْفُسَنَا وَأَوْبَانَنَا أَنَّ الْبُطُولَاتِ لَيْسَتْ فِي الْمَضَارِبَاتِ وَالْخُصُومَاتِ وَتَوْجِيهِ السَّلَاحِ إِلَى الْمُؤْمِنِ، وَلَكِنَّ الْبُطُولَاتِ تَكْمُنُ فِي الْإِلْتِرَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حُدُودِهِ وَمُقَاتَلَةِ أَعْدَائِهِ. فِي الْحَدِيثِ الْمَتَّفِقِ عَلَيْهِ، عَنْ جَرِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٥٦/١)، رقم (١٢١)، ومسلم (٨١/١)، رقم (٦٥).

وما أعظم رأي ابن عباس رضي الله عنهما في هذه المسألة، فقد روى أحمد في مسنده بإسناد صحيح عن سالم بن أبي الجعد، قال: كنا عند ابن عباس بعدما كُفَّ بصره، فأتاه رجل فناداه: يا عبد الله بن عباس، ما ترى في رجل قتل مؤمناً متعمداً؟ فقال: جزاؤه ﴿جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَعَظِيبُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنُهُ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ [النساء: ٩٣]، قال: أفرأيت إن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى؟ قال ابن عباس: ثكلته أمه، وأتت له التوبة والهدى؟! والذي نفسي بيده، لقد سمعت نبيكم يقول: «ثكلته أمه، قاتل مؤمناً متعمداً، جاء يوم القيامة أخذه يمينه أو بشماله، تشخب أوداجه من قبل عرش الرحمن، يلزم قاتله بشماله ويديه الأخرى رأسه، يقول: يا رب، سل هذا: فيم قتلتني؟»، وايم الذي نفس عبد الله بيده، لقد أنزلت هذه الآية فما نسختها من آية حتى قبض نبيكم، وما نزل بعدها من برهان^(١).

ثم صلُّوا وسلِّموا على رسول الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين، وعننا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك

(١) أخرجه أحمد (٢٩٤/١)، رقم ٢٦٨٣، وعبد بن حميد (٢٢٨/١)، رقم ٦٨٠.

باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضال المسلمين، اللهم ردهم إليك ردًا جميلًا، اللهم ارفع ما نزل من الفتن، اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



ترويع المسلم

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله أيها المسلمون والمسلمات، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

مَعَاشِرَ الْإِخْوَةِ: إِنَّ مِمَّا تَوَاطَأَتْ عَلَيْهِ الشَّرِيعَةُ وَأَكَّدَتْ عَلَى تَحْرِيمِهِ الشَّرِيعَةُ حُرْمَةَ تَرْوِيعِ الْمُسْلِمِ وَالْحَاقِ الْأَذَى فِيهِ، سَوَاءٌ كَانَ الْمَرْوُوعُ جَادًّا أَمْ هَازِلًا، وَلَوْ كَانَ أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ، وَبِأَيِّ طَرِيقَةٍ حَدَثَ هَذَا التَّرْوِيعُ فَهُوَ مُحَرَّمٌ، بَلْ عَدَّهُ أَهْلُ الْعِلْمِ كَالذَّهَبِيِّ وَغَيْرِهِ مِنَ الْكِبَائِرِ، الَّتِي لَا يَغْفُرُهَا اللَّهُ إِلَّا بِتَوْبَةٍ، وَلَا تَمْحُوهَا الطَّاعَاتُ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّىٰ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ»^(١).

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٢٠، رقم ٢٦١٦).

قال النووي معلقاً على هذا الحديث: «فيه تأكيدُ حرمةِ المسلم، والنهيُ الشديدُ عن ترويعه وتخويفه والتعرضِ له بما قد يؤذيه، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن كان أخاه لأبيه وأمه؛ مبالغةً في إيضاحِ عمومِ النهي في كلِّ أحدٍ، سواءً من يُتهم فيه ومن لا يُتهم، وسواءً كان هذا هزلاً ولعباً أم لا؛ لأنَّ ترويع المسلم حرامٌ بكلِّ حالٍ»^(١).

بل إن كثيراً من أهل العلم فسَّروا حديثَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح مسلم عن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا إِلَّا كَلْبَ صَيْدٍ أَوْ مَاشِيَةٍ نَقَصَ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطَانِ». فسَّروه لأنَّ الكلبَ يُرَوِّعُ النَّاسَ في أحيائهم، ويخوِّفُ صبيانهم ونساءهم، قال النووي: «وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي سَبَبِ نُقْصَانِ الْأَجْرِ بِاقْتِنَاءِ الْكَلْبِ فَقِيلَ: لِمَا يَلْحَقُ الْمَارِّينَ مِنَ الْأَذَى مِنْ تَرْوِيعِ الْكَلْبِ لَهُمْ وَقُصْدُهُ إِيْأَاهُمْ»^(٢).

وروى الطبرانيُّ من حديثِ ابنِ عمرَ مرفوعاً: «مَنْ أَخَافَ مُؤَمِّنًا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُؤَمِّنَهُ مِنْ أَفْزَاعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣)، بل روى البيهقيُّ عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «مَنْ نَظَرَ إِلَى مُسْلِمٍ نَظْرَةً يُخْيفُهُ فِيهَا بَغَيْرِ حَقٍّ أَخَافَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

(١) شرح النووي على مسلم (١٦ / ١٧٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٠ / ٢٣٩).

(٣) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (٣ / ٢٤)، رقم (٢٣٥٠).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦ / ٥٠)، رقم (٧٤٦٨)، والطبراني كما في مجمع الزوائد

(٢٥٣ / ٦) قال الهيثمي: رواه الطبراني عن شيخه أحمد بن عبد الرحمن بن عقال ضعفه أبو

سبحان الله! إذا كانت الإشارة بالحديدة لأخيك المسلم، وإن كان لأبيك وأمك، وإن كان مازحاً؛ فإنك تتعرض للعائني الملائكة حتى تنتهي، وكذلك حرّم اقتناء الكلاب من أجل أن لا يروّع الناس، بل حرّمت النظرة التي تخيف بها مسلماً بغير حق، فكيف بمن يروّع بما هو أشد من ذلك، حتى قد يذهب معه عقل الإنسان من الخوف والحسرة.

تأملوا هذه الحادثة التي رواها أبو داود في سننه، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرٍ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَبَلٍ مَعَهُ، فَأَخَذَهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ فَرَعَ فَصَحِكَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: مَا يُصْحِكُكُمْ؟ فَقَالُوا: لَا إِلَّا أَنَّا أَخَذْنَا نَبْلَ هَذَا فَفَرَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا»^(١).

وإن من أشد الترويع -عباد الله- ما يفعله بعض الناس من استخدام التصوير في نقل الأحداث والمآسي؛ كالحوادث وأخبار الوفاة، حتى إن أهل المتوفى لا يعلمون عن ابنهم شيئاً ألا يتقي الله من يتعمد الحصول على سبق الخبر والسرعة في نقل الحدث أن يفجع أباً أو أمّاً أو أخاً أو قريباً أو صديقاً، إن الشريعة شرعت عند نقل الأخبار السيئة والمحنة أن تنقل دون إيذاء لصاحب المصيبة، وإنما تكون بالتدرج حفاظاً على عقله وصحته، فكيف بمن لا ينقل الخبر فقط، بل ينقل معها صورة الحدث من خلال وسائل التواصل.

(١) أخرجه أحمد (٣٦٢/٥، رقم ٢٢٩٥٩)، وأبو داود (٣٠١/٤، قم ٥٠٠٤)، والبيهقي (٢٤٩/١٠، رقم ٢٠٩٦٦).

أين حديثُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا»، بل أين هو من قولِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما روى الطبراني عن عامر بن ربيعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا أَخَذَ نَعْلَ رَجُلٍ فَغَيَّبَهَا وَهُوَ يَمْزُحُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُرَوِّعُوا الْمُسْلِمَ؛ فَإِنَّ رَوْعَةَ الْمُسْلِمِ ظُلْمٌ عَظِيمٌ»^(١).

ما المصلحة من سرعة نقل الخبر؟ بل قد ينقل خبر الوفاة ولم يثبت بعد خبر وفاته طيبًا، ألا يعلم كم هي الفاجعة التي سببها للمسلمين؟! ألا يعلم أن خبر الوفاة يلزم منه أحكام شرعية على الغير؟! ألا يعلم أن الفقهاء نصوا على من أفزع إنسانًا فأصابته عاهة، أو ذهب عقله، أو توقفت بعض منافع أعضائه أنه ضامن لها، إن عرف في الدنيا، وإلا ففي الآخرة القصاص، فاحذر أن تتلطح بهذه الكبيرة، والتي قد تجر معها كباير أخرى دون أن تشعر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٦/٢٥٣)، والبخاري (٩/٢٧١)، رقم (٣٨١٦). قال الهيثمي (٦/٢٥٣): فيه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكْرُ على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله؛ تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الدَّاعِي إلى جَنَّتِهِ ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَتِي فِي اللَّهِ: إِنَّ اسْتِخْدَامَ التَّصْوِيرِ فِيهَا حَرَّمَ اللَّهُ أَصْبَحَ ظَاهِرَةً يَجِبُ الْوُقُوفُ أَمَامَهَا بِحَزْمٍ، وَمَعَ امْتِهَانِ النَّاسِ لَهَا أَصْبَحَ النَّاسُ لَا يَفَرِّقُونَ بَيْنَ مَا يُحَرِّمُ تَصْوِيرُهُ وَبَيْنَ مَا يُحِلُّ، فَالتَّوْعِيَةُ وَاجِبَةٌ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ وَالْمُرِيَّةِ وَأَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ كُلِّ قَدَرِ اسْتَطَاعَتِهِ.

ومن بين هذه الممارسات المحرمة تصوير الموتى على غير هيئات حسنة، وقد نصَّ أهل العلم على أن الغاسل يستر ما رآه من أهل الإسلام، إذا كان سيئاً احتراماً لحرمة الميت ولأهله، ولهذا رَوَى ابْنُ حِبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ، قَالَ: (بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ بِأَن قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ»^(١)، أَرَادَ بِهِ عَنْ ذِكْرِ مَسَاوِيهِ دُونَ مَحَاسِنِهِ): عَنْ ابْنِ عُثْمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ، وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِيهِهِمْ»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي (٧٠٩/٥، رقم ٣٨٩٥) وقال: حسن غريب صحيح. وابن حبان (٩/٤٨٤، رقم ٤١٧٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/٤١٥، رقم ٨٧١٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/٢٧٥، رقم ٤٩٠٠)، والترمذي (٣/٣٣٩، رقم ١٠١٩) وقال: غريب. والحاكم (١/٥٤٢، رقم ١٤٢١) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي (٤/٧٥، رقم ٦٩٨١)، وابن حبان (٧/٢٩٠، رقم ٣٠٢٠).

ولهذا رُوي عن رسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن صحابته الشناء على الأموات بما فيهم، وذُكِرُ محاسنهم، وكم من صورةٍ توجّه على أنها خاتمة سيئة وليست كذلك، فيدخل فيها كبيرة سوء الظن، والتألي على الله، وإيذاء الأحياء بفقيدهم؛ حتى ولو كان المقصد فيه الاتعاض، فإن حُرمة المسلم فوق كلّ اعتبار.

وختامُ القول -عبادَ الله- على المرء أن يُراعي حُرّمات المسلمين، وأن يتقي الله في أعراضهم وخصوصياتهم؛ فإنك في ساعة حياة الضمير ستمنى أن الأرض قد ابتلعتك ولم تفعل هذه الفعل، فخذ حذرَكَ، واستعمل الأناة، وما لا ترضاه لنفسك وأهلك فلا تراوله مع غيرك.

ثم صلّوا وسلّموا على رسولِ الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلّ وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكرٍ وعمرَ وعُثمانَ وعليٍّ، وعن الصحابة أجمعين، وعنّا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنًا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الخمر والمخدرات

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله أيها المسلمون والمسلمات، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

مَعَشَرَ الْإِنْحَوَةِ: حينما حَرَّمَ اللهُ الخمرَ على المسلمين بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩١].

تأمل كيف ختم الله هذه الآية بجعل الفلاح شرطاً لترك الخمر، ومن غير المختلف عليه أن متناولي المسكرات يعيشون فشلاً وضيقاً جرّاء إدمانها، قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «لا يمكن الفلاح للعبد إلا باجتناب المسكر، فإنَّ الفلاح هو: الفوز بالمطلوب المحبوب، والنجاة من المرهوب، وهذه الأمور

مانعة من الفلاح ومعوقة له. ومنها: أن هذه مُوجِبَةٌ للعداوة والبغضاء بين الناس، والشيطان حريصٌ على بثّها، خصوصًا الخمرَ والميسرَ، لِيُوقِعَ بين المؤمنين العداوة والبغضاء. فَإِنَّ في الخمرِ من انغلابِ الْعَقْلِ وذهابِ حِجَّاه، ما يدْعُو إلى البغضاء بينه وبين إخوانه المؤمنين، خصوصًا إذا اقترَنَ بذلك من السَّبَابِ ما هو من لوازمِ شارِبِ الخمرِ، فَإِنَّه ربما أَوْصَلَ إلى القتل. وما في الميسرِ من غَلَبَةٍ أحدهما للآخر، وأخذِ ماله الكثير في غير مقابلة، ما هُوَ من أكبر الأسباب للعداوة والبغضاء. ومنها: أن هذه الأشياءُ تَصُدُّ القلبَ، ويتبعه البدنُ عن ذكر الله وعن الصلاة، اللَّذَيْنِ خُلِقَ لهما العبدُ، وبهما سعادته، فالخمرُ والميسرُ يَصُدَّانِه عن ذلك أعظمَ صَدٍّ، ويشتغل قلبه، ويذهل لبّه في الاشتغال بهما، حتى يمضي عليه مدةٌ طويلةٌ وهو لا يَدْرِي أينَ هُوَ. فَأَيُّ معصيةٍ أعظمَ وأقبحَ من معصيةٍ تدنُّسُ صاحبها، وتجعله من أهلِ الخُبْثِ، وتُوقِعُه في أعمالِ الشيطان وشبّاكِه، فينقادُ لَهُ كما تنقادُ البهيمةُ الدَّلِيلَةُ لِرَاعِيها، وتحوّلُ بين العبد وبين فلاحِه، وتُوقِعُ العداوةَ والبغضاءَ بين المؤمنين، وتَصُدُّ عن ذِكْرِ الله وعن الصلاة؟^(١)، فهل فوقَ هذه المفاصد شيءٌ أكبرَ منها؟!

ولهذا عَرَضَ -تعالى- على العقول السليمة النهيَ عنها، عَرْضًا بقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ؟﴾؛ لِأَنَّ العاقلَ -إذا نظرَ إلى بعضِ تلك المفاصد- انزَجَرَ عنها، وَكَفَّتْ نَفْسُهُ، ولم يَحْتَجْ إلى وعظٍ كثيرٍ، ولا زَجْرٍ بليغٍ.

وقد ثَبَتَ عن جُمْلَةٍ مِنَ الصحابة أنهم سَمَوْا الخمرَ أُمَّ الخبائث؛ فروى الدارقطني عن ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الْخَمْرُ أُمُّ الْخَبَائِثِ فَمَنْ شَرِبَهَا لَمْ تُقْبَلْ

(١) تفسير السعدي (ص ٢٤٣).

صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَإِنْ مَاتَ وَهِيَ فِي بَطْنِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً^(١)، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الْحُمْرُ أُمُّ الْفَوَاحِشِ وَأَكْبَرُ الْكِبَائِرِ وَمَنْ شَرِبَ الْحُمْرَ تَرَكَ الصَّلَاةَ وَوَقَعَ عَلَى أُمِّهِ وَعَمَّتِهِ وَخَالَتِهِ»^(٢).

وجاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «اجْتَنِبُوا الْحُمْرَ، فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ»^(٣).

وقد روى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَشْرَبُ الْحُمْرَ حِينَ يَشْرِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٤)، قَالَ عِثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَإِذَا مَانُ الْحُمْرِ فِي صَدْرِ رَجُلٍ يُوشِكُ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ»^(٥).

بل روى ابنُ حِبَّانَ وَصَحَّحَهُ: «مُذْمَنُ الْحُمْرِ إِنْ مَاتَ لَقِيَ اللَّهَ كَعَابِدٍ وَثْنٍ»^(٦)؛ وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ آثَامِهَا الَّتِي تَجَرُّ إِلَيْهَا.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨١/٤)، رقم ٣٦٦٧، والدارقطني (٢٤٧/٤)، والقضاعي (٦٨/١، رقم ٥٧) قال المناوي (٥٠٨/٣): فيه الحكم بن عبد الرحمن البجلي أورده الذهبي في الضعفاء وقال: مختلف فيه. وقال العجلوني (٤٥٩/١): رواه القضاعي بسند حسن.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٦٤/١١)، رقم ١١٣٧٢. وأخرجه أيضًا في الأوسط (٢٧٦/٣)، رقم ٣١٣٤، قال الهيثمي (٦٧/٥): فيه عبد الكريم أبو أمية، وهو ضعيف. والدارقطني (٢٤٧/٤).

(٣) أخرجه الحاكم (١٦٢/٤)، رقم ٧٢٣١ وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. والبيهقي في شعب الإيمان (١٠/٥)، رقم ٥٥٨٨.

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٩٧/٦)، رقم ٦٤٢٥، ومسلم (٧٧/١)، رقم ٥٧.

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢٣٦/٩)، رقم ١٧٠٦٠، والنسائي (٣١٥/٨)، رقم ٥٦٦٦، وابن حبان (١٦٨/١٢)، رقم ٥٣٤٨، والبيهقي (٢٨٧/٨)، رقم ١٧١١٦، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠/٥)، رقم ٥٥٨٦، والضياء (٥٠٢/١)، رقم ٣٧١.

(٦) أخرجه أحمد (٢٧٢/١)، رقم ٢٤٥٣.

قال الحافظ ابن رجب: «وكلما أدمن الخمر، وعكف عليها، نقص إيمانه، وضعف، ونزع منه، فيخشى أنه يسلبه بالكلية عند الموت»^(١).

وأما عقوبته في الآخرة في قبره وآخرته فهي من أشد العقوبات؛ ففي صحيح مسلم، عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْخُمْرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ». قالوا: يا رسول الله: وما طينة الخبال؟ قال: «عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ»^(٢).

وفي المسند عن أبي أمامة مرفوعاً: «أَقْسَمَ رَبِّي بِعِزَّتِهِ: لَا يَشْرَبُ عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِي جُرْعَةً مِنْ خَمْرٍ، إِلَّا سَقَيْتُهُ مَكَانَهَا مِنْ حَمِيمٍ جَهَنَّمَ: مُعَذَّبًا أَوْ مَغْفُورًا لَهُ»^(٣).

وعن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ شَرِبَ الْخُمْرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ»^(٤)، وفي رواية: «قَمَاتَ وَهُوَ مُدْمِنُهَا»^(٥)، وفي رواية: «ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا»^(٦).

فهنيئاً لمن حمى نفسه من هذه المُسَكِرَاتِ والمُخَدَّرَاتِ، والله إنَّ كلَّ شاربٍ ورجلٍ حماه الله منها هو في نعمة كبيرة، لا يُقَدَّرُهَا إِلَّا الَّذِينَ فُتِنُوا بِهَا.

هنيئاً لك أن رأيت سوقها رائجاً بين أقرانك، وأنت بتمام عقلك

(١) جامع العلوم والحكم (١/١٧٣).

(٢) أخرجه (٣/١٥٨٧، رقم ٢٠٠٢).

(٣) أخرجه أحمد (٥/٢٦٨، رقم ٢٢٣٦١).

(٤) أخرجه مسلم (٣/١٥٨٨، رقم ٢٠٠٣).

(٥) أخرجه أحمد (٢/٩٨، رقم ٥٧٣٠).

(٦) أخرجه البخاري (٥/٢١١٩، رقم ٥٢٥٣)، ومسلم (٣/١٥٨٨، رقم ٢٠٠٣).

وَحُسْنِ تَقْدِيرِكَ لِلْعَوَاقِبِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ ابْتَعَدْتَ عَنْهَا وَعَنْ أَهْلِهَا،
أَفِيسْتَوِي مَنْ هُمُّهُ مِنْ حِينَ صُبْحِهِ إِلَى نَوْمِهِ وَهُوَ أَسِيرُ هَذِهِ الْخَبَائِثِ كَمَنْ لَمْ
يُفْتَنْ، لَا يَسْتَوُونَ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا مَنْ أَدْمَنَ عَلَى الْمُسْكِرَاتِ وَالْمُخَدَّرَاتِ
كَيْفَ هِيَ حَسَرَاتُهُ وَنَدَامَتُهُ، عَلَى عَمَرِهِ وَدِينِهِ، وَمَا جَرَّهَ عَلَى أُمِّهِ وَأَبِيهِ وَعَائِلَتِهِ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ أَلْعَادَۃً
وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩١].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوْبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ؛ تَعْظِيمًا لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ
وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ. أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: هَلْ يَذَرِي مُتَعَاطِي الْمَخَدَّرَاتِ وَآكُلُهَا أَنَّهُ عَلَى خَطَرٍ
عَظِيمٍ مِنْ هَذِهِ الْعُقُوبَاتِ، بَلْ لَا يَمْتَرِي عَاقِلٌ أَنَّ هَذِهِ الْمَخَدَّرَاتِ أَشَدُّ فَتْكَاً
وَتَأْثِيرًا عَلَى الدِّينِ وَالْبَدَنِ مِنَ الْخُمُورِ.

قُولُوا بِرَبِّكُمْ: أَيُّ قَتْلٍ أَمْضَى مِنْ قَتْلِ الْحَشِيشِ وَالْهَرُوَيْنِ وَسَائِرِ
السُّمُومِ، يَتَنَاوَلُهَا الشَّبَابُ وَيُلْقُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْهَلَكَةِ، وَيَتَسَبَّبُونَ بِقَتْلِ أَنْفُسِهِمْ،

وَأَعَانُوا عَلَى قَتْلِهَا، قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، ولا يقتل الإنسان نفسه. ويدخل في ذلك الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وفعل الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك»^(١).

وعند ذكر الإمام البخاري في صحيحه لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»^(٢)، تأملوا ماذا بَوَّبَ عليه وعنون له قال: «بَابُ شُرْبِ السُّمِّ وَالِدَّوَاءِ بِهِ وَبِمَا يُخَافُ مِنْهُ وَالْحَبِيثُ».

قال ابن بطال: «قوله: «وَمَا يُخَافُ مِنْهُ» أي: مِنَ الْمَوْتِ بِهِ، أَوْ اسْتِمْرَارِ الْمَرَضِ، فَيَكُونُ فَاعِلٌ ذَلِكَ قَدْ أَعَانَ عَلَى نَفْسِهِ»^(٣).

وتأملوا هذه الفتوى للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ، فيها تنبيهٌ لشباب المسلمين الذين وَلَغُوا في المخدرات وسمومها، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «كل من تسبَّب في قتل نفسه فإنه يُعْتَبَرُ قَاتِلًا لِنَفْسِهِ، وكذلك مَنْ بَاشَرَ قَتْلَ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ قَاتِلٌ لِنَفْسِهِ، وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ فِي جَهَنَّمَ بِمَا قَتَلَ بِهِ نَفْسَهُ، مَنْ قَتَلَهَا بِسُمٍّ فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ بِسُمِّ يَتَحَسَّاهُ فِي جَهَنَّمَ، وَإِنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ عُدَّ بِهَا فِي جَهَنَّمَ، وَكُلُّ وَسِيلَةٍ يَقْتُلُ بِهَا نَفْسَهُ

(١) تفسير السعدي (ص: ١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥/٢١٧٩، رقم ٥٤٤٢)، ومسلم (١/١٠٣، رقم ١٠٩).

(٣) نقلاً عن فتح الباري لابن حجر (١٠/٢٤٨).

فإنه يعذب بها في جهنم، والعياذ بالله، وكذلك من كان سبباً في قتل نفسه بأن لم يتعمد القتل لكن فعل ما هو سبب في القتل فإنه يُعتبر قاتلاً لنفسه؛ لأنه متسبب، ولكنه ليس كالمباشر في الإثم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، المهم أنه لا يجوز للإنسان أن يتسبب في قتل نفسه بأي سبب كان^(١).

وهل يعلم الشباب الذين يتناولون المخدرات أن أعداء الله قد تقصّدوا بلاد المسلمين لإهلاك شبابها وإضعافهم، وقد صرح المسؤولون في الدولة أن التوعية التي تُرسل إلى بلادنا مختلفة تماماً عما يُصنع في بلاد الغرب، فهي أقوى تأثيراً، وأمضى في إهلاك النفس، وأقرب مثال على هذا حبوب (الكبتاجون)، أصبحت في عداد حبوب الإدمان والإزهاق، ووجدوا أنها مخلوطة مع أمراض شتى، لا يُوجد لها علاج.

يا عجباً من شابّ حماه الله سنين طويلة عن الوقوع فيها، وبعدما كبر وزاد عقله وإدراكه إذا هو يُردُّ إلى جاهلية اللا مسؤولية.

لم -أخي الحبيب- تهلك نفسك، وتقتل مستقبلك، وتهدر طاقتك بيدك؟! هناك من أفسد مستقبله فأراد إفسادك، اتعتقد هذا الصديق الذي أحبته وأنست إليه قد محضك النصيحة حينما زجك بعالم المخدرات والحبوب والتدخين؟! أترأه يودُّك؟! أترأه يكره مضرتك؟!!

أي صديق هذا الذي لا يدفع عني الضرر، بل على أقل تقدير لا

(١) فتاوى نور على الدرب، الفتوى رقم (٥٨٩٠).

ينصحنى بترك الشرِّ، إن المسؤولية كبيرة على الوالدَيْن في توجيه النصح، كما أنَّ على الأولاد مسؤولية كبيرة في استماع النصيحة والأخذ بها.

ونصيحتي إلى الباعة ومن يتسترَّ عليهم: كم قتيلاً قتلْت؟! كم حياة دمرت؟! ستأتي يوم القيامة وأنفس كثيرة قد أخذت بِرَقَبَتِكَ، تقول: «يا ربِّ! سَلْ هَذَا: فِيمَ قَتَلَنِي»^(١)، والعياذ بالله.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربُّكم فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصحبه أجمعين، وارْضَ اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين، وَالْأئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّهُمَّ وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

(١) أخرجه الترمذی (٢٤٠/٥)، رقم (٣٠٢٩)، والنسائی (٨٧/٧)، رقم (٤٠٠٥)، وابن ماجه (٨٧٤/٢)، رقم (٢٦٢١).

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] ،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الزنا

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَغِيثُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَبَعْدُ:

فاتقوا الله -عبادَ الله-، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]..

مَعَشَرُ الْإِخْوَةِ، فتاةٌ بريئةٌ خرَّجت إلى الدنيا، لكنها لم تكن كغيرها تنفتح عيناها على أُمِّها التي تنسى آلامَ طَلَقِها حينما تُضَمُّها إلى صدرِها، وُلِدَتْ هذه المسكينَةُ بلا أُمٍّ تُعْرِفُ الرَّحْمَةَ وَالْحَنَانَ، أَلَقَتْها وَهَرَبَتْ، أَرَأَيْتُمْ أُمًّا تَلِدُ طِفْلَهَا وَتَهْرُبُ مِنْهُ، حَمَلَتْها فِي رَحِمِها، رَافَقَتْها أَشْهُرًا، وَهِيَ تَسْمَعُ صَوْتَ أُمِّها، وَأُمُّها تُشْعِرُ بِجَوْعِها وَحَرَكَتِها، تَرَكَتْها بلا حَلِيبٍ وَلَا طَعَامٍ، تَرَكَتْها بلا سَرِيرٍ وَثِيرٍ، وَلَا بَيْتٍ آمِنٍ، تَرَكَتْها بلا حَنَانٍ، تُسألُ هذه الطِفْلَةُ: أَيْنَ حُبُّ الْأُمِّ الَّذِي أَسْمَعُهُ؟ لِمَ أُمِّي لَيْسَتْ بِأُمٍّ؟ خَرَّجَتْ إلى الدنيا وَأَبُوها هَارِبٌ مِنْها، وَلَا يُرِيدُها، لَيْسَ لَهَا أَبٌّ يَحْمِيها، وَيَدَافِعُ عَنْها.

أَفْ لِفَاحِشَةٍ أَفْسَدَتْ قَانُونََ الْحَيَاةِ؟ أَفْ لِنَزْوَةِ سَاعَةٍ، وَشَهْوَةِ عَارِمَةٍ غَيْرِ مُحْسُوبَةٍ، وَلَا مَسْؤُولَةٍ، أَخْرَجَتْ الْمَرْأَةَ مِنَ طَبِيعَتِها فِي حَنَانِها لِطِفْلِها، نُسُوا

قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ - ٩].
قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «تَتَعَلَّقُ الْجَارِيَةُ بِأَبِيهَا، فَتَقُولُ: بِأَيِّ ذَنْبٍ قَتَلْتَنِي؟ فَلَا يَكُونُ لَهُ عَذْرُ»^(١).

وكان يقرأ: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سَأَلَتْ} ^(٢).

وعنه قال: «إِنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي تَقْتُلُ وَلَدَهَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُتَعَلِّقًا وَلَدَهَا بِذُنُوبِهَا، مُلَطَّخًا بِدِمَائِهِ، فَيَقُولُ: يَا رَبُّ، هَذِهِ أُمِّي، وَهَذِهِ قَتَلْتَنِي» ^(٣).

الزنا كبيرةٌ من كبائر الذنوبِ من أبشع الجرائم، وفاحشةٌ من أكبر الفواحش، ومُوبقةٌ من أخطر الموبقات، تتجلى فيها هذه البهيميةُ المغرقةُ.

جريمةٌ تُفقد فيها الشهامةُ، وتذهبُ بالمروءة، يُحُلُّ مكانَ العفافِ فيها الفُجورُ، وتقوم فيها الخلاعةُ مقامَ الحشمة، وتطرُدُ فيها الوقاحةُ جمالَ الحياءِ.

إنها جريمةُ الزنا؛ كم جرّعت من غصّة، وكم أزالَت من نعمة، وكم جلبَت من نِقمة، وكم حَبَّأت لأهلِها من آلامٍ مُتَظَرَّة، وغُموٍ مُتَوَقَّعة، وهُمومٍ مُسْتَقْبَلَة.

وفي صحيح مسلم عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزَّنا، مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الْإِسْتِغَاغُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زِنَاهَا الْخُطَا،

(١) تفسير القرطبي (١٩/٢٣٣).

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/٢٤٠).

(٣) تفسير القرطبي (١٩/٢٣٤).

وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ»^(١).

الزنا عُقوبته وَخِيمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بَلْ إِنْ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٢).

زَادَ النَّسَائِيُّ فِي رَوَايَةٍ: «فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(٣).

لَقَدْ اقْتَرَنَ حَالُ الزَّانِي بِحَالِ الْمَشْرِكِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى﴾ [النور: ٣].

الزنا مُحَرَّمٌ بِقَوَاطِعِ الْأَدْلَةِ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ، وَصَحِيحِ السُّنَّةِ، وَإِجْمَاعِ أَهْلِ الْمِلَّةِ، بَلْ إِجْمَاعِ أَهْلِ الْمِلَلِ.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، فِي حَدِيثِ الْمَنَامِ الطَّوِيلِ، وَفِيهِ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَاءَهُ جَبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَاتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ - قَالَ: فَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ». قَالَ: «فَانْطَلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ هَبٌّ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَنَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوا. أَيُّ صَاحُوا مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ. قُلْتُ لَهُمَا^(٤): مَا هَؤُلَاءِ؟ ...

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٤٧، رقم ٢٦٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦/٢٤٩٧، رقم ٦٤٢٥)، ومسلم (١/٧٧، رقم ٥٧).

(٣) أخرجه النسائي (٨/٦٥، ٤٨٧٢).

(٤) أني للملكين.

قالا: هُوَ لَا زَنَاءَ وَالزَّوَانِي»^(١).

فهذا عذابهم إلى يوم القيامة عيادًا بالله ولهذا تأملوا قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

أليس من السرّ الذي يَلِفَتْ نظرَ العقلاء أن دينَ الإسلام - وهو دينُ الرحمة والرفقة حتى مع الحيوان - وَقَفَ هذا الموقف الشديد مع هؤلاء الزناة والزواني؟! أليس هذا الدين الذي يحب السرّ، ويدعو إليه يُقيم هذا الحدّ على مشهَدٍ من المؤمنين؟! لماذا كل ذلك أيّها الإخوة؟!

إن الرافة بالزناة ممن ثَبَتَ زناهم، وتحققت جنائيتهم إنما هي قسوة على المجتمع، وقسوة على الآداب الإنسانية، وقسوة على الضمير البشريّ، بل قسوة على حقوق الإنسان.

إن القسوة في الحدّ أَرَأَفُ، ثم أَرَأَفُ بالمجتمع مما ينتظره من شيوع الفواحش لتُفْسِدَ الفطرة، وترتَكِسُ في حمأة الرذيلة، ويعيش في بيئة الأدواء والأمراض.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولِسائر

(١) أخرجه البخاري (٩/٤٤، رقم ٦٦٤٠).

المسلمين من كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تَعْظِيمًا لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ، مَا الَّذِي صَنَعْنَاهُ لِحِمَايَةِ بَنَاتِنَا؟ هَلْ إِذَا مَنَعَ الْوَالِدُ الْبِنْتَ مِنَ الْخُرُوجِ ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَدَّى الْوَاجِبَ الَّذِي عَلَيْهِ، وَالْأَمَانَةَ الَّتِي سَيُسْأَلُ عَنْهَا؟ وَهَلْ عَلِمَ الْأَبُ وَالْأُمُّ أَهَمَّ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ سُلُوكِ الْبِنْتِ لَطَرِيقِ الْفَاحِشَةِ؟ لَوْ سَأَلْتَ كَثِيرًا مِنَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ لَوَجَدْتَ تَعَامُلَهُ مُقْتَصِرًا عَلَى إظهار الاحترام، وإجابة الطلبات، وهذه كارثة كبيرة في زماننا هذا، لا سيما مع تأخر الزواج في أعرافنا الآن، بخلاف ما كانت عليه.

إِنَّ الْبَنَاتِ يَعْشَنَ فَرَاغًا عاطفيًا، إِنْ لَمْ يُشْبَعْ مِنَ الْوَالِدَيْنِ وَالْأُسْرَةِ، فَإِنْ كَثُرًا مِنَ الْبَنَاتِ سَتَبَحَثُ عَنْهُ خَارِجَ أُسُورِ الْبَيْتِ.

وَقَدْ أَثْبَتَتِ الدِّرَاسَاتُ النَّفْسِيَّةُ أَنَّ أَكْثَرَ الْمُنْحَرِفَاتِ عِشْنَ فَرَاغًا عاطفيًا فِي أُسْرِهِنَّ، وَاعْتَبَارَ أَنَّ إِشْبَاعَ هَذِهِ الْحَاجَاتِ مِنْ قِبَلِ الدَّلَالِ وَالتَّرْفِيهِ.

وَالَّذِي يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْحَنَانَ الْأُسْرِيَّ، وَالْإِشْبَاعَ الْعَاطِفِيَّ حِينَ الطِّفْلَةِ مِنْ حَقِّ أَوْلَادِنَا، وَإِذَا رَاهَقُوا فَهُمْ أَشَدُّ حَاجَةً إِلَيْهِ، وَيَجِبُ إِيْصَالُهُ لَهُمْ بِطَرِيقٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ خِلَالِ الْهَدِيَّةِ وَالشَّاءِ عَلَيْهَا كَثِيرًا مِنَ الْأَبِّ، سِوَاءٍ بِطَبْخِهَا،

أَوْ دِرَاسَتِهَا، أَوْ دِينِهَا، أَوْ تَعَامُلِهَا، أَوْ كَثْرَةِ وَعَيْهَا، وَامْتِدَاحِ عَقْلِهَا، كَذَلِكَ فَتُحَ الحَوَارِ معها عن قضية الانحرافِ عند البناتِ وأسبابِهِ، وكثرة تذكيرها عن عواقب الانحرافِ.

هل ناقشت الأمُّ مرَّةً ابنتَهَا عن طريقة اختيارِ صديقاتِها وعن مدى التزامهن وفكرهن، وأثر الصديقةِ عليها، وكيف تحمي نفسها من صديقاتِ السُّوءِ؟

وقد يسأل كثيرٌ من الآباء والأمهات عن السبب الذي يجعل كثيرا من البناتِ تتدرَّجُ بها المعصيةُ إلى الوقوعِ بالفاحشة، وأين عقلُها؟ والجوابُ أن أعظمَ أسبابِ ذهابِ عقلِها، واستغلالِ الذنابِ لها، وموافقتها على الخروجِ هو أن طبيعةَ البناتِ وسلوكهنَّ النفسي في مرحلة المراهقةِ أنهن يَتَمَتَّعنَ بدرجاتٍ عاليةٍ من الإخلاصِ والصدقِ، وبِميلٍ عاطفيٍّ شديدٍ إلى التضحيةِ من أجلِ ما يُحِبُّنَ. وإن الخطرَ الذي يكمنُ هنا هو تغلبِ الشعورِ العاطفيِّ الطافحِ على المنطقِ والتفكيرِ السليمِ.

ولذلك فإن هؤلاء الذنابَ يدورونَ حول هذا الموضوعِ فيقول لها: أنتِ تُشَكِّينَ فيّ، وأنتِ لا تُحِبِّينَنِي، فترِيدُ أن تُضَحِّيَ لإثباتِ صدقِها بِحُبِّها له، فتَقَعُ الجريمةُ.

وليُعَلِّمَ أَنَّ من أعظمِ الأسبابِ هو رَدُّ الأزواجِ الأكفَاءِ، وَ: «إِذَا أَنَا كُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِضٌ»^(١).

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٩٥، رقم ١٠٨٥) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (١/ ٦٣٢، رقم ١٩٦٧).

وإني أذكّر الشباب والرجال بأن يتّقوا الله في بنات المسلمين، فإن الله لك بالمرصاد.

وتذكّر أن هذه الفتاة ستعلّق بِرَقَبَتِكَ يومَ القيامة، وتقول: يا ربّ هذا الذي أضلّني هذا الذي أغواني.
وتذكّر أنّ لك أسرةً وعورةً تخافُ عليها، فلَكَ زوجةٌ، ولكَ ابنةٌ، ولكَ أُختٌ، فاتّقِ الله فيهن.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَنِيَّاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

وختامًا، أذكّر الآباءَ بحديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه البخاري في صحيحة من حديث مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحْطُهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»^(١).

ثم صلّوا وسلّموا على رسولِ الهدى، وإمامِ الورى، فقد أمركم ربكم فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلّ وسلّم على نبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكرٍ وعمرَ وعُثمانَ وعليّ، وعن الصّحابة أجمعين، وعنّا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٦٤، رقم ٦٧٣١)، ومسلم (١/ ٨٧، رقم ٢٨٠).

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنًا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّهُمَّ وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدِّهم إليك ردًّا جميلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



أعمال القلوب وعباداتها

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ سُلَيْمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله - عِبَادَ اللَّهِ - حق التقوى، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

إخوتي في الله! يتسابقُ الكثير من الموقِّقين في مواسم الخير والطاعة، وعمل الجوارح، من نفلِ صلاة، وصيام، وحجٍّ، وشهودِ جنازة، وزيارة مريضٍ، ونحوه، ونتسابق في البُعد عن المحرمات الظاهرة، كَشُرْبِ الخمر، والغيبة، والنميمة، والزنا، ونحوها، ولكن الشَّانَ -كُلُّ الشَّانِ- هو في السباق في عبادات القلوب، من خوفه، وحبّه، وخشيته، والتوكلِ عليه، وحسن الظنِّ به، والتفكُّر، والرِّضا، واليقين به، وبتقديره، ونحوه، ولمْ لا يتسابق كثيرٌ منَّا بالبُعد عن معاصي القلب، مِن بُغْضِ المسلم، وحبِّ الشرِّ له، والفَرَحِ بمصيبته، والحسد، والغِلِّ، والحقد، والكرهية، ونحوها.

ألا فلنعلم بأن السباق - كل السباق - هو في سباق القلب، لا في سباق الجوارح؛ لأنه إذا سبق القلب فالجوارح تبع له، قال الله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿[الأنفال: ٢ - ٤]﴾، وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ: أي خافت ورهبت، فأوجبت لهم خشية الله تعالى الانكفاف عن المحارم، هذه أول علاماتهم مسابقتهم في عمل القلب؛ لأن خوف الله تعالى أكبر علاماتِه أن يحجز صاحبه عن الذنوب.

ثم تأمل: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾، وهذا سباق قلبي، فهم يلقون له السمع، ويحضرون قلوبهم لتدبره، فعند ذلك يزيد إيمانهم؛ لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بُدَّ أن يبين لهم معنى كانوا يجهلون، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقاً إلى كرامة ربهم، أو وجلاً من العقوبات، وازدجاًراً عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وهذا سباق قلبي أيضاً، فهم يعتمدون في قلوبهم على ربهم في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم الدينية والدنيوية، ويثقون بأن الله تعالى سيفعل ذلك.

والتوكل هو الحامل للأعمال كلها، فلا تُوجد ولا تكمل إلا به^(١)، يجب

(١) بمعناه من السعدي، تفسير السعدي (ص: ٦٣٤).

أَنْ نُصَحِّحَ مَفْهُومًا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَّا، وَهُوَ أَنَّنا نَلْتَفِتُ إِلَى أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، وَنَتَسَابَقُ فِيهَا بَيْنَنَا، وَنُهْمِلُ قُلُوبَنَا عَنْ عِبَادَاتِهَا، مَعَ أَنَّهَا هِيَ الْمَحْرُكُ وَالْمَوْثَرُ، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «إِذَا صَلَحَ الْقَلْبُ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَ الْقَلْبُ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ»^(١)، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْمَفْهُومُ مُوجُودًا فَلَا غَرَوْ أَنْ تَرَى مَنْ رَجَعَ مِنْ حَجَّهِ - مَثَلًا - وَلَمْ يَتَغَيَّرْ فِيهِ شَيْءٌ، وَمَنْ انْتَهَى مِنْ صَلَاتِهِ وَلَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهُ شَيْءٌ، وَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَلَا زَالَ عَلَى أَكْلِهِ لِلْحَرَامِ، وَلَا زَالَ عَلَى حِقْدِهِ وَبَغْيِهِ وَكَرَاهِيَةِ النَّاسِ لَهُ، وَلَا زَالَ عَلَى تَقْصِيرِهِ فِي حَقِّ وَالِدَيْهِ، وَلَا زَالَ يُخَاصِمُ وَيَفْجَرُ، كُلُّ هَذَا بِسَبَبِ نَسْيَانِ السَّبَاقِ الْقَلْبِيِّ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ: «وَلَمْ يَكُنْ أَكْثَرُ تَطَوُّعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَوَاصِّ أَصْحَابِهِ بِكَثْرَةِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ، بَلْ بَرَّ الْقُلُوبِ، وَطَهَارَتِهَا، وَسَلَامَتِهَا، وَقُوَّةُ تَعَلُّقِهَا بِاللَّهِ، خَشْيَةٌ لَهُ، وَحُبَّةٌ وَإِجْلَالٌ وَتَعْظِيمٌ وَرَغْبَةٌ فِيهَا عِنْدَهُ، وَزُهْدًا فِيهَا يَفْنَى، وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ، وَأَتَقَاكُمْ لَهُ قَلْبًا»^(٢)»^(٣).

فَالْمُعَادِلَةُ مَعْكُوسَةٌ إِذَنْ؛ صَلَاحُ الْقَلْبِ يُورِثُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، لَكِنْ الْعَمَلُ الصَّالِحُ لَا يُورِثُ الْقَلْبَ السَّلِيمَ، بَلِ الْعَمَلُ مِنْ ثَمَرَاتِ صَلَاحِ الْقَلْبِ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَصْحَابِهِ مِنَ التَّابِعِينَ: «أَنْتُمْ أَكْثَرُ صَلَاةٍ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١/٢٨، رَقْم ٥٢)، وَمُسْلِمٌ (٣/١٢١٩، رَقْم ١٥٩٩).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١/١٦، رَقْم ٢٠).

(٣) لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ (ص ٢٥٤).

وصيامًا من أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُمْ كَانُوا خَيْرًا مِنْكُمْ»، قالوا: وَلَمْ؟ قال: «كَانُوا أَزْهَدَ مِنْكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَأَرْغَبَ فِي الْآخِرَةِ»^(١).

وَقَالَ بَكْرُ الْمُرْنِيُّ: «مَا سَبَقَهُمْ أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ، وَلَكِنْ بَشِيءٌ وَقَرَفِي صَدْرُهُ»^(٢)، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ: الَّذِي وَقَرَفِي صَدْرُهُ هُوَ حُبُّ اللَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِخَلْقِهِ.

وَسُئِلَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ زَوْجَةُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَ وَفَاتِهِ عَنْ عَمَلِهِ؟ فَقَالَتْ: «وَاللَّهِ مَا كَانَ بِأَكْثَرَ النَّاسِ صَلَاةً، وَلَا بِأَكْثَرِهِمْ صِيَامًا، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَخَوْفَ لِلَّهِ مِنْ عُمَرَ، لَقَدْ كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي فِرَاشِهِ فَيَتَفَضَّلُ انْتِفَاضَ الْعُصْفُورِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، حَتَّى يَقُولَ: «لَيُصْبِحَنَّ النَّاسُ وَلَا خَلِيفَةَ لَهُمْ». قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «مَا بَلَغَ مَنْ بَلَغَ عِنْدَنَا بِكَثْرَةِ صَلَاةٍ، وَلَا صِيَامٍ، وَلَكِنْ بِسَخَاوَةِ النُّفُوسِ، وَسَلَامَةِ الصُّدُورِ، وَالنُّصْحِ لِلْأُمَّةِ، وَاحْتِقَارِ أَنْفُسِهِمْ»^(٣).

وَذَكَرَ لِبَعْضِهِمْ شِدَّةَ اجْتِهَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْعِبَادَةِ، فَقَالَ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ مِنْكُمْ صَدَقَ النِّيَّةِ فِيهِمَا عِنْدَهُ، فَمَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ فَلَهُ أَخَوْفٌ، وَفِيهِمَا عِنْدَهُ أَرْغَبٌ، فَهُوَ أَفْضَلُ يَمِّنَ دُونَ فِي ذَلِكَ، وَإِنْ كَثُرَ صَوْمُهُ وَصَلَاتُهُ»^(٤).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾^(٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ^(٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ^(٨٩) [الشعراء: ٨٧ - ٨٩].

(١) أخرجه المستدرک (٤ / ٣١٥، رقم ٧٨٨٠)، وشعب الإيمان (١٣ / ١٨٤، رقم ١٠١٥٢).

(٢) لطائف المعارف (ص: ٢٥٤).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، ولسائر المسلمين، من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه، وتوبوا إليه؛ إِنَّهُ هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى جنّته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

أيها المسلمون، معشر الإخوة: عبادات القلب هي جنة الدنيا ولذتها، وقد قال بعض السلف: «مساكين أهل الدنيا؛ خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها»، قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: «حبة الله، والأنس به، والشوق إلى لقائه، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه»^(١).

ولهذا جاء عن ابن عباس وأبي الدرداء أنهما قالوا: «تفكر ساعة خير من قيام ليلة»^(٢)، تقول زوجة أبي الدرداء عندما سئلت عن أكثر عبادته، قالت: «التفكر والاعتبار»^(٣).

(١) جامع العلوم والحكم محقق (٢١ / ١٦).

(٢) العظمة - أبو الشيخ (١ / ٢٩٨).

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٢ / ٤٠٩).

ولهذا تأملوا في عبادات القلوب، ليس لها وقتٌ، ولا حَدٌّ، بل هي العمر كله، بخلاف عبادات الجوارح كالصلاة والصوم والحج، فكلُّها يأتي عليها الانقطاعُ، إما لعَارِضٍ شرعيٍّ أو قَدَرِيٍّ، وعبادة القلب لا تضيع بخلافِ عمل الجوارح، «والمَرْءُ يخرج من صلاته وما كُتِبَ له منها شيء».

قال الحافظ ابن رجب: «وَنَصَّ كثيرٌ من الأئمة على أن الاشتغال بتطهير القلوب أفضلٌ من الاستكثار من الصوم والصلاة مع غش القلوب ودَغَلِها، ومَثَلٌ من يستكثر من الصوم والصلاة مَعَ دَغَلِ القلبِ وَغِشِّه كَمَثَلٍ من بَذَرَ بَذْرًا في أرضٍ دَغَلَةٍ كثيرة الشُّوكِ؛ فلا يزكو ما يَنْبُت فيها من الزرع، بل يمحقه دَغَلُ الأرض، ويُفْسِده، فإذا نظفت الأرض من دَغَلِها زَكَّى ما يَنْبُت فيها ونما، قال يحيى بن معاذ: «كم من مستغفرٍ ممقوتٍ، وساكِتٍ مرحومٍ، هذا استغفر وقلبه فاجر، وهذا سكت وقلبه ذَاكِرٌ»^(١)»^(٢).

وسبيلُ إصلاح القلبِ هو الزُّهد في الدنيا، وعدم التعلُّقِ بها، وتنظيف القلب من الحقد والبغض والكِبَر والحسد والتواضع ومحبة الخير للناس والصفح والعفو عنهم، وما أَجْمَلَ قصةَ عبدِ الله بن عمرو بن العاص، كما في مسند أحمد، مع الرَّجُل الذي قال الرَّسُولُ عنه: «يَطْلُعُ عليكم رجلٌ من أهل الجنة» قالها في ثلاثة أيام، كلما مرَّ، فذهب عبد الله بن عمرو إليه، ومكث معه ثلاثة أيام. لماذا؟ لأن عبد الله بن عمرو ممن اشتهر عنه العبادة، فهو من العَبَّاد الذين أرادوا أن يصوموا الدَّهْرَ، وأن يَخْتِمَ القرآنَ في كلِّ يومٍ، وأن يقوم الليلَ

(١) المنتخب من كتاب الزهد ٤٦٢ (ص ٦٩).

(٢) لطائف المعارف (ص ٢٥٥).

كله، فما هو العمل الذي أوصل هذا الرجل إلى هذه المكانة، قال: فَمَكَّنْتُ عنده ثلاثة أيام فلم أره يقوم من الليل شيئاً، ولم أر كثرة نوافل، فسأله عبد الله عن ذلك، وأخبره بالخبر فقال: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ^(١).

الله أكبر! أَعْجَبُ من هذا الرجل، ومن قوله: «ما هو إلا ما رأيت» بدون أي تشبّع، أم أعجب من هذا التوفيق على هذه الروح العظيمة المتسامحة، أم أعجب من ابن العاص وصدقته وفقهه حين قال: «هي التي لا نطيق»، رَجُلٌ أطاق تذليل جوارحه، ويعترف أن تذليل القلب شيءٌ مُكَلَّفٌ، وأعوز من تذليل الجوارح، ويقول كذلك: «هذه التي بلغت بك».

أَلَا فَلَنَسْتَفِضْ، وَلَنَلْتَفِتْ إلى قلوبنا، فأمام كثيرٍ منا عَمَلٌ شاقٌّ طويل في السمو بقلبه، وَلَنَتَسَابَقْ في هذا، وَلَنَتَسَاءَلْ عن هذا، وَلْيَكُنْ هَاجِسَنَا ومطلوبنا، فالسؤال عنه قبل السؤال عن كثيرٍ من نوافل العبادات، وَلْيَذْكُرْ بعضنا بعضاً فيه، وَلَنَدْعُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنَا قُلُوبًا سَلِيمَةً، قُلُوبًا مُلِئَتْ مَحَبَّةَ اللَّهِ ورسوله، مُلِئَتْ تَوَاضَعًا وَعَفْوًا وَصَفْحًا وَنِقَاءً.

وَلَنَحْرُسْ قُلُوبَنَا أَشَدَّ مِمَّا نَحْرُسْ أَمْوَالَنَا، كما قال أبو حفص النيسابوري: «حَرَسْتُ قَلْبِي عَشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ حَرَسَنِي عَشْرِينَ سَنَةً»^(٢).

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٠، رقم ١٥١٠٧)، والنسائي في سننه الكبرى (٦/ ٢١٦، رقم ١٠٦٩٩).

(٢) تاريخ الإسلام (٢٠/ ١٤٣)، وسير أعلام النبلاء (٢٤/ ١٠)، وصفة الصفوة (٤/ ١٢٠).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ
فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأُئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي
بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمَنَا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلَحْ أَمْتَنَا، وَوَلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا.

اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا.

عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الاستهزاء

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيَكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

معشر الإخوة: إِنَّ فِي الْقَلْبِ مَرَضًا خَطِيرًا كَادَ الْقُرْآنُ أَنْ يَكُونَ كُلُّهُ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ، وَذَكَرَ عِلَامَاتِهِ وَأَوْصَافَ أَهْلِهِ، إِنَّهُ النِّفَاقُ وَالْمُنَافِقُونَ، وَمِنْ أَكْثَرِ الْأَوْصَافِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهِ الِاسْتِهْزَاءُ بِالذِّينِ وَأَهْلِهِ أَوْ بِشَيْءٍ مِمَّا جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ، وَمَا دُمْنَا فِي زَمَنِ الْإِنْفِتَاحِ وَالِاخْتِلَاطِ بِالْآخِرِينَ لِكُلِّ فِتْنَاتِ الْمَجْتَمَعِ، فَقَدْ انْتَشَرَ هَذَا الْمَرَضُ انْتِشَارًا حَتَّى وَقَعَ بِهِ النَّاسُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

كَمْ ذُكِرَ هَذِهِ الْوَصْفُ فِي الْقُرْآنِ، وَهُوَ الِاسْتِهْزَاءُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى

يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ^١ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ^٢ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿[النساء: ١٤٠]، وقال: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزَءُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٤ - ٦٦].

هل تعلمون - يا عباد الله - ما الذي قاله المنافقون؟!

إنَّ الذي قالوه لا يَصِلُ إلى عَشْرٍ مِغْشَارٍ ما يُقالُ عن الشريعة وعن دُعاة الإسلام وعلمائه في بعض وسائل الإعلام، لقد قالوا: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء»^(١).

قال الجصاص: «إنَّ الاستهزاء بآياتِ الله أو بشيءٍ من شرائع دينه كُفْرٌ من فاعله، يستوي في ذلك الجادُّ والهازل»^(٢).

وقال أبو بكر ابن العربي: «لا يَخْلُو أَنْ يكون ما قالوه -أي: المنافقون- جدًّا أو هزلًا، وهو كيفما كان كُفْرٌ، فإنَّ الهزلَ بالكُفْرِ كُفْرٌ، لا خلافَ فيه بين الأمة»^(٣).

وقال محمد بن عبد الوهاب في نواقض الإسلام: «السادس: من استهزأ بشيءٍ من دين الرُّسُول، أو ثوابه، أو عقابه، كُفْرٌ، لا فرقَ بين الجادِّ والهازل والخائف إلا المَكْرَه»^(٤).

(١) تفسير الطبري (٦ / ٤٠٩).

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٣ / ١٨٣).

(٣) أحكام القرآن، لابن العربي (٢ / ٩٧٦).

(٤) انظر رسالة نواقض الإسلام من مجموعة التوحيد (ص ٣٩).

وقال السعدي: «من استهزأ بشيء من كتاب الله، أو سنة رسوله الثابتة عنه، أو سخر بذلك أو تنقصه، أو استهزأ بالرَّسُول أو تنقصه، فإنه كافرٌ بالله العظيم»^(١).

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: «من استهزأ ببعض المُسْتَحَبَّات، كالسواك، والقميص الذي لا يتجاوز نصف الساق، والقبض في الصلاة، ونحوها مما ثبت من السنن، فحُكِّمَ أَنَّهُ يُبَيِّنُ له مشروعية ذلك، وأن السنة دلت على ذلك، فإذا أصرَّ على الاستهزاء بالسنن الثابتة كَفَرَ بِذَلِكَ»^(٢).

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: «وقد أجمع علماء الإسلام في جميع الأعصار والأمصار على كُفْرٍ من استهزأ بالله، أو رسوله، أو كتابه، أو شيء من الدين، وأجمعوا على أَنَّ من استهزأ بشيء من ذلك وهو مسلم، أَنَّهُ يَكُونُ كَافِرًا مُرْتَدًّا عن الإسلام، يجب قتله لقوله: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(٣).

ومن المعلوم أن الاستهزاء بشيء من هذه أشدُّ من الكُفْرِ المجرَّد، لأنَّ هذا كُفْرٌ وزيادة احتقارٍ وازدراء، فإنَّ الكُفَّارَ نوعان: مُعْرِضُونَ وَمُعَارِضُونَ، فَالْمُعَارِضُ المحارِبُ لله ورسوله القادِحُ وَالْمُسْتَهْزِئُ والهازِلُ بالله وبدينه ورسوله أَغْلَظُ كُفْرًا وَأَعْظَمُ فُسَادًا؛ فَالَّذِينَ وَسَّارَتُهُ لَا يَدْخُلُهُ الْخَوْضُ وَاللَّعِبُ وَالسَّخَرِيَّةُ، وَإِنَّمَا تُحْتَرَمُ وَتُعْظَمُ، وَيُحْشَعُ عِنْدَهَا؛ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتَعْظِيمًا لآيَاتِهِ، وَالْمُسْتَهْزِئُ مُتَنَقِّصٌ لَهَا.

(١) تفسير السعدي (ص ٣٤٣).

(٢) مجلة البحوث الإسلامية (ع ٢٠ / ص ١٧٢).

(٣) أحمد البخاري (٣/ ١٠٩٨، رقم ٢٨٥٤).

وَلْتَعْلَمْ أَنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَخْسِرُ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ فِي كَلِمَةٍ يَقُولُهَا، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(١)، وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُ فِيهَا يَزُلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبَعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ»^(٢)، وَقَوْلُهُ «لَا يَتَّبِعُ فِيهَا»: مَعْنَاهُ لَا يَتَدَبَّرُهَا وَيُفَكِّرُ فِي قُبْحِهَا، وَلَا يَخَافُ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (٢٩) وَإِذَا امْرَأُوهُمْ يَبْغُمُوهُمْ يُضْأَمِرُونَ ﴿٣٠﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣٠].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى لِسَانَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

(١) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ (٢٣٧٧/٥)، رَقْمُ (٦١١٣).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٣٧٧/٥)، رَقْمُ (٦١١٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٩٠/٤)، رَقْمُ (٢٩٨٨).

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: لَقَدْ سَمِعْنَا مَنْ يَنْطِقُ لَفْظَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى وَجْهِ السَّخَرِيَّةِ وَالتَّهْكُومِ، فَقَائِلٌ يَقُولُ بِسَخَرِيَّةٍ: «نَاقِصَاتُ عَقْلٍ وَدِينٍ»^(١)، وَآخَرُ يَسْخَرُ بِالسَّوَاكِ، وَآخَرُ يَسْخَرُ بِاللَّحِيَةِ، وَآخَرُ يَقُولُ: «اسْمَعْ وَأَطِعْ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ»^(٢)، يَقُولُهَا مُتَهَكِّمًا سَاخِرًا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَوْبَقَاتِ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ ذِكْرُهَا، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْصِمَ أَلْسِنَتَنَا مِنْهَا.

أَتَعْلَمُونَ -عِبَادَ اللَّهِ- أَنْ سَبَبَ هَذَا الْقَوْلِ هُوَ النِّفَاقُ فِي الْقَلْبِ، نَعَمْ وَاللَّهِ، لَوْ سَلِمَتْ قُلُوبُهُمْ وَطَهَّرَتْ وَزَكَّتْ مَا تَجَرَّأَ الْقَلْبُ عَلَى تَرْتِيبِهَا، وَلَا تَوَاطَأَ اللِّسَانُ عَلَى قَوْلِهَا؛ فَالْمُؤْمِنُونَ ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، وَالْمُؤْمِنُونَ يَقُولُونَ: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فَهَذَا هُوَ النِّفَاقُ الَّذِي أَكْثَرَ اللَّهُ مِنْ ذِكْرِهِ، وَذَكَرَ أَوْصَافِ أَهْلِهِ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُورًا خَاصَةً بَفَضْحِهِمْ، وَآيَاتٍ كَثِيرَةً لِيَذْكَرَ أَعْمَالَهُمْ وَمَنْهَجَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ سَيَبْقَوْنَ طَوْلَ الْأَزْمَانِ، وَلَنْ يَنْقَرِضُوا حَتَّى تَكُونَ الْأُمَّةُ وَاعِيَةً مُدْرِكَةً لِهَذَا النُّوعِ مِنَ الْبَشَرِ، إِنْ بَلِيَّةَ الْإِسْلَامِ بِهِمْ شَدِيدَةٌ جَدًّا؛ لِأَنَّهُمْ مَنْسُوبُونَ إِلَيْهِ وَإِلَى نُصْرَتِهِ وَمَوَالَاتِهِ، وَهُمْ أَعْدَاؤُهُ فِي الْحَقِيقَةِ، يُخْرِجُونَ عِدَاوَتَهُ فِي كُلِّ قَالِبٍ يَظُنُّ الْجَاهِلُ أَنَّهُ عَلِيمٌ وَإِصْلَاحٌ، وَهُوَ غَايَةُ الْجَهْلِ وَالْإِفْسَادِ.

فَلِلَّهِ كَمٌّ مَنِ مَعْقِلٍ لِلْإِسْلَامِ قَدْ هَدَمُوهُ!
وَكَمٌّ مِنْ حِصْنٍ لَهُ قَدْ قَلَعُوا أَسَاسَهُ وَخَرَّبُوهُ!

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١/١١٦، رَقْم ٢٩٨)، وَمُسْلِمٌ (١/٨٧، رَقْم ٨٠).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٣/١٤٧٦، رَقْم ١٨٤٧).

وَكَمْ مِنْ عِلْمٍ لَهُ قَدْ طَمَسُوهُ!

وَكَمْ مِنْ لِوَاءٍ لَهُ مَرْفُوعٍ قَدْ وَضَعُوهُ!

وَكَمْ ضَرَبُوا بِمَعَاوِلِ الشُّبْهِ فِي أَصُولِ غِرَاسِهِ لِيَقْلَعُوهَا، فَلَا يَزَالُ
الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ مِنْهُمْ فِي مِحْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ، وَلَا يَزَالُ يَطْرُقُهُ مِنْ شُبْهِهِمْ سَرِيَّةٌ بَعْدَ
سَرِيَّةٍ، لَوْ رَأَيْتَهُمْ فِي طَاعَتِهِمْ لَوْجَدْتَهُمْ ﴿كَسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا
قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وَلَوْ نَظَرْتَ إِلَى حَالِهِمْ مَعَ الْقُرْآنِ لَوْجَدْتَهُمْ قَدْ هَجَرُوهُ، وَمَا قَرَأُوهُ إِلَّا
قَلِيلًا، وَلَوْ سَبَرْتَ أَخْلَاقَهُمْ لَوْجَدْتَهُمْ قَوْمًا أَجْلَافًا غَلَظًا مَعَ أَهْلِ الْخَيْرِ
وَالصَّلَاحِ، وَيَزَعْمُونَ أَنَّهُمْ بِذَلِكَ مُصْلِحُونَ، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا
يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢]، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾
[الصف: ٨].

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُم رَبُّكُمْ
فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي
بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوحِدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ

باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

اللهم آمناً في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضال المسلمين، اللهم رُدِّهم إليك ردًّا جميلاً، اللهم ارفع ما نزل من الفتن، اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] ،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الإسراء والمعراج وعظمة الله

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله عباد الله! واقدروه حقَّ قدره؛ فالأرض جميعًا قبضته يوم القيامة، والسموات مطوياتٌ بيمينه.

عِبَادَ اللَّهِ: حَادِثَةٌ يَتِمَّةٌ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ، وَرَحْلَةٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَقُومَ بِمِثْلِهَا، وَلَا أَنْ يَصِلَ إِلَى نَهَايَتِهَا، سُرْعَتُهَا عَظِيمَةٌ وَعَجِيبَةٌ فِي مَقَايِيسِ الْبَشَرِ، رِحْلَةٌ جَمَعَتْ أَفْضَلَ الْبَشَرِ، مَعَ أَفْضَلِ الْمَلَائِكَةِ، لَيَعْرُجَ بِهِ إِلَى أَيْنَ؟ .. وَأَيَّ طَرِيقٍ سَلَكَوْا؟ .. وَأَيَّ وَسِيلَةٍ رَكِبُوا؟ .. وَأَيَّ سُرْعَةٍ بَلَغُوا؟

قِصَّةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ، مِنْ أَغْرَبِ مَا رُوي مِنَ السَّيْرِ النَّبَوِيِّ، قِصَّةٌ مُعْجَزَةٌ وَخَارِقَةٌ لِنَوَامِيسِ الْكُونِ قَاطِبَةً، رَبَطَتِ الْأَرْضَ بِالسَّمَاءِ، وَالْأَحْيَاءَ بِالْأَمْوَاتِ، وَالْقَرِيبَ بِالْبَعِيدِ، وَالْإِنْسَانَ بِالْمَلَائِكَةِ، وَالْحَاضِرَ بِالْمَاضِي، وَالْحَاضِرَ بِالْمُسْتَقْبَلِ، بَلْ رَبَطَتْ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قصة المعراج بأيّ سرعةٍ تمت؟.. وأيّ مسافةٍ قطعت؟.. سؤالان مُحيران!!.. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣]، لم تحدث لأحدٍ من قبله للنقل، بل ولم يزعم أو يتجاسر أحدٌ من الدجالين أنه عُرج به كما عُرج بمحمدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَوَصَلَ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ.

حادثةٌ فريدةٌ غريبةٌ في زمانها ومكانها وفصولها، حتى دفعت قُرَيْشًا للتكذيب دون تردّد. بل وحتى في عصرنا هذا، عصر النانو والذرة، هناك مَنْ يُكذِّبُ بها مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِقُدْرَةِ اللَّهِ، ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، نعم يُكذِّبون بها لنرى إلى مقاييس المسافات عندهم، ولنعلم أن هذه الحادثة فِتْنَةٌ لِمَنْ كَذَّبَ بخبر السماء، فعندهم أن أقرب نجم إلينا خارج النظام الشمسيّ تُقَدَّر المسافة بالكيلومتر، بما يعادل أكثر من أربعين ترليون كم، أي: أربعين مليون مليون مليون كم!!.

فكيف بالمسافة التي بيننا وبين المجرات على حسابهم؛ فإنها أضعافُ المسافة التي قبلها، فسبحان من له مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فهذه الأبعاد الفلكيّة لَا تُمَثَّلُ إِلَّا جَانِبًا مِنَ الْمَسَافَاتِ الْبَيْنِيَّةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَجَرَّاتِ الَّتِي تَعِجُ بِهَا السَّمَاءُ الدُّنْيَا، بلايين المجرات تسبح في بحر السماء الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا زِينَةً لِّلْكَوَاكِبِ﴾ [الصفّات: ٦]، هذه السماء الدنيا، فكيف بالسماء الثانية وما فوقها، هذا، ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

قصة المعراج العجيبة بأيّ سرعةٍ حدثت؟

وما أَجْمَلَ ما قاله أحد علماء الفلك في اختصار هذه الأرقام الكبيرة!

قال: لو كانت رحلة المعراج بأقصى سرعة عرفها البشر، وهي سرعة الضوء؛ لاستغرقت رحلة المعراج أربعين وأربعمائة سنة لبلوغ نجم الثريا فقط! فإن أرادو زيارة أقرب مجرة لاستغرقت الرحلة أكثر من مليوني سنة ليلبوها!!

فكيف إذا سافروا إلى أبعد ما يُبصرون عبر التلسكوبات من مجرات بعيدة، لاحتاج الأمر إلى بليون سنة!! إ.هـ.

والعلم والعلماء لا يعلمون حدودَ وأطرافَ السماء الدنيا، فضلاً عن غيرها، وبالتالي لا يعلمون عن بُعد السماء الثانية كيف هو؟.. فإذا وَقَفَ العلماء حائرين مما أبصروه في آفاقهم الدنيا، فكيف الحال في ما لم يُبصروه في السماء الثانية، وما فوقها؟!

والسؤال الكبير الذي يَكْمُن فيه التفكير والتدبر والتأمل في خلق الله عَزَّجَلْ بأي سرعة عُرِجَ به؟.. حتى تَجَاوَزَ السماء الدنيا بأقمارها، وكواكبها، ونجومها، ومجراتها، وسُدُومها، وما نَعْلَمُ وما لا نَعْلَمُ مِنْ خلق الله فيها!!

بأي سرعة مُذهلة مُعْجِزة اختصرت بلايين السنين في لحظات كلمح البصر، وإذا به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند أبيه آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في السماء الدنيا! وبلَمَحَ الْبَصَرِ وإذا المصطفى في السماء الثانية عِنْدَ أَخُوَيْهِ عيسى ويحيى عليهما السلام، ولحظات ليقطع السماء الثانية إلى الثالثة عِنْدَ أَخِيهِ يُوسُفَ عليه السلام!!.. وهكذا حَتَّى وصل إلى السماء السابعة عِنْدَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ -عليهما السلام-.

الله أكبر...

وصل الحبيب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى نقطة كونيّة لم يبلُغها بشرٌ من قبله. ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨]، وسار بِسُرْعَاتٍ، وَقَطَعَ مَسَافَاتٍ لَا تَسْتَوْعِبُهَا الْعُقُولُ الْبَشَرِيَّةُ وَلَا حَتَّى الْآلِيَّةُ، فَلَا يَصْلُحُ مَعَهَا وَحْدَةً قِيَاسٍ مَسَافَةٍ وَلَا سُرْعَةٍ، وَالْأَمْرُ كُلُّهُ بِيَدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الله أكبر...

بأيّ سرعةٍ عُرج بحبيبنَا؟.. فلا سرعةُ الضوءِ تُجدي، ولا سرعةُ تَبَاعُدِ الْمَجَرَّاتِ عَنْ بَعْضِهَا تُغْنِي.. ولكنها قدرةٌ مَنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ: (كُنْ) فَيَكُونُ.. إنها قدرةٌ مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.. إِنَّهَا قُدْرَةٌ تَتَوَقَّفُ كُلُّ النُّوَامِيسِ الطَّبِيعِيَّةِ أَمَامَهَا، وَتَتَلَاشَى كُلُّ الْمَعَادِلَاتِ الرِّيَاضِيَّةِ حِيَالَهَا!.. ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

ثم لما بلغ المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّمَاءَ السَّابِعَةَ واطَّلَعَ عَلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، أُذِنَ لَهُ أَنْ يَرُقَى وَيَصْعَدَ إِلَى مَكَانٍ قُصِرَ عَلَيْهِ وَحْدَهُ دُونَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، تِلْكَ قِصَّةٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهَا قِصَصٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ لِمِثْلِهَا قِصَّةٌ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ، مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: ١].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ

المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئة، فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله على إحسانه، والشُّكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الدّاعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.
أَمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ الْمُصَلِّينَ: يَقِفُ الْمُؤْمِنُ أَمَامَ مَلَكُوتِ السَّمَاءِ مُتَحَيِّرًا مُتَعَجِّبًا فِي صَنِيعِهِ وَإِبْدَاعِهِ، فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ لَآيَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، بَلْ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تَعْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

رَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: قَدْ آتَى لَكَ أَنْ تَزُورَنَا، فَقَالَ: أَقُولُ يَا أُمُّهُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: «زُرْ غَبًّا تَزِدُّ حُبًّا»، قَالَ: فَقَالَتْ: دَعُونَا مِنْ رِطَانَتِكُمْ هَذِهِ. قَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ: أَخْبَرِنَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ: «يَا عَائِشَةُ! ذَرِينِي أَتَعَبُدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ قُرْبَكَ وَأَحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يَصْلِي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى، فَلَمْ يَزَلْ

يبكي حتى بلَّ لَحِيَّتَهُ، قالت: ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض، فجاء بلالٌ يُؤذِنُهُ بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله! لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةُ آيَةٌ، وَنِيلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾» [البقرة: ١٦٤]، الآية كلها^(١).

كيف لا يكون المَلَكُوتُ بهذه المثابة والعظمة لمن تدبَّر، وقد أقسم الله قَسَمًا قال عنه: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّتَوْعَلُمُونَ عَظِيمٌ﴾، فما هو هذا القسم قال الله: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّتَوْعَلُمُونَ عَظِيمٌ» [الواقعة: ٧٥-٧٦].

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أقسم تعالى بالنجوم ومواقعها، أي: مساقطها في مغاربها، وما يُحْدِثُ اللهُ في تلك الأوقات، من الحوادث الدالة على عظمته وكبريائه وتوحيده. ثم عَظَّمَ هذا المقسَمَ به، فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّتَوْعَلُمُونَ عَظِيمٌ﴾، وإنما كان الْقَسَمُ عَظِيمًا، لأن في النجوم وجريانها، وسقوطها عند مغاربها، آيات وعبرا لا يمكن حصرها»^(٢).

وقبل الختام لِنَقِفْ مع هذه الرحلة العجيبة؛ لِنَعْلَمَ أن من حَكَمَها فرضية الصلوات الخمس، رحلةً بهذه المثابة ولم يُؤَمِّرِ العبادَ ولم يُطَلِّبْ منهم في هذه الرحلة إلا الصلوات الخمس؛ كُلُّ هذا من أجل أن يعلم العبادُ فضلها وشرافها.

فَرَفَقًا بِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَضِيعُ الْمُتَكَاسِلُ!

(١) أخرجه ابن حبان (٣٨٧/٢)، رقم (٦٢٠).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٣٦).

رفقاً بنفسك؛ «فَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ»^(١)، تَحِيلَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ قِصَّةَ
المعراجِ وتَمْتَلِيْ نفسَكَ عِظْمَةً بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَعِظْمَتِهِ، ثُمَّ يَطْلُبُ مِنْكَ هَذِهِ
الصلواتِ الخمسَ، فماذا ستفعل؟

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم
فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ
وصحبه أجمعين، وارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي
بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون
في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك
باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا
يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عدداً.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أوطاننا، وأصْلِحْ أئِمَّتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وفقهم لما
يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/ ٨٢٨، رقم ١٥٣٦) من كلام أبي الدرداء، والطبراني
في معجمه الكبير (٦/ ٤٤، رقم ٥٤٥٩) من كلام سعد بن عماره وكانت له صحبة.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
 الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] ،
 فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
 اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥] .



الانتكاسة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله - عِبَادَ اللَّهِ - حقَّ التقوى، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: أَتَدْرُونَ مِمَّ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْذَرُ وَيَخَافُ، قَدْ يَجُولُ بِخَاطِرِنَا أُمُورًا، لَكِنْ كَقَدْ لَا تَتَصَوَّرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَخْشَى الْإِنْكَاسَةَ، وَيَخَافُ الضَّلَالَ.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقْلَبَ الْقُلُوبِ، ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا، قَالَ: فَقَالَ: «نَعَمْ؛ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ يُقْلِبُهَا»^(١).

(١) أخرجه أحمد (١١٢/٣)، رقم (١٢١٢٨)، والترمذي (٤٤٨/٤)، رقم (٢١٤٠) وقال: حسن.

وَقَدْ كَانَ أَكْثَرُ قَسَمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: «لَا وَمُقَلَّبِ الْقُلُوبِ»^(١)؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُذَكِّرَ نَفْسَهُ بِفَقْرِهِ وَحَاجَتِهِ إِلَى مَوْلَاهُ، وَأَنَّهُ مَهْمَا بَلَغَ الْعَبْدُ فَإِنَّهُ مُعَرَّضٌ لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ، مَهْمَا بَلَغَ عِلْمُهُ، وَارْتَفَعَتْ مَكَانَتُهُ.

رُحْمَاكَ يَا اللَّهُ! لَيْتَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشْفِقُ عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ أَمِينُ اللَّهِ عَلَى وَحْيِهِ وَمُصْطَفَاهُ، فَمَاذَا نَقُولُ؟ وَلَمْ لَا نَخَافُ كَخَوْفِهِ.

كَانَ رَسُولُكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»^(٢).

وَاسْمَعُوا إِلَى دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَنَّهُ اتَّقَى الْخَلْقَ، وَأَبْرَأَ الْخَلْقَ، وَأَخْشَعَ الْخَلْقَ، فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي»^(٣).

إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ، فَكَيْفَ بِحَالِنَا نُحْنُ الضَّعَفَاءُ؟!

كَيْفَ بِأَحْوَالِنَا وَالْفِتْنُ تَتَلَاظِمُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا، وَمَنْ خَلَفْنَا؟!

كَيْفَ بِأَحْوَالِنَا وَنَحْنُ فِي كُلِّ يَوْمٍ قُلُوبٌ، وَلَنَا مَرْتَعٌ وَمِهْيَعٌ؟!

أَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ أَنَا سَاءَ عَاصِرُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَالَسُوهُ، وَسَمِعُوا الْوَحْيَ، وَأَسْلَمُوا، وَصَدَّقُوا، وَبَلَغُوا مَرْتَبَةَ الصَّحْبَةِ، لَكِنَّهُمْ كَفَرُوا

والحاكم (٧٠٧/١، رقم ١٩٢٧) وقال: صحيح.

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٥/٦، رقم ٦٢٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٤٥/٤، رقم ٢٦٥٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٨٦/٤، رقم ٢٧١٧).

بعد ذلك، وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٦) **أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** (٨٧) **خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ** (٨٨) **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴿[آل عمران: ٨٦ - ٨٩].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١)؛ ولهذا لما كَانَ هذا الأمرُ في نفسِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بهذه المكانة أصبح يستشعرُهُ في كُلِّ وقتٍ.

وتأمل حاله لما مرَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدِيَارِ ثُمُودَ وقومِ صالح، تَذَكَّرَ أَلِيمَ بطشه، وشِدَّةَ مكره، وهَالَهُ وأَفْزَعَهُ، وخَافَ على نفسه، فقد روى الشيخان من حديث ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَجَرِ، قَالَ: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ» ثم قَنَعَ رَأْسَهُ وأسْرَعَ السَّيْرَ حتى أَجَازَ الْوَادِي^(٢).

ووجهُ هذه الخشية أَنَّ الْبُكَاءَ يَبْعَثُهُ عَلَى التَّفَكُّرِ وَالْإِعْتِبَارِ، فَكَأَنَّهُ أَمَرُهُمْ بِالتَّفَكُّرِ فِي أَحْوَالِ تَوَجُّبِ الْبُكَاءِ مِنْ تَقْدِيرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أُولَئِكَ بِالْكَفْرِ مَعَ تَمَكِينِهِ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَإِمَاهِلَهُمْ مَدَّةً طَوِيلَةً، ثُمَّ إِيقَاعِ نَقْمَتِهِ بِهِمْ، وَشِدَّةِ

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٤٢، رقم ٢٦٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٤/١٧٣٧، رقم ٤٤٢٥)، ومسلم (٤/٢٢٨٦، رقم ٢٩٨٠).

عذابه، وهو سبحانه مُقَلِّبُ الْقُلُوبِ، فلا يَأْمَنُ الْمُؤْمِنُ أَنْ تَكُونَ عَاقِبَتُهُ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ.

وَمِنْ أَعْظَمِ أَحْوَالِهِ فِي خَوْفِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ السَّفَرُ وَتَغَيَّرَ الْمَكَانُ عَامِلًا قَوِيًّا لِلتَّحَوُّلِ وَالتَّغْيِيرِ وَالِانْتِكَاسِ، كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ فِي وَاقِعِ بَعْضِ النَّاسِ الْيَوْمَ عِنْدَ سَفَرِهِمْ إِلَى بِلَادِ الْكُفَّارِ وَنَحْوِهِمْ، كَانَ رَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ، عِنْدَ سَفَرِهِ يَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنَ الْخَوْفِ بَعْدَ الْكُفُونِ - أَوْ الْكُورِ -^(١)، وَهُوَ الرِّجُوعُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْكُفْرِ، أَوْ مِنَ الطَّاعَةِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ، وَأَعْمٌ مِنْ ذَلِكَ: الرِّجُوعُ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الشَّرِّ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

وَكُلُّنَا يَعْلَمُ أَسْفَارَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَجْلِ مَاذَا، فَهُوَ إِمَّا فِي هَجْرَةٍ، أَوْ غَزْوَةٍ، أَوْ حَجٍّ، أَوْ عَمْرَةٍ، أَوْ دَعْوَةٍ، وَمَعَ هَذَا يُرَدُّ هَذَا الدَّعَاءُ الْعَظِيمَ عِنْدَ سَفَرِهِ، وَهَذَا غَايَةٌ فِي الْخَوْفِ.

وهذا من شِدَّةِ خَوْفِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَوْقِيرِهِ لِرَبِّهِ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿قَالَ يَنْفَقُونَ أَرْبَعًا يَوْمًا كُنْتُ عَلَى بَنَنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ، فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٣].
بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُّوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكْرُ على توفيقه وامتنانه، وأشهدُ أن لا إله إلا الله؛ تعظيماً لشانه، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، الدَّاعِي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: إِنَّ من أعظم أسباب الانتكاسة وغلبة الشهوة هو التهاونُ بحدودِ الله، واقترافُ الذُّنُوبِ دونها خوفٍ أو وَجَلٍ أو تَأْنِيْبٍ ضَمِيرٍ، تَأَمَّلُوا ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]، فَمَنْ لم يَسْتَجِبْ لأوامِرِ الله بقلبه وجوارحه فهو مُعَرَّضٌ لأنَّ يَحُولَ الله جَلَّ وَعَلَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ، فهو مُقَلَّبُ الْقُلُوبِ، يُقَلَّبُهَا حَيْثُ شَاءَ، وَيُصَرِّفُهَا حَيْثُ شَاءَ، فَالعبد بين الرغبة والرغبة، والرَّجَاءِ والخوفِ، لَا يَأْمَنُ فِتْنَةً، وَلَا يَعْلَمُ خَاتِمَةً وَعَاقِبَةً.

وَمِنْ أعظمِهَا، وَلَا سِيَّامَا فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ، هُوَ تَتَبُّعُ الْمُتَشَابِهَاتِ، وَجَعْلُهَا مِنْ الْمُحْكَمَاتِ، وَتَرْكُ الْمُحْكَمَاتِ وَعَدَمُ الرَّدِّ إِلَيْهَا، وَهَذَا شَامِلٌ لِبَابِ الْعَقَائِدِ وَالْمَعَامَلَاتِ وَالْأَحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ، فَمَنْ تَتَبَعَ الْمُتَشَابِهَ لِأَنَّهُ يُوَافِقُ هَوَاهُ، وَيَتَشَهَّى بِالْأَخْذِ فِي الْأَحْكَامِ، سِوَاءٍ مِنْ زَلَّاتِ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَوْ يَمِّنْ لَا يُعْرِفُ بِالْفَقْهِ، فَهُوَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ مِنَ الْإِنْتِكَاسَةِ.

لِتَأْمَلَ قَوْلَ اللَّهِ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ

وَأَخْرُ مُتَشَبِّهَةً ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَمَنَّا بِهِ ۚ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ [آل عمران: ٧].

قال السعدي رحمه الله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: ميلٌ عن الاستقامة، بأن فسدت مقاصدهم، وصار قصدُهم الغي والضلال، وانحرفت قلوبهم عن طريق الهدى والرشاد، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ﴾ أي: يتركون المحكم الواضح ويذهبون إلى المتشابه، ويعكسون الأمر فيحملون المحكم على المتشابه، ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ لمن يدعونهم لقولهم، فإن المتشابهة تحصل به الفتنة بسبب الاشتباه الواقع فيه، وإلا فالمحكم الصريح ليس محلاً للفتنة، لوضوح الحق فيه لمن قصد اتباعه^(١).

ولهذا تأمل كيف ختم الله هذه القضية في قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، أي أن هذا من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى الزيغ، والعياذ بالله.

وفي زماننا هذا ظهر جلياً تباعه الهوى، وهذامة النصوص المحكمة، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أَنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَيَأْيَاكُمْ وَإِيَّاهُمْ لَا يُضِلُّوكُمْ، وَلَا يَفْتِنُوكُمْ»^(٢).

(١) تفسير السعدي (ص ١٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (١/١٢، رقم ٦).

والأشدُّ من ذلك مَنْ يكون لِثَلْ هَوْلَاءِ مُدَافِعًا عَنْهُمْ، وَمُبَجَّلًا لَهُمْ، بَلِ
ووصفهم بِالْعِلْمِ وَالْفَقْهِ وَالنَّظَرِ، ﴿سَتَكُنُّبُ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].
ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُم رُبُّكُمْ
فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي
بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَلَدِنَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الجدال والفتوى

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِلَّا هُوَ إِلَهُهُ وَحْدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ﴾ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّن تَعَمَّةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانِسْتَهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿النحل: ٥١ - ٥٥﴾.

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: لَقَدْ قَبَّحَ اللَّهُ الْمَجَادِلِينَ فِي شَرِيعَتِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّثِيرٍ، ذَمَّهُمْ وَذَكَرَ صِفَاتِهِمْ حِينَما يَهْجُمُونَ عَلَى الشَّرْعِ وَهُمْ لَيْسُوا مِنْ حَمَلَتِهِ، وَلَا مِنْ عُلَمَائِهِ، فَنَحْنُ أَمَامَ طَائِفَتَيْنِ: طَائِفَةٍ مُّجَادِلَةٍ تَنْظُرُ لِلْبَاطِلِ وَتَدْعُو إِلَيْهِ، وَطَائِفَةٍ مُّقَلِّدَةٍ التَّبَسَّ عَلَيْهَا الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ.

فَأَمَّا الطَّائِفَةُ الْأُولَى: فَهُمْ شُرُّ الطَّائِفَتَيْنِ، وَأَمَقَّتْهَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ إِذْ كَيْفَ يَخْوُضُ الْمَرْءُ فِي شَرِّ اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ، وَهُوَ غَيْرُ مُتَأَهِّلٍ لِّذَلِكَ، تَأْمَلُوا قَوْلَ اللَّهِ

تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ (٢) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿[الحج: ٣ - ٤]﴾، قال ابن كثير: «وهذا حال أهل البدع والضلال، المعرضين عن الحق، المتبعين للباطل، يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء، ولهذا قال في شأنهم وأشباههم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، أي: بغير علم صحيح، ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ (٢) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ ﴿، أي: من اتبعه وقلده، ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: يضلّه في الدنيا، ويقوده في الآخرة إلى عذاب السعير، فهذه فرقة، سلكوا طريق الضلال، وجعلوا يُجادِلُون بالباطل الحق، يريدون إحقاق الباطل وإبطال الحق، والحال أنهم في غاية الجهل ما عندهم من العلم شيء» (١).

ولقد كرّر الله مقتهم في أكثر من موضع، بل إنّه ذكر وصفاً وفضيحة لهم، لا يُمكن أبداً أن يخلعوه عن أنفسهم مهما حاولوا، قال الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ (٨) ثَانِي عَطْفُهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿[الحج: ٨ - ٩]﴾. قال السعدي: هذا المجادل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ صحيح ﴿وَلَا هُدًى﴾ ولا عقل مُرْشِدٍ، ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ واضح بَيِّن، إن هي إلا شُبُهَاتٌ، يُوجِّهها إليه الشيطان، ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُؤْخِرُكَ إِلَىٰ أَوَّلِيَّائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ومع هذا ﴿ثَانِي عَطْفُهُ﴾ أي: لا وِجَانِيَّةَ وَعُنْفَهُ، وهذا كناية عن كِبَرِهِ عن الحق، واحتقاره للخلق، فقد فَرَحَ

بِإِذَا مَعَهُ مِنَ الْعِلْمِ غَيْرِ النَّافِعِ، وَاحْتَقَرُ أَهْلَ الْحَقِّ وَمَا مَعَهُمْ مِنَ الْحَقِّ»^(١).
وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ: ﴿لِيُضِلَّ﴾ قِيلَ: إِنَّ اللَّامَ لَامُ الْعَاقِبَةِ، أَي: أَنَّهُ قَدْ لَا يَقْصِدُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ عَاقِبَةُ جِدَالِهِ أَنْ فِيهِ إِضْلَالًا، وَقِيلَ: إِنَّهَا لِلتَّعْلِيلِ، أَي: أَنَّهُ يَفْعَلُ هَذَا اللَّيِّ وَالْكِبَرِ وَالزَّهْوَ وَالْجُرْأَةَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ وَاثِقًا مُقْتَنِعًا فَيَتَأَثَّرُوا بِهِ، هَذَا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْعَجِيبَةِ، فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ دَاعِيًا مِنْ دَعَاةِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ وَالْبَدْعِ، إِلَّا وَلَهُ مِنَ الْمُقْتِ بَيْنَ الْعَالَمِينَ، وَاللَّعْنَةُ، وَالْبَغْضُ، وَالذَّمُّ، مَا هُوَ حَقِيقٌ بِهِ، وَكُلٌّ بِحَسَبِ حَالِهِ.

وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُ الْخُصْمُ»^(٢)، قَالَ النَّوَوِي: «هُوَ شَدِيدُ الْخُصُومَةِ، مَا خُوذُ مِنْ لَدِيدِي الْوَادِي، وَهُمَا جَانِبَاهُ؛ لِأَنَّهُ كَلِمَا اخْتَجَّ عَلَيْهِ بِحُجَّةٍ أَخَذَ فِي جَانِبٍ آخَرَ، وَأَمَّا الْخُصْمُ فَهُوَ الْخَاذِقُ بِالْخُصُومَةِ، وَالْمَذْمُومُ هُوَ الْخُصُومَةُ بِالْبَاطِلِ فِي رَفْعِ حَقٍّ، أَوْ إِثْبَاتِ بَاطِلٍ»^(٣).
قَالَ بَلَالُ بْنُ سَعْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ لَجُوجًا مُمَارِيًا مُعْجَبًا بِرَأْيِهِ فَقَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ»^(٤).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

(١) تفسير السعدي (ص ٥٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٨٦٧)، رقم (٢٣٢٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٥٤)، رقم (٢٦٦٨).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢١٩).

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٦/ ٣٤١).

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِهَا مِنْ آيَاتِ
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ؛ تَعْظِيمًا لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ
وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ. أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: وَمِنَ الْمَفَارِقَاتِ الْعَجِيبَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَهُوَ صَاحِبُ الْحَقِّ، وَهُوَ الْمُؤَيَّدُ بِالْوَحْيِ، وَهُوَ الَّذِي رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ
الْكُبْرَى، لَمْ يَكُنْ مُتَكَبِّرًا لِدُودًا مُخَاصِمًا، وَإِنَّمَا كَانَ رَحْمَةً رُؤُوفًا رَحِيمًا مُشْفِقًا،
وَلَكِنْ أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الصِّفَةُ حَاسِمَةً فَارِقَةً بَيْنَ دُعَاةِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ،
وَفِي زَمَانِنَا هَذَا لَا زَالَ الْمَجَادِلُونَ فِي شَرِيعَةِ اللَّهِ يُخَوِّضُونَ فِيهَا بِلَا خَوْلٍ، وَلَا
تَأْنِيْبٍ ضَمِيرٍ، أَحَدُهُمْ لَوْ عُرِضَ عَلَيْهِ نَجَاسَةٌ فِي ثَوْبِهِ لَسَأَلَ عَنْهَا، وَإِذَا عُرِضَ
عَلَيْهِ وَاقِعُ الْأَمَّةِ وَشَأْنُهَا خَاضَ فِيهَا كَمَا يُخَوِّضُ فِي الْمَاءِ، مُنْظَرًا وَمُخْطَطًا وَمُتَّهِمًا
لَأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ، مُبَرِّثًا نَفْسَهُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا
يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ

النَّاسُ رُؤْسَاءَ جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(١).

ما أبشعَ زَمَانًا كهذا! أن يكونَ الجاهلُ فيه رأسًا لِلْفَتَى والتَّكَلُّمِ في شؤونِ النَّاسِ، وأن يسيرَ النَّاسُ برأيه وتوجيهه.

تأملوا -يا رعاكم الله- قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»، فكيف إذا كان في الأرض مَنْ لا يزالُ يحملُ آثارَ النبوةِ، وقد بَلَغُوا في العِلْمِ مَبْلَغًا وشَأْوًا عَظِيمًا، إِنَّ مِنْ عَجِيبِ الْأَمْرِ وَأَمْرِهِ أَنْ تَجِدَ مَنْ هُوَ أَذُنٌ لَعْدُوٍّ مَرْتَبِصٍ، أو شَابٌّ مَتَحَمِّسٍ، أو مُجْهولٌ لا يُعْرِفُ، يُخَوِّضُ بِجَهْلٍ، وبِما لا يَعْرِفُ وَلَا يَفْهَمُ.

أَوْ مَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتحذيره مِنْ هَؤُلَاءِ بِالْخُصُوصِ، فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَاهُمْ، لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ»^(٢).

هذا تحذيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَؤُلَاءِ، فَهُمْ قَوْمٌ قَلَّ فِيهِمُ الْوَرَعُ وَالِدَيَانَةُ؛ فَتَجَشَّسُوا غِمَارَ الْفَتَى، وَكَأَنَّ الْأَمْرَ سَبَاقٌ عَلَى النُّجُومِيَّةِ وَالْبُرُوزِ وَالْإِنْتِقَامِ.

هذا ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لِحَقِّهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: أَنْتَ ابْنُ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، انْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْمَقْدِمَةِ الصَّعْبَةِ، فَقَدْ شَرَفَتْ مَكَانَتُهُ فَسَأَلَهُ الْأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ لَهُ: أَتَرِثُ الْعَمَّةُ؟ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَا أَدْرِي، أَذْهَبُ إِلَى الْعُلَمَاءِ بِالْمَدِينَةِ؛ فَسَلُّهُمْ،

(١) أخرجه البخاري (٥٠/١)، رقم (١٠٠)، ومسلم (٢٠٥٨/٤)، رقم (٢٦٧٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٢/١)، رقم (٧).

فلَمَّا أَذْبَرَ قَبْلَ ابْنِ عُمَرَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: نعم، ما قال أبو عبد الرحمن -يعني نفسه-، سُئِلَ عَمَّا لَا يَذْرِي فَقَالَ: لَا أَذْرِي^(١)، ليس معني هذا فِي إِرْثِ الْعَمَّةِ، فكَيْفَ بِقَضَايَا الْأُمَّةِ، وَكَيْفَ بِمَسْتَقْبَلِ شُعُوبٍ وَبُلْدَانٍ.

ما أَكْثَرَ فِي زَمَانِنَا مَنْ يُجَادِلُونَ فِي شَرِيعَةِ اللَّهِ بِالْبَاطِلِ عِبْرَ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الاجتماعيِّ، والمَجَالِسِ الْخَاصَّةِ! ﴿وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ، عَلِمْنَا السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْفُورًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أَمَرَكُم رَبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أُمَمَتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤ / ٨٢).

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدَّهم إليك ردًّا جميلاً، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الحياء والذوق

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله عِبَادَ اللَّهِ، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: تَعْظُمُ النُّفُوسُ وَتَكْبُرُ بِهَا تَحْمِلُهُ مِنَ السَّجَايَا الْحَسَنَةِ، وَالصِّفَاتِ الْعَالِيَةِ، وَالْخِصَالِ الْجَمِيلَةِ، نُفُوسٌ طَبِعَتْ عَلَى الْخَيْرِ، فَلَا تَسْمَعُ مِنْهَا إِلَّا خَيْرًا، وَلَا تَرَى مِنْهَا إِلَّا خَيْرًا، تَأْسِرُكَ حِينَ تَرَاهَا، وَتَأْمَنُّهَا حِينَ تُجَالِسُهَا، وَتَحْنُ إِلَيْهَا حِينَ تُفَارِقُهَا، تِلْكَ هِيَ نُفُوسُ الْعِظَامِ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ عَظَمَتَهَا فَبُضِّدْهَا تَبَيَّنَ الْأَشْيَاءُ، نُفُوسٌ يَحُوطُهَا الْحَيَاءُ وَالذَّوْقُ الرَّفِيعُ، يَحْتَرِمُ شُعُورَ النَّاسِ، وَلَا يُنْغِصُ عَلَيْهِمْ، بَلْ يُدْخِلُ الشُّرُورَ عَلَيْهِمْ.

لِنَتَأَمَّلَ قِصَّةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي صَنَعَهُ اللَّهُ عَلَى عَيْنِهِ حِينَمَا ذَهَبَ إِلَى الْخَضِرِ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ، وَعَلَّمَهُ مِنْ لَدُنْهُ عِلْمًا، امْتَلَأَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ الطَّوِيلَةُ بِمَعَانِي الْحَيَاءِ وَالذَّوْقِ السَّامِيِّ، حِينَمَا قَالَ لَهُ: ﴿هَلْ أَتَيْعَكَ عَلَى

أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا ﴿[الكهف: ٦٦]﴾، تأمَّل أسلوب الطلب، وتأمل الشاء والمدح، وتأمل قوله: ﴿أَتَبِعَكَ﴾ مفردة، امتلأت تواضعا وتذللاً.

قال السعدي رحمه الله: ﴿هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا﴾، فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، وأنت هل تأذن لي في ذلك أم لا؟ وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذي لا يظهر للمعلم افتقارهم إلى علمه، بل يدعي أنه يتعاون هم وإياه، بل ربما ظن أنه يعلم معلمه، وهو جاهل جداً، فالذل للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم^(١).

وتأمل صنيعة حينما لم يطق الصبر على ما لم يحط به خبراً، لما جاء في الثالثة هو من اعتذر عن مواصلة الطلب والرفقة؛ لأنه شعر أنه ليس من الأدب، ولا من الذوق أن يستمر دون أن يُراعي حال الصاحب، مع أنه كان في ازدياد من العلم، ومع هذا قال: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصِجْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦]، الله أكبر.. ما هذا الذوق؟! وما هذا الأدب؟!

ولنبينا من هذه المعاني قصبات السبق، بل بعضها في قرآن يتلى، وما أعظم قصته حينما كان النبي صلى الله عليه وسلم عروسا بزَيْنَب، فقالت لي أم سليم: لو أهدينا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية؟! فقلت لها: افعلي. فعمدت إلى تمر وسمن وأقيط، فاتخذت حيسة في برمة، فأرسلت بها معي إليه، فانطلقت بها إليه، فقال لي: «ضعها»، ثم أمرني فقال: «ادع لي رجالاً» سماهم، «وادع لي من لقيت»، قال: ففعلت الذي أمرني، فرجعت فإذا البيت غاص

بأهله، فرأيتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى تِلْكَ الْحَيْسَةِ، وَتَكَلَّمَ بِهَا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ جَعَلَ يَدْعُو عَشْرَةَ عَشْرَةً، يَأْكُلُونَ مِنْهُ، وَيَقُولُ لَهُمْ: «اذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، وَلْيَأْكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِمَّا يَلِيهِ»، قَالَ: حَتَّى تَصَدَّعُوا كُلُّهُمْ عَنْهَا، فَخَرَجَ مِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ، وَبَقِيَ نَفَرٌ يَتَحَدَّثُونَ، فَأَخَذَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ، فَقَامَ مِنْ قَامٍ، وَجَلَسَ نَفَرٌ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ، وَزَوْجَتُهُ مُوَلِّيَّةٌ وَجْهَهَا إِلَى الْحَائِطِ، فَثَقُلُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَجَعَلْتُ أَغْتَمُ، ثُمَّ خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ الْحُجُرَاتِ، وَخَرَجْتُ فِي إِثْرِهِ، فَقُلْتُ: إِنَّهُمْ قَدْ ذَهَبُوا فَرَجَعَ فَدَخَلَ الْبَيْتَ وَأَرَاخَى السِّتْرَ، وَإِنِّي لَفِي الْحُجْرَةِ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَدْخُلُونَهَا إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْنَشَرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ^(١)، حياؤه وذوقه منعاه من أن يُزْعَجَ أضيافه، مع أنه في ليلة عُرْسِهِ وهو معذورٌ وزوجه تنتظره، إلا أنه استحيًا؛ ولهذا أخرج الله ما في ضميره فقال: ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾، فمع أنه يؤذيه إلا أنه لم يتخلَّ عن خلقه.

عندما ترى الرجل يتحرَّج من فعل ما لا ينبغي، ويكسو الخجل وجهه، إذا بدر ما لا يليق، فاعلم أنه حيُّ الضمير، زَكِيُّ العُنْصُر، نَقِيُّ المعدن، رَفِيعُ الذَّوْق، أما إذا رأيتَه صفيقًا، بليد الشُّعُور، مُعَوَّجَ السلوك، لا يبالي ما يأخذُ أو يترك، فيه من المخاشنة وقلة الذَّوْق والجلافة، فهو بعيدٌ عن الخير، ليس لديه حياءٌ يَرَدُّعُه، ولا وازعٌ يَمْنَعُه، يقع في الآثام، ويُسِفُّ في ارتكاب الدنيايا.

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٨١، رقم ٤٨٦٨).

إن المرء حين يفقد حيائه يتدرّج من سيئ إلى أسوأ، ويهبط من رذيلة إلى أرذل، ولا يزال يهوي حتى ينحدر إلى الدركات السفلى، إن الحياء والإيمان في قرين واحد إذا نزع أحدهما تبعه الآخر. ففي الصحيحين من حديث ابن عمر قال: رأى النبي رجلاً يعاتب أخاه في الحياء، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١)، وعمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «من استَحْيَا اخْتَفَى، وَمَنْ اخْتَفَى اتَّقَى، وَمَنْ اتَّقَى وَقِيَ»^(٢).

وَيُقَابِلُ الْحَيَاءَ الْبَذَاءُ وَالْجَفَاءُ: أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ»^(٣).

ومنزوع الحياء والدُّوق لا تراه إلا على فُبح، ولا تسمع منه إلا لَعْوًا وتَأثِيمًا، عينٌ غَمَازَةٌ، ونفسٌ هَمَّازَةٌ، وَلِسَانٌ بَذِيءٌ؛ يتركه النَّاسُ اتِّقَاءً فُحْشِهِ، مُجَالَسَتِهِ شَرًّا، وَصُحْبَتِهِ ضُرًّا، وَفِعْلِهِ عُدْوَانًا، وَحَدِيثِهِ بَذَاءً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(١) أخرجه البخاري (١٧/١، رقم ٢٤)، ومسلم (٦٣/١، رقم ٣٦).

(٢) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (ص: ١١٣).

(٣) أخرجه أحمد (٥٠١/٢، رقم ١٠٥١٩)، قال الهيثمي (٩١/١): رجاله رجال الصحيح.

والترمذي (٣٦٥/٤، رقم ٢٠٠٩) وقال: حسن صحيح. والحاكم (١١٩/١، رقم ١٧٢)، وابن حبان (٣٧٢/٢، رقم ٦٠٨).

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ
المسلمين من كل ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو الغفور
الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكْرُ على توفيقه وامتنانه، وأشهدُ أن لا إله
إلا الله؛ تعظيماً لشانه، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، الدَّاعِي إلى جنَّته
ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه. أمَّا بعدُ:

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: لا أَحَدَ يُجَادِلُ أَنَا نَشْهَدُ فَوْضَى عَارِمَةً فِي تَصَرُّفَاتِ
وَسُلُوكِيَّاتِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، سَبَبُهَا الْحَقِيقِيُّ هُوَ نَزْعُ الْحَيَاءِ، وَعَدَمُ التَّوْبَةِ عَلَى
مَعَالِي الْأُمُورِ؛ فَلِذَا لَا يُبَالِي أَنْ تَرَاهُ مُجَاهِرًا عَلَى مَعْصِيَةٍ يُسْتَحْيَا مِنْهَا، وَلَا يُبَالِي
أَنْ يُسْمَعَ عَنْهُ مَا لَا يَلِيقُ؛ وَلِهَذَا قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي صَحِيحِ
الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ
النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»^(١).

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمعنى أن من لم يَسْتَحْيِ صَنَعَ مَا
شَاءَ، فَإِنَّ الْمَانِعَ مِنْ فَعْلِ الْقَبَائِحِ هُوَ الْحَيَاءُ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَيَاءٌ انْهَمَكَ فِي كُلِّ
فَحْشَاءٍ وَمَنْكَرٍ، وَمَا يَمْتَنِعُ مِنْ مِثْلِهِ مَنْ لَهُ حَيَاءٌ»^(٢)، إِنْ الْحَيَاءُ إِذَا لَمْ يَتَرَبَّ عَلَيْهِ

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٦٨، رقم ٥٧٦٩).

(٢) جامع العلوم والحكم (٣/ ٢٢).

الصغير من الكبير، فإن مخرجات البيوت ستكون حينها نتاجاً مؤسفاً؛ لأن الحياء هو الحياة.

إن كثيراً من المرّين التبس عليه مفهوم الحياء فصار يخلط بين ما يُسمّى بإكساب الثقة وزرعها والقُدرة على التعبير عما في الضمير في نفس الصغير، وبين الخجل عما يُستقبَح، وإعطاء كل ذي حقّ حقه، فليس معنى زرع الثقة أن يضيع الحياء من الكبار، وأهل الشرف والعلم والفضل والمعلمين ورجال الأمن ونحوهم، ليس معنى زرع الثقة أن لا يُحسّن الخطاب مع الآخرين، وأن لا يرى لأحد عليه فضلاً، ولو كان والديه أو معلّمه أو إمام المسجد أو المسؤول.

هل ضاع الصغير بين المفهومين فأصبحنا لا نرى كثيراً من الشباب لا يُطبّق ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسنادٍ صحيح كما عند أحمد وغيره، من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوقَرْ الْكَبِيرُ، وَيَرْحَمِ الصَّغِيرُ، وَيَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ»^(١).

وقول أبي موسى الأشعريّ كما عند البخاريّ في الأدب المفرد، عن أبي موسى الأشعريّ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ

(١) أخرجه أحمد (٢٥٧/١، رقم ٢٣٢٩)، والترمذي (٣٢٢/٤، رقم ١٩٢١) وقال: حسن غريب. والطبراني (٧٢/١١، رقم ١١٠٨٣)، والبيهقي في شعب الإياد (٤٥٨/٧)، رقم ١٠٩٨٠. قال الهيثمي (١٤/٨): رواه أحمد، والبزار بنحوه، والطبراني باختصار، وفي أحد إسنادي البزار قيس بن الربيع، وثقه شعبة والثوري، وضعفه غيرهما، وبقيّة رجاله ثقات، وفي إسناد أحمد ليث بن أبي سليم، وهو مدلس.

الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ، وَلَا الْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ»^(١)، وقد رُوي مرفوعاً إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: إن الحياءَ هو سلاحُ المرءِ وعُدَّتُهُ في هذه الحياة، حياؤه من الله، وحيأؤه من الخلق عما يُسْتَقْبَحُ، وقد جعل الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل الأمة محلَّ العفو والمعافة إلا المجاهرين^(٢)؛ لما فيهم من نزع الحياء.

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: ما أَجَمَلَ الأسرة إذا ساد فيها الحياءُ والدُّوقُ السَّليْمُ، نرى كل فردٍ فيها يتجنبُ جرحَ إحساس غيره بأيِّ لفظٍ، أو أيِّ عملٍ يأباه الدُّوقُ، بل إنَّ حياءه وذوقه يرفعه إلى حدٍّ أنه يتخير الكلمة اللطيفة، والعملَ الظريفَ الذي يُدْخِلُ السرورَ على أفراد أسرته.

إن الحياءَ والدُّوقَ السَّليْمَ في البيتِ والعائلةِ يأبى النزاعَ، ويأبى حدةَ الغضب، ويتطلَّبُ النظامَ والصبرَ، وقد قيل: «إن رُقِيَّ الدُّوقُ والحياءُ أكثرُ أثراً في السعادةِ من رُقِيَّ العقلِ؛ إن الحياءَ والدُّوقَ إذا رُقِيَ أَنْفَ من الأعمالِ الخسيسةِ، ومن الأقوالِ النابيةِ، ومن الأفعالِ السخيفةِ».

فدعوةٌ صادقةٌ بأن يُراجَعَ كلُّ منا حياءه، ويُقيَّمَ تصرُّفاته، ولتُربَّ أطفالنا على هذه المعاني.

ثم صلُّوا وسلِّموا على رسولِ الهدى، وإمامِ الورى، فقد أمركم ربكم

(١) أخرجه ابن المبارك (١/ ١٣٠، رقم ٣٨٨)، وابن أبي شيبة (٦/ ٤٢١، رقم ٣٢٥٦١)، وأبو داود (٤/ ٢٦١، رقم ٤٨٤٣)، والبيهقي (٨/ ١٦٣، رقم ١٦٤٣٥). والبخارى فى الأدب المفرد (١/ ١٣٠، رقم ٣٥٧).

(٢) أخرجه البخارى (٥/ ٢٢٥٤، رقم ٥٧٢١)، ومسلم (٤/ ٢٢٩١، رقم ٢٩٩٠).

فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فَادْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعْمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الرقق

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله عباد الله، ﴿إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقْ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: وَيَخُرجُ رَجُلٌ دَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا أَقْبَحَهُ، رَسُولُ اللَّهِ الرَّحْمَةُ الْمَهْدَاةُ وَالنَّعْمَةُ الْمُسْدَاةُ يَدْعُو عَلَيْهِ بِدَعْوَةٍ عَظِيمَةٍ، خَابَ وَخَسِرَ مَنْ نَالَهَا، تُرَى مَا وَصَفُهُ؟ وَلَمْ يَهْزِهِ الدَّعْوَةُ الَّتِي سَتَظِلُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهِيَ تَدُورُ فَوْقَ رَأْسِ صَاحِبِهَا؟!

لِنَسْتَمِعْ إِلَى مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شُمَّاسَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ. فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ تَعْنِي الْأَمِيرَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا الْبُعِيرُ

فَيُعْطِيهِ الْبُعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»^(١)، وَرَوَاهُ أَبُو عَوَانَةَ فِي مُسْتَخْرَجِهِ عَلَى مُسْلِمٍ بِلَفْظٍ: «وَمَنْ وَلِيَ مِنْهُمْ شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَعَلَيْهِ بَهْلَةٌ اللَّهِ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا بَهْلَةُ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ»^(٢).

قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالدُّعَاءُ عَلَيْهِ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالمُشَقَّةِ جَزَاءٌ مِنْ جِنْسِ الْفِعْلِ، وَهُوَ عَامٌّ لِمُشَقَّةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْوَالِي تَيْسِيرُ الْأُمُورِ عَلَى مَنْ وَلِيَهِمْ، وَالرَّفْقُ بِهِمْ، وَمُعَامَلَتُهُمْ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ وَإِثَارِ الرُّخْصَةِ عَلَى الْعَزِيمَةِ فِي حَقِّهِمْ؛ لِئَلَّا يُدْخَلَ عَلَيْهِمْ الْمُشَقَّةُ، وَيَفْعَلَ بِهِمْ مَا يُحِبُّ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ اللَّهُ»^(٣).

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا مِنْ أَبْلَغِ الزَّوَاجِرِ عَنِ الْمُشَقَّةِ عَلَى النَّاسِ، وَأَعْظَمِ الْحَثِّ عَلَى الرَّفْقِ بِهِمْ، وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَحَادِيثُ بِهَذَا الْمَعْنَى»^(٤).

وقد بَوَّبَ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ: «بَابُ ذِكْرِ دَعَاءِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ رَفَقَ بِالْمُسْلِمِينَ فِي أُمُورِهِمْ، مَعَ دَعَائِهِ عَلَى مَنْ اسْتَعْمَلَ ضِدَّهُ فِيهِمْ»^(٥).

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٥٨)، رقم (١٨٢٨).

(٢) مستخرج أبي عوانة (٤/ ٣٨٠).

(٣) سبل السلام (٧/ ١٦٠).

(٤) شرح صحيح مسلم (١٢/ ٢١٣).

(٥) صحيح ابن حبان - محققا (٢/ ٣١٣).

وقال الطيبي: «وهو من أبلغ ما أظهره من الرأفة والشفقة والمرحمة على الأمة»^(١).

ما أعظم هذا الأصل في دين المسلمين، الترقق بمن تحت ولايتك، سواء كانت الولاية عامة من رئيس دولة أو حاكم، أو كانت خاصة كمدير دائرة أو مدير قسم في دائرة، فكل من ولي على مجموعة من الناس قلوا أو كثروا فليتذكر دعوة النبي صلى الله عليه وسلم؛ وإنك لتعجب ممن اتخذ هذا المنصب، وهذه الوظيفة سلماً للتسلط على الناس، أو مضايقتهم، أو التكدير عليهم، ليس في قاموسه الوظيفي، ولا عقله الإداري، مقام الرفق إلا مع من يحب، ومن يميل إليه، ومن لم يكن على شاكلته، فهنا لا تسأل عن الشدة والضيق الذي ولا شك يجد له مساعداً في دهاليز النظام متى شاء.

تأملوا أحبتي في الله هذه الآية التي قال عنها ابن مسعود رضي الله عنه: «هذه أجمع آية في القرآن خير يُمثَّل، ولشر يُجتَنَّب»^(٢)، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فتأمل كيف قرن مع الأمر بالعدل وأتبعها بالأمر بالإحسان مباشرة، فإنه قد يلتبس كثيراً عليك العدل فلتتحرر الإحسان.

ولهذا لتنظر إلى فهم الإمام البخاري، وكيف ترجم لهذه الآية العظيمة، فقد بوب البخاري في صحيحه بعد هذه الآية فقال: «ترك إثارة الشر على

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١١ / ٣٢٤).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٥ / ٢٢١)، تفسير القرطبي (١٠ / ١٦٥)،

مسلمٍ أو كافرٍ»، قال ابن بطال: «فتأوَّل البخاريُّ من هذه الآية تركَ إثارة الشرِّ على مسلم، أو كافرٍ، ووجه ذلك -والله أعلم- أنه تأوَّل في قولِ الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ النَّدْبَ بالإحسان إلى المسيء، وترك معاقبته على إساءته»^(١).

أيها الأبُّ: أنت أولى الناس بهذه الوصية مع أولادك وبَنَاتِكَ، الرِّفْقُ الرِّفْقُ بهم، في دعوتهم وتوجيههم والتودُّد إليهم من غيرِ ضعفٍ، والتبسُّط معهم من غيرِ مذلةٍ، أتريدُ أولادًا لا يُخطئون؟! فهؤلاء لن يُخلَقُوا، وإنَّا بصبرك ورفقك وأنايتك تستطيع -بإذن الله- أن تُربِّيهم تربيةً صحيحةً، مبناها على المحبة والاحترام.

كم نسمع من بعض الآباء والمعلِّمين من يتعاضَّم خطأً سلوكيًا يقع فيه الولدُ، ويُحمِّل الأمرَ ما لا يحتمل، فيتسبَّب هذا العلاجُ في نظرهم بخطأٍ آخرَ أشدَّ منه، بل قد يتجاوز الأمرُ إلى أبعد من ذلك؟!!

يكفي في علاجنا أن نبيِّن الخطأَ بحكمةٍ، ونُعالِجه بما وضعه الشارعُ دون تجاوزٍ، ونُوجد بعد ذلك البديلَ، فما أكثرَ مَنْ يُعالج خطأً سلوكيًا هوَ من باب المروءاتِ وليس من الأمور المنهية شرعًا، ويجعله وكأنَّه قَتَلَ نَفْسًا، فيعالج هذا الخطأَ بالضربِ والتَهْكُمِ والاستهتارِ والتَّنَدُّرِ، ظانًّا أنه يُعالج هذا الخطأَ!

أيها الآباء والمعلِّمون! إن الشارعَ وضع لكلِّ خطأٍ ميزانًا، فلا يُتجاوزُ، ولهذا ذكر الله جَلَّ وَعَلَا بِمَنْ قُتِلَ له قَتِيلٌ أَنْ لَا يُسْرِفَ فِي الْقَتْلِ، بل يأخذُ بِقَدْرِ المظلِمةِ، فلا يتجاوزُ إلى غيره.

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٢٥٧).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَبْنِيْ أَقْمِرَ الصُّلُوَّةَ وَأْمُرًا بِالْمَعْرُوفِ وَآنَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧) وَلَا تُصْعِرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ [لقمان: ١٧ - ١٨].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تَعْظِيمًا لِّشَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: إِنَّ أَوَّلَ الرَّفْقِ مَا عَزَبَ عَنْ مَدِيرٍ أَوْ رَئِيسٍ إِلَّا أَصْبَحَتْ مَثُوبَتُهُ وَخِيَمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَلَا تُحِبُّ أَنْ يَرْفُقَ بِكَ النَّاسُ؟! فَارْفُقْ بِهِمْ، أَلَا تُحِبُّ أَنْ يَصْفَحَ عَنْكَ النَّاسُ؟! فَاصْفَحْ عَنْهُمْ، أَوْ مَا أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ابْتَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، وَقَالَ لَهُ: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

بَلْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ عِتَابًا عِنْدَمَا أَعْرَضَ عَنِ الْأَعْمَى، فَقَالَ لَهُ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَنِّي (٣) أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥)

فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْزُقَ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١٠﴾
[عبس: ١ - ١٠].

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»^(١).

وروى مسلم عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ»^(٢).

ولما أرسل نبينا محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ يَقُومَانِ مَقَامَهُ فِي الْيَمَنِ، وَلَهُمَا نَوْعٌ وَلايَةٌ أَوْصَاهُمَا بِالرَّفْقِ، فَقَالَ لَهَا - كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ -: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا»^(٣)، مَا أَعْظَمَهَا مِنْ وَصِيَّةٍ! فَكُلُّ مَسْئُولٍ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَشِيرَ أَصْلَ الرَّفْقِ.

فَخَطَأَ الْعَامِلَ الْبَازِلَ لَيْسَ كَخَطَأِ الْمَتَسَاهِلِ، وَخَطَأَ الْمُجْتَهِدَ لَيْسَ كَخَطَأِ الْقَاصِدِ، وَإِنِّي لَا نَصَحُ كُلَّ مَسْئُولٍ أَنْ يَتَذَكَّرَ مَا فَعَلَهُ مِسْطَحٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ غُلَامٌ كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ وَيُؤْوِيهِ، وَفِي ذَاتِ مَرَّةٍ تَكَلَّمَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِمَا لَيْسَ فِيهَا، فَحَلَفَ أَبُو بَكْرٍ أَلَّا يُنْفِقَ عَلَيْهِ^(٤)، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

(١) أخرجه البخاري (٦/٢٥٣٩، رقم ٦٥٢٨)، ومسلم (٤/١٧٠٦، رقم ٢١٦٥)

(٢) أخرجه مسلم (٤/٢٠٠٣، رقم ٢٥٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣/١١٠٤، رقم ٢٨٧٣)، ومسلم (٣/١٣٥٩، رقم ١٧٣٣).

(٤) أخرجه البخاري (٢/٩٤٢، رقم ٢٥١٨)، ومسلم (٤/٢١٢٩، رقم ٢٧٧٠).

فاسْتَشْعِرْ يَا مَنْ وَلَّاكَ اللَّهُ وَلَايَةً خَاصَّةً عَلَى عِبَادِهِ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَكَ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، والعرب تقول: «الرَّفْقُ يُمْنٌ»^(١).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: لَقَدْ اتَّفَقَتِ النُّظُمُ الْإِدَارِيَّةُ، وَتَطْوِيرُ الْكَفَاءَاتِ الْإِدَارِيَّةِ عَلَى أَنَّ الْمَدِيرَ النَّاجِحَ هُوَ مَنْ يَصْنَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُوظَّفِيهِ أَمَنَةً نَفْسِيَّةً، وَعِلَاقَةً حَمِيمَةً، يَشْعُرُ الْعَامِلُ مَعَهَا أَنَّ أَوَّلَ مُعِينٍ لَهُ بَعْدَ اللَّهِ هُوَ مُدِيرُهُ، لَا أَنْ يَكُونَ الْعَكْسُ.

دَعَكَ مِمَّنْ فَاحَ إِهْمَالُهُ، وَظَهَرَ عِنَادُهُ، بَعْدَ أَنْ حَاوَلْتَ إِصْلَاحَهُ، دَعَكَ مِنْ هَذَا، فَهَذَا خَارِجُ النُّطَاقِ نَحْنُ نَتَكَلَّمُ عَنْ عَامِلٍ لَدَيْهِ مِنَ الْجُهْدِ وَالنَّجَاحَاتِ الْكَبِيرَةِ، ثُمَّ تَكُونُ مَكَافَأَتُهُ أَحْسَنَ مَكَافَأَةٍ، وَأَبْخَسَهَا بِسَبَبِ زَلَّةٍ أَوْ هَفْوَةٍ أَوْ تَقْصِيرٍ.

وَإِنْ الْمَتَأَمِّلُ بِحَالِ هَؤُلَاءِ لَيَجِدُ أَنَّهُمْ بِفَعْلِهِمْ هَذَا يَنْتَصِرُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَإِلَّا فَحَقُّ الْأُخُوَّةِ وَالْوَلَاءِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ تَكُونَ ذَلِيلًا لَهُمْ، كَمَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، رَحِيمًا مَعَهُمْ كَمَا وَجَّهَكَ رَبُّكَ، ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، هَذِهِ صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ.

وَلْتَتَذَكَّرْ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا، وَهُوَ أَصَحُّ أَنَّهُمْ قَالُوا: «ادْرُؤُوا الْحُدُودَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنْ كَانَ لَهُ مَخْرَجٌ فَخَلُّوا سَبِيلَهُ؛ فَإِنَّ الْإِمَامَ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ»^(٢)، وَلَا تَظُنَّ أَنَّ الرَّفْقَ بِأَصْحَابِ النُّفُوسِ الْعَلِيَّةِ مَذَلَّةٌ، بَلْ

(١) روي مرفوعاً من حديث ابن مسعود، أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/٢٤٢، رقم ٤٠٨٧).

قال الهيثمي (٨/١٩): فيه المولى بن عرفان وهو متروك.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/٥١٢، رقم ٢٨٥٠٢) موقوفاً بنحوه، والترمذي (٤/٣٣، رقم

هو أكبر عقوبة، كما قال الأوَّل^(١):

تَرْفُقُ أَيُّهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ
فَإِنَّ الرَّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ

وقال الآخر^(٢):

أَحْسِنْ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَمَقْدِرَةٌ
فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِنْسَانِ إِمْكَانُ

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصحبه أجمعين، وارْضَ اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكرٍ وعُمَرُ وعُثْمَانُ وعليٌّ، وعن الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وعنَّا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحارِبين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا في أوطاننا، وأصلِحْ أئِمَّتَنَا ووَلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وفقهم لما

(١٤٢٤) مرفوعًا، وقال: يزيد بن زياد الدمشقي ضعيف، وذكر أنه روى مرفوعًا وموقوفًا والموقوف أصح. والحاكم (٤/٤٢٦، رقم ٨١٦٣) مرفوعًا، وقال: صحيح. وتعبه الذهبي قائلًا: قال النسائي: يزيد بن زياد شامي متروك. والبيهقي (٨/٢٣٨، رقم ١٦٨٣٤) مرفوعًا.

(١) البيت لأبي الطيب المتني، في ديوانه (١/٧٩).

(٢) البيت لأبي الفتح البستي، في قصيدة عنوان الحكم (ص ٣٨).

يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جميلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] ،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الصديق

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيَكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ؛ فَهِيَ وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

إخوتي في الله! وصف ربُّنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَالَ رَجُلَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمَا فِي حَوَارٍ عَجِيبٍ، فَبَيْنَمَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ وَحُبُورِهِمْ واجتماعهم وتنادمهم في مجالسهم، وهم جُلُوسٌ عَلَى الشُّرُرِ، وَالْخَدْمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَحَاوَرُونَ وَيَتَسَاءَلُونَ عَنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا، وَيَتَطَارِحُونَ الْحَدِيثَ عَنِ الْأُمُورِ الْمَاضِيَةِ، إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ: إِنِّي كَانَ لِي صَاحِبٌ وَصَدِيقٌ وَقَرِينٌ يُنْكِرُ الْبَعْثَ، وَيُلُومُنِي عَلَى تَصَدِيقِي بِهِ، وَيَقُولُ: ﴿أَءَنْتَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ﴾ (٥٢) أَذَا مَنَّائِمْ وَأَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْلَمًا أَئِنَّا الْمَدِينُونَ ﴿[الصفات: ٥٢ - ٥٣]، كَيْفَ تُصَدِّقُ أَنَّنَا مُحَاسِبُونَ وَمُجْزِيُونَ

بأعمالنا؟ كيف تصدق بهذا الأمر البعيد الذي هو غاية في الغرابة، فمن مات تمزّق وصار عظامًا، كيف تصدق هذا؟ فهذه قصتي مع هذا الصديق.

فدعاهم إلى الاطلاع عليه، ورؤيته، فلمّا نظروا إليه وهو في سواء الجحيم وغمراته، والعذاب الذي قد أحاط به، قال له صديقه من أهل الجنة: ﴿تَاللّٰهِ اِنْ كِدْتَ لَتُرْدِيَ﴾ [الصفات: ٥٦]، أي: لتُهْلِكَنِي بسبب ما أَدْخَلْتَ عَلَيَّ مِنَ الشُّبْهِ بزعمك، ولولا نعمة ربي لَكُنْتُ مُحْضَرًا معك في هذا العذاب، أين قولك لي وتكذيبك للبعث، ومحاولة إضلالي؟

أسمعتم أيها الإخوة هذا الحوار؟! لكأنّه يُلامس كثيرًا من علاقات بعض الناس وصدقاتهم.

كم هم الذين كانوا من رُؤَاد المساجد وعُمَارِها فتعرّف على صديق أهلكه، وما عرف المسجد بعدها؟!

كم من رجلٍ كان بَارًا بوالديه، فلمّا تعرّف على صديقٍ أو استراحةٍ عَقَّها، بل آذاها؟!

كم من شابٍّ أكل السمومَ من المخدّرات، وشرب الخمرَ والدُّخَانَ بسبب صديقٍ، وقد كان نظيفَ السُّمعةِ وحَسَنَها، وما كان يومًا يَظُنُّ أنه سيتناولها؟!

كم من فتاةٍ كان الحياءُ هَذِيها وسَمَتَها، وبعد صديقةٍ جرّتها إلى الرذيلة وإلى العار؟!

إننا وللأسف الشديد نتهاون في أمر الخُلُطَةِ والمجالسة والعلاقات

الشخصية كثيرًا، باسم الاستطاعة على سيطرة السلوك، وباسم كمال العقل، ولا يكثر البعض أن يجالس ويصاحب ويسافر في سياحة مع من لا تنفع صداقته.

كم تتساهل في الذهاب إلى الاستراحة مع مجموعة فيها أنواع من الشرور، متوهمًا أن التأثير لا يكون إلا من الصغار والأحداث، وهذا الفهم مغلوط، فالتأثير يحدث دون شعور للمرء ولو كان كبيرًا، إذ لو كان المناط الكبير والصغير لأصبح أكثر الناس على خير إذا كبروا، وإنما هو أثر الجليس لا يسلم منه أحد، ومن مقل ومُستكثر.

أوليس النبي صلى الله عليه وسلم وصف جليس السوء بنافخ الكير، فهو إما أن يؤثر عليك بأثر تشاهده وتشعر به، وذلك بأن يحرق ثيابك، أو يؤثر عليك تأثيرًا غير مباشر وذلك برأئحته^(١)، ومع هذا يظل صاحب الثوب المحترق على صداقته مع مشاهدة أثره، وهكذا في الجليس الصالح، والصاحب صاحب.

ألا ليت الرجال والنساء يهتمون بصداقتهم وعلاقتهم، فربنا يقول: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (٢٧) ﴿يُنَادِي تَتَنَبَّأُ لَمْ أَخَذْ فَلَنَا خَلِيلًا﴾ (٢٨) ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]، وقال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، بينما تأمل حال الصداقة التي قامت على

(١) أخرجه البخاري (٥/٢١٠٤، رقم ٥٢١٤)، ومسلم (٤/٢٠٢٦، رقم ٢٦٢٨).

تقوى ورضوان، فقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمِ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»^(١)، وما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي السَّبْعَةِ الَّذِينَ يَظْلُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: «رَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ»^(٢)، هذه ثمرة الصداقة الحقيقية.

ومن ثمراتها محبة الله لك، كما جاء ذلك في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تَرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْبَبَكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»^(٣).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾^(١٦) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ^(١٧) إِذْ سَأَلْتُم مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ^(١٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ^(١٩) فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ^(٢٠) وَلَا صِدِّيقِينَ^(٢١) [الشعراء: ٩٦ - ١٠١].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩٨٨، رقم ٢٥٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (١/٢٣٤، رقم ٦٢٩)، ومسلم (٢/٧١٥، رقم ١٠٣١).

(٣) أخرجه مسلم (٤/١٩٨٨، رقم ٢٥٦٧).

المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكْرُ على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله؛ تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى جنّته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوّانه. أمّا بعدُ:

مَعَشَرُ الإِخْوَةِ:

وتبقى ظاهرة الاستراحات في وقتنا مُفْتَرَقًا للطرق في حياة الشباب، إما إلى خير، وإما إلى شرٍّ، وللأسف الكبير أن الكثير يظن أنها جلسة واحدة في الأسبوع، قد لا تُغيّر في السلوك ولا الذات ولا التصورات شيئاً، وهذا تسطيحٌ شديدٌ لتأثير الجلساء.

وتأمل قصة تأثر النساء المهاجرات، ومنهن أزواج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنساء الأنصار، كما جاء في صحيح البخاري، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كُنَّا مَعَشَرُ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الْأَنْصَارِ إِذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ، فَصَحْتُ عَلَى امْرَأَتِي فَرَاغَعْتَنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ: وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ؟! فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيرَاجِعْنَهُ، وَإِنْ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ، فَأَفْرَعَنِي، فَقُلْتُ: خَابَتْ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ بَعْظِيمٌ، ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: أَيُّ حَفْصَةَ

أَغَاظِبُ إِحْدَاكُنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ. فَقُلْتُ: خَابَتْ وَخَسِرَتْ، أَفَتَأْمَنُ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ لِيغْضِبَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَهْلِكِينَ؟! لَا تَسْتَكْثِرِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلَا تُرَاجِعِيهِ فِي شَيْءٍ، وَلَا تَهْجُرِيهِ، وَاسْأَلِيْنِي مَا بَدَا لَكَ، وَلَا يَغُرَّنَّكَ أَنْ كَانَتْ جَارُتُكَ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكَ وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ عَائِشَةَ ^(١).

والشاهد من الحديث تأثر نساء المهاجرين بأدب نساء الأنصار، فبعد أن كُنَّ لَا يُرَاجِعْنَ أَزْوَاجَهُنَّ فِي مَكَّةَ أَصْبَحْنَ يَرَاجِعُهُنَّ فِي الْمَدِينَةِ؛ لِأَنَّهُنَّ جَالِسْنَ نِسَاءَ الْأَنْصَارِ.

وقد أمر الله نبيه محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يُصَبِّرَ نَفْسَهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْ يَلْزِمَهُمْ، وَأَنْ يَتْرِكَ الْغَافِلِينَ وَيُجَانِبَهُمْ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، فَإِذَا كَانَ هَذَا التَّوْجِيهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ اكْتِمَالِ عَقْلِهِ، وَتَعْظِيمِهِ لِرَبِّهِ، وَلَهُ مِنَ الْمُبَرَّرَاتِ وَالْحَيْثِيَّاتِ مَا قَدْ يَتَعَلَّقُ بِهِ مَنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى مَنْزِلَتِهِ، فَكَيْفَ بِحَالِ مَنْ كَانَ سَبَبُ عِلَاقَتِهِ أَمْرًا مُحَرَّمًا، أَوْ خَارِجًا لِمُرُوءَتِهِ وَشَخْصِيَّتِهِ.

إِنْ مَعَايِيرُ الصَّدِيقِ بِالنِّسْبَةِ لكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَخَاصَّةً الشَّبَابِ وَالْفَتَيَاتِ، تَدُورُ عَلَى أُمُورٍ تَافِهَةٍ، لَيْسَتْ بِذَاتِ قِيَمَةٍ عَالِيَةٍ سَامِيَةٍ، فَبَيْنَمَا كَانَ اخْتِيَارُ الصَّدِيقِ بِالْمَحَلِّ الَّذِي تَعْلَمُونَ أَصْبَحَ عِنْدَ الْبَعْضِ مِنْ أَسْهَلِ الْقَرَارَاتِ وَأَسْرَعِهَا، وَلِهَذَا لَا تَعْجَبُ عِنْدَمَا تَرَى مَعَ هَذَا الشَّابِّ كُلِّ يَوْمٍ صَدِيقًا، فَلَعَلَّهُ

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٧٤، رقم ٢٣٣٦).

يُصَاحِبُهُ أَسْبُوعًا أَوْ شَهْرًا، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى غَيْرِهِ، وَالْبَعْضُ يَجْلِسُ فِي هَذِهِ
الْإِسْتِرَاحَةِ شَهْرًا، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى أُخْرَى، وَكَأَنَّهُ يُغَيِّرُ الْفَنْدُقَ دُونَ مِرَاعَاةِ
لِصِفَاتِ سُكَّانِهَا.

وَأَمَّا الْقَاصِمَةُ الَّتِي لَا قَائِمَةَ بَعْدَهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ هُوَ أَنْ لَا يَكُونَ
الشَّابُّ أَوْ الْفَتَاةُ بِاسْتِطَاعَتِهِمَا أَنْ يَتَّخِذَ قَرَارًا فِي الْهَرُوبِ مِنْ هَذَا الصَّاحِبِ،
إِمَّا لِكَوْنِهِ قَدْ تَوَرَّطَ بِشَيْءٍ يَجْعَلُهُ أَسِيرًا أَمَامَ هَذَا الصَّاحِبِ، لَا يَسْتَطِيعُ الْفِكَاكُ
مِنْهُ لِأَسْبَابٍ لَا تَخْفَى، وَمَا ظَاهِرَةُ الْإِبْتِرَازِ عِنَا بِيَعِيدٍ، وَمَعَ انْتِشَارِهَا إِلَّا أَنْ
كَثِيرًا مِنَ الْآبَاءِ لَا زَالٍ فِي سُبَاتِهِ، وَلَا زَالٍ يَعِيشُ الْمَاضِيَ بِكَوْنِ الْبِنْتِ مَا دَامَتْ
لَا تَخْرُجُ إِلَى الشَّارِعِ وَالْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا بِمَنْأَى عَنِ الشَّرِّ، وَمَا عَلِمَ الْمَسْكِينُ أَنَّ
وَسَائِلَ الشَّرِّ فِي كُلِّ مَكَانٍ فِي بَيْتِهِ وَخَارِجَهُ، وَلَا بُدَّ لِلَّامِّ أَنْ تَكُونَ مَتِيقِظَةً عَلَى
قَدْرِ الْمَسْئُولِيَّةِ، وَأَنْ نَقْتَرِبَ مِنْ بَنَاتِهَا وَتُصَارِحَهُنَّ بِمَا تَخَافُ عَلَيْهِنَّ مِنْهُ،
وَبِالشَّرُورِ وَالْأَسَالِيبِ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا ذَنَابُ الْبَشَرِ فِي الْإِيقَاعِ بِهِنَّ، وَمَنْ ابْتُلِيَ
بِمِثْلِ هَذَا. فَلِمَاذَا يَظُلُّ تَحْتَ رَحْمَةِ هَذَا الْأَيْثِمِ، يَنْتَظِرُ مِنْهُ رَحْمَةً يَفْتَقِدُهَا،
وَلَيْسَتْ فِي قَوَامِيسِهِ؟! وَإِلَى مَتَى سَتَظُلُّ فِي دَوَامَةِ الْخَطَا، هَلْ تُعَالِجُ الْخَطَا
بِالْخَطَا حِينَمَا مَلَكَتِ الْقُدْرَةَ وَالْجُرْأَةَ بَارْتِكَابِ الْخَطَا، عَلَيْكَ أَنْ تَمْلِكَهَا بَلْ أَشَدَّ
مِنْهَا لِتُصَحِّحَ الْخَطَا وَتُعَدِّلَ الْمَسَارَ.

ابْدَأْ بِتُصْحِيحِ مَسَارِكَ، وَلَكَ أَلْفُ طَرِيقَةٍ لِلْعِلَاجِ، وَلَكِنْ ابْدَأْ التَّفَكِيرَ
بِالشَّكْلِ الصَّحِيحِ، وَذَلِكَ بِاسْتِشَارَةِ الْعُقَلَاءِ، وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ الثَّقَاتِ.

وإنَّ مِنْ أَهَمِّ وَسَائِلِ الْعِلَاجِ هُوَ الْمَفَارِقَةُ وَالْإِبْتِعَادُ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْلَمَ
الْإِنْسَانُ مِنْ شُرُورِ أَهْلِ الْفَسَادِ إِلَّا بِالْإِبْتِعَادِ عَنْهُمْ، وَلَنَا فِي قِصَّةِ الرَّجُلِ الَّذِي

قتل تسعة وتسعين نفساً مثأل قائم، كما جاء ذلك في الصحيحين، فقد قال للعالم فهل: له من توبة؟ فقال: «نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أناساً يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء»^(١)، فالابتعاد عن أصدقاء السوء الذين أضلوك هو الطريق الصحيحة للتخلص منهم.

أيها الآباء والأمهات! نحن في زمنٍ لم يمر عليكم ظروفه وتداعياته، لا بد أن تتعرفوا على أصدقاء أولادكم وبناتكم؛ فالغفلة في هذا الوقت والثقة المفرطة أم المصائب، الجؤوا إلى الله بالدعاء بأن يُصلح ذريّاتكم، وقوموا بالأسباب الواجبة من متابعة ومناصحة وتثقيف وتوعية، فهُم بحاجة إلى توجيهاتكم ونصائحكم، فلا تتركوهم.

ثم صلّوا وسلّموا على رسول الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال جلّ وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلّ وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارزّ اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليّ، وعن الصحابة أجمعين، وعنّا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٨٠، رقم ٣٢٨٣)، ومسلم (٤/ ٢١١٩، رقم ٢٧٦٦).

باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضال المسلمين، اللهم ردهم إليك ردًا جميلًا، اللهم ارفع ما نزل من الفتن، اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



العين حق

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله - أيها المسلمون - حَقَّ تَقَاتِهِ، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: لما أَرْسَلَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْلَادَهُ إِلَى مِصْرَ، وَمَعَهُمْ شَقِيقُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَجْلِ الْمِيرَةِ وَالْحَصُولِ عَلَى الطَّعَامِ، وَكَانُوا فِي فِلِسْطِينَ قَدْ أَصَابَهُمُ الْجَدْبُ وَالْفَقْرُ، بَيْنَمَا فِي مِصْرَ حِينَمَا تَوَلَّى يُوسُفُ خَزَائِنَ الْأَرْضِ دَبَّرَهَا أَحْسَنَ تَدْبِيرٍ، فَزَرَعَ فِي أَرْضِ مِصْرَ جَمِيعَهَا فِي السِّنِينَ الْخَصْبَةِ، زُرُوعًا هَائِلَةً، وَاتَّخَذَ لَهَا الْمَحَلَّاتِ الْكِبَارَ، وَجَبَا مِنْ الْأَطْعِمَةِ شَيْئًا كَثِيرًا وَحَفِظَهُ، وَضَبَطَهُ ضَبْطًا تَامًا.

لَمَّا أَرَادُوا أَنْ يُسَافِرُوا قَالَ لَهُمْ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَوْصَاهُمْ إِذَا هُمْ قَدِمُوا مِصْرَ، أَنْ ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف: ٦٧]؛

وَذَلِكَ أَنَّهُ خَافَ عَلَيْهِمُ الْعَيْنَ؛ لِكَثْرَتِهِمْ وَبَهَاءِ مَنْظَرِهِمْ؛ لِكُونِهِمْ أَبْنَاءَ رَجُلٍ وَاحِدٍ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهَا: «لَمَّا عَزَمُوا عَلَى الْخُرُوجِ خَشِيَ عَلَيْهِمُ الْعَيْنَ، فَأَمَرَهُمْ أَلَّا يَدْخُلُوا مِصْرَ مِنْ بَابٍ، وَكَانَتْ مِصْرُهَا أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ، وَإِنَّمَا خَافَ عَلَيْهِمُ الْعَيْنَ لِكُونِهِمْ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا لِرَجُلٍ وَاحِدٍ، وَكَانُوا أَهْلَ جَمَالٍ وَبَسْطَةٍ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُهُمْ»^(١).

إِصَابَةُ الْعَيْنِ أَوْ النَّظَرَةُ هِيَ نَظَرٌ بِاسْتِحْسَانٍ، مَشُوبٌ بِحَسَدٍ، مِنْ خَبِيثِ الطَّبْعِ، يَحْصُلُ لِلْمَنْظُورِ مِنْهُ ضَرَرٌ، وَقَدْ حَاوَلَ كُفَّارُ مَكَّةَ أَنْ يُصِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعَيْنِ، لَكِنَّ اللَّهَ حَمَاهُ وَوَقَاهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١].

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهَا: «أَخْبَرَ بِشِدَّةِ عداوتِهِمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَرَادُوا أَنْ يُصِيبُوهُ بِالْعَيْنِ»^(٢).

وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْعَيْنِ، وَأَنَّهَا حَقٌّ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الْعَيْنُ حَقٌّ»^(٣)، وَزَادَ أَحَدُ فِي مَسْنَدِهِ: «وَيَخْضُرُهَا الشَّيْطَانُ، وَحَسَدُ ابْنِ آدَمَ»^(٤).

(١) تفسير القرطبي (٩ / ٢٢٦).

(٢) تفسير القرطبي (١٨ / ٢٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥ / ٢١٦٧، رقم ٥٤٠٨)، ومسلم (٤ / ١٧١٩، رقم ٢١٨٧).

(٤) أحمد (٢ / ٢٣٩)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (المجمع ٥ / ١١٠).

قال ابن حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَدْ أَشْكِلَ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ، فَقَالَ: كَيْفَ تَعْمَلُ الْعَيْنُ مِنْ بُعْدٍ حَتَّى يَحْصُلَ الضَّرَرُ لِلْمَعْيُونِ؟ وَالْجَوَابُ: أَنَّ طَبَائِعَ النَّاسِ تَخْتَلِفُ، فَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ سُمْ يَصِلُ مِنْ عَيْنِ الْعَائِنِ فِي الْهَوَاءِ إِلَى بَدَنِ الْمَعْيُونِ»^(١).

إِذَنْ الْعَيْنُ لَا تَخْرُجُ إِلَّا مِنْ نَفْسٍ مَرِيضَةٍ ظَالِمَةٍ حَاقِدَةٍ، لَا تَظُنُّ أَنَّكَ لَمْ تَقْتُلْ مَا دُمْتَ لَمْ تُزْهِقْ نَفْسًا بِسَكِّينٍ أَوْ سِلَاحٍ، وَأَنْتَ قَدْ قَتَلْتَ أَنْفُسًا بِحَسَدِكَ وَعَيْنِكَ.

كَمْ قَتِيلٍ لِهَؤُلَاءِ سَيَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُتَعَلِّقِينَ بِرَقَبَةِ هَؤُلَاءِ الْحَسَدَةِ؟!

كَمْ شَتَّتَ هَذَا الْحَاسِدُ مِنْ أُسْرَةٍ؟!

كَمْ أَفْقَدَ مِنْ وَلَدٍ؟!

كَمْ أَبَادَ مِنْ ثُرْوَةٍ؟!

كَمْ أَوْجَعَ فِي الْمَصِيبَةِ؟!

وَالْمَشْكِلَةُ أَنَّهُ لَا يَشْعُرُ بِمَا أَوْجَعَ، رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، قَالَ: رَأَى عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ يَغْتَسِلُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مُجَبَّأَةٍ عِذْرَاءٍ؛ قَالَ: فَلَبِطَ سَهْلٌ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامِرًا، فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ أَلَا بَرَكْتَ، اغْتَسَلَ لَهُ»؛ فَغَسَلَ لَهُ عَامِرٌ وَجْهَهُ، وَيَدَيْهِ،

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٢٠٠).

وَمَرْفَقَيْهِ، وَرُكْبَتَيْهِ، وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ، وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ صَبَّ عَلَيْهِ، فَرَّاحَ مَعَ النَّاسِ ^(١).

فَتَأَمَّلْ قَوْلَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟».

فَيَا اللَّهَ! كَمْ قَتِيلٍ لَمْ يُعْرِفْ أَنَّهُ مَقْتُولٌ!؟

وَكَمْ قَاتِلٍ لَا يَدْرِي أَنَّهُ قَاتِلٌ، حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمُ الْوَعِيدِ، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧]!؟

بَلِ الْمَصِيبَةُ وَالرَّزِيَّةُ جِينًا يَتَنَدَّرُ أَصْحَابُ الْقُلُوبِ الْمَرِضَةِ بِهَا افْتَرَقُوهُ وَفَعَلُوهُ، وَتَبَجَّحُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ، بَلْ وَيُهَدِّدُونَ، فَهَذَا وَاللَّهِ الْخُسْرَانُ الْمَبِينُ، وَالظُّلْمُ الْكَبِيرُ.

لَقَدْ أَمَرَ رَسُولُنَا الْكَرِيمُ -عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَآتَمُّ التَّسْلِيمِ- الْعَائِنِينَ خَاصَّةً وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ بِالتَّبَرُّكِ، إِذَا رَأَوْا شَيْئًا أَعْجَبَهُمْ، سِوَاءُ كَانَ هَذَا الشَّيْءُ هُمْ أَوْ لِغَيْرِهِمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ، وَسِوَاءُ الَّذِينَ عُرِفُوا بِالْعَيْنِ وَالَّذِينَ لَمْ يُعْرِفُوا بِهَا، وَسِوَاءُ كَانَ الْمُرْتَبِيُّ الْمُعْجَبُ نَفْسًا أَوْ مَالًا.

أَلَمْ يَقُلِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ: «هَلَّا بَرَّكَتَ»، قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنْبَغِي لِكُلِّ مَنْ دَخَلَ مَنْزِلُهُ أَنْ يَقُولَ: مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» ^(٢)، قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ: «وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَعْجَبَهُ

(١) أخرجه مالك (٩٣٨/٢)، رقم (١٦٧٨)، وأحمد (٤٨٦/٣)، رقم (١٦٠٢٣) قال الهيثمي

(١٠٧/٥): رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح وفي أسانيد الطبراني ضعف.

وابن حبان (٤٦٩/١٣)، رقم (٦١٠٥)، والحاكم (٤٦٥/٣)، رقم (٥٧٤٢): وقال هذه

الزيادات في الحديثين جميعا مما لم يخرجاه.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢٣٣).

شيءٌ أَنْ يُبْرَكَ، فَإِنَّهُ إِذَا دَعَا بِالْبَرَكَةِ صُرِفَ الْمَحْذُورُ لَا مُحَالَةً، أَلَا تَرَى قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَلَا بَرَكْتُ»، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْعَيْنَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَعْدُو إِذَا بَرَّكَ الْعَائِنُ، وَأَنَّهَا تَعْدُو إِذَا لَمْ يُبْرَكَ، وَالتَّبْرِيكُ أَنْ يَقُولَ: تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ»^(١).

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِذَا كَانَ الْعَائِنُ يَخْشَى ضَرَرَ عَيْنِهِ، وَإِصَابَتَهَا لِلْمَعِينِ، فَلْيَدْفَعْ شَرَّهَا بِقَوْلِهِ: اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَيْهِ»^(٢).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَاءٍ لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ﴾ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿[غافر: ١٨ - ١٩].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُّوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تَعْظِيمًا لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

(١) تفسير القرطبي (٩ / ٢٢٧).

(٢) زاد المعاد (٤ / ١٥٦).

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْحَسَدُ مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ النَّفْسِ، وَهُوَ مَرَضٌ غَالِبٌ، فَلَا يَخْلُصُ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ؛ وَلِهَذَا يُقَالُ: مَا خَلَا جَسَدٌ مِنْ حَسَدٍ، لَكِنَّ اللَّيْمَ يُبْدِيهِ وَالْكَرِيمَ يُخْفِيهِ، وَقَدْ قِيلَ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: أَيَحْسَدُ الْمُؤْمِنُ؟ فَقَالَ: مَا أَنْسَاكَ إِخْوَةُ يُوسُفَ، لَا أَبَا لَكَ! وَلَكِنْ عَمَهُ فِي صَدْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ مَا لَمْ تَعُدْ بِهِ يَدًا وَلِسَانًا. فَمَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ حَسَدًا لِغَيْرِهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعْمَلَ مَعَ التَّقْوَى وَالصَّبْرِ، فَيَكْرِهَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ»^(١).

وَقَدْ جَاءَتْ آثَارٌ صَحَّحَهَا بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَكْثَرُ مَنْ يَمُوتُ مِنْ أُمَّتِي بَعْدَ قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ بِالْعَيْنِ»^(٢)، كَمَا عِنْدَ الْبَزَارِ وَغَيْرِهِ؛ وَلِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ يَقُولُ: «أُعِيدُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»^(٣)، وَيَقُولُ: «هَكَذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُعَوِّذُ إِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ»^(٤).

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١٢٥).

(٢) أخرجه الطيالسي (ص ٢٤٢، رقم ١٧٦٠)، والبخاري في التاريخ الكبير (٤/٣٦٠)، والحكيم (٣/٤٦)، والبخاري في كشف الأستار (٣/٤٠٣، رقم ٣٠٥٢). قال الهيثمي (٥/١٠٦): رجاله رجال الصحيح خلا طالب بن حبيب بن عمرو وهو ثقة. والدليلي (١/٣٦٤، رقم ١٤٦٧)، وابن أبي عاصم (١/١٣٦، رقم ٣١١). قال الحافظ في الفتح (١٠/٢٠٠): رواه البزار بسند حسن.

(٣) أخرجه البخاري (٣/١٢٣٣، رقم ٣١٩١).

(٤) أخرجه أحمد (١/٢٧٠، رقم ٢٤٣٤)، والنسائي في سننه الكبرى (٦/٢٥٠، رقم ١٠٨٤٤).

وَمَا أَكْثَرَ الْغَفْلَةَ فِي هَذَا؟! فَإِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ هَذَيْنِ الطَّاهِرَيْنِ وَفِي بَيْتٍ طَاهِرٍ، وَفِي مَجْتَمَعٍ طَاهِرٍ، فَمَا بِالْكَ بَوْقِنَا؟! بَلْ إِنَّ الصَّغَارَ - كَمَا قَرَّرَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ - تُسْرِعُ إِلَيْهِمُ النَّظَرَةَ وَالْعَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِمْ؛ مُسْتَدْلِلِينَ بِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، قَالَ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: «مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً تُصِيبُهُمُ الْحَاجَةُ». قَالَتْ: لَا، وَلَكِنَّ الْعَيْنَ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ. قَالَ: «ارْقِيهِمْ». قَالَتْ: فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «ارْقِيهِمْ»^(١)، فَتَأَمَّلْ قَوْلَهَا: «قَالَتْ: لَا وَلَكِنَّ الْعَيْنَ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ».

وَلِهَذَا شَرِعَتِ الْأَذْكَارُ وَالْأَوْرَادُ الَّتِي تَحْمِي بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ هَذَا الدَّاءِ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ، فَيَجْتَهِدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعِيدَ نَفْسَهُ وَأَوْلَادَهُ وَوَالِدَيْهِ وَزَوْجَهُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ، وَلَا يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونُوا عِنْدَهُ؛ فَالتَّعْوِذُ دُعَاءُ اللَّهِ، وَاسْتِعَانَةٌ بِهِ.

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ مِنَ الشَّيَاطِينِ مَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ لَهُ عَدَلٌ عَشْرَ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَوُحِّيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمِيتَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»^(٢)، أَيُّ فَضْلٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا! غَنِيمَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، وَعَدْلٌ عَشْرَ رِقَابٍ.

(١) أخرجه مسلم (٤/١٧٢٦، رقم ٢١٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣/١١٩٨، رقم ٣١١٩)، ومسلم (٤/٢٠٧١، رقم ٢٦٩١).

وختامًا - أيُّهَا الْإِخْوَةُ -: فَإِنَّ كَوْنَ الْعَيْنِ حَقًّا، أَمْرٌ ثَابِتٌ شَرْعًا وَوَاقِعًا وَعَقْلًا، وَحِينَمَا تَظْهَرُ أَمَامَنَا هَذِهِ الْحَقِيقَةُ جَلِيلَةٌ، فَإِنَّ مِنَ الْأَخْطَاءِ الشَّائِعَةِ، وَالْبَلَايَا الْمَعْقَدَةِ أَنْ يُصْبِحَ الْمَرَضُ بِالْعَيْنِ شَبَحًا مُرَوِّعًا، أَوْ هَاجِسًا مُتَدَلِّيًا إِلَى الدَّهْنِ عِنْدَ كُلِّ وَخْزَةٍ أَلَمٍ، أَوْ نَكْسَةٍ نَفْسٍ، حَتَّى يَصِلَ الْأَمْرُ بِذَلِكَ إِلَى دَرَجَةِ الْوَهْمِ لَدَى النَّاسِ، فَإِذَا مَا عَطَسَ امْرُؤٌ قَالُوا: هَذِهِ عَيْنٌ، وَإِذَا أَخَذَتْهُ سَعْلَةٌ قَالُوا: إِنَّهَا الْعَيْنُ، وَإِذَا مَا أُصِيبَ أَوْ ابْتُلِيَ قَالُوا: يَا لَهَا مِنْ عَيْنٍ!

حَتَّى لَقَدْ أَخَذَ الْوَهْمُ مِنَ الْبَعْضِ مَأْخَذَهُ، يَمْشِي وَأَمَامَهُ الْعَيْنُ، وَيَنَامُ كَذَلِكَ وَيُصْبِحُ كَذَلِكَ، وَهَذَا هُوَ الدَّاءُ الْعُضَالُ؛ إِذْ لَا يَزِيدُهُ الْوَهْمُ إِلَّا وَهْنًا.

وَأَوْجُهُ نَصِيحَةٌ إِلَى مَنْ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ حَسَدًا وَشَحًّا يَغْلِبَانِيهِ، بِأَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ، وَأَنْ يَخَافَ لِقَاءَهُ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ حُقُوقَ الْعِبَادِ لَا تَضِيعُ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيَقْتَصُّ لِلْمَظْلُومِ فِي يَوْمِ تَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الرَّحْمَةِ، فَاثْبِتْهُ لِنَفْسِكَ، وَعَوِّذْ نَفْسَكَ عَلَى التَّبَرُّكِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ

في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عدداً.

اللهم آمناً في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضال المسلمين، اللهم رُدِّهم إليك ردّاً جميلاً، اللهم ارفع ما نزل من الفتن، اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الغيبة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَرَاقِبُوهُ، ﴿قُلْ إِنَّ الْخَيْرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (١٥) لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ، يَعْبَادُونَ ﴿الزمر: ١٥ - ١٦﴾.

إِخْوَتِي فِي اللَّهِ: قَدْ يَكُونُ كُلُّ مَنَا مَرَّةً عَلَى حَيَوَانٍ مَيِّتٍ، وَرَأَى شَكْلًا مُقَرَّرًا، وَوَجَدَ رَائِحَةً نَبْتَةً لَا تُطَاقُ، بَلْ لَعَلَّهُ لَا يُعِيدُ النَّظَرَ إِلَيْهَا مِمَّا يَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ قُبْحِ الْمَنْظَرِ، مَعَ أَنَّ جِسْمَهُ مُسْتَوْرٌ بِجِلْدٍ، لَا يَرَى الْأَبْشَعُ فِيهِ، فَكَيْفَ بِكَ إِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا مَيِّتًا مُتْنِنًا، قَدْ تَغَيَّرَ جِلْدُهُ، وَتَهَالَكَ لَحْمُهُ، وَأَتْنَنْتَ رَائِحَتُهُ؟! يَتَفَقَّ الْجَمِيعُ أَنَّ هَذَا الْمَشْهَدَ أَشَدُّ قُبْحًا مِنْ سَابِقِهِ.

فَلَوْ قِيلَ لَكَ: ادْخُلْ لِتَرَاهُ فَقَطْ، لَمَا دَخَلْتَ. فَكَيْفَ بِكَ إِذَا قِيلَ لَكَ: ادْخُلْ عَلَيْهِ لِتَأْكُلَهُ؟! كَيْفَ تَأْكُلُ جِيفَةَ إِنْسَانٍ مُتْنِنَةٍ؟! فَالْمَيْتَةُ حَرَامٌ أَكْلُهَا بِالْإِجْمَاعِ، وَأَشَدُّ مِنْهَا أَكْلُ لَحْمِ الْإِنْسَانِ.

سُبْحَانَ اللَّهِ، يَقِفُ الْمُؤْمِنُ حَائِرًا أَمَامَ هَذَا الْمَشْهَدِ حِينَمَا جَعَلَ اللَّهُ أَكْلَ جِيفَةِ الْإِنْسَانِ بِبَشَاعَتِهَا مُسَاوِيَةً لِغَيْبَتِهِ، وَالتَّحَدُّثُ عَنْهُ مِنْ خَلْفِهِ بِهَا يَكْرَهُ، فَكَمَا نُنْذِرُكَ بِبَشَاعَةِ أَكْلِ جِيفَةِ الْإِنْسَانِ، عَلَيْنَا تَمَامًا أَنْ نُذَرِكَ بِبَشَاعَةِ التَّحَدُّثِ عَنْهُ بِهَا يَكْرَهُ فِي غَيْبَتِهِ.

تَأْمَلُوا قَوْلَ اللَّهِ -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

فِي هَذِهِ الْآيَةِ نَهْيٌ عَنْ ثَلَاثٍ، الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ هُمَا مُقَدِّمَاتٌ لِلثَّلَاثَةِ، فَهِيَ عَنْ إِسَاءَةِ الظَّنِّ أَوَّلًا؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَسَاءَ الظَّنَّ سَيَتَجَسَّسُ وَسَيَتَحَسَّسُ، وَيَسْأَلُ عَنِ الْعُيُوبِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَبْدَأُ بِالتَّكَلُّمِ بِهَا، قَالَ ابْنُ وَهْبٍ -كَمَا عِنْدَ الطَّبْرِيِّ-: «حَتَّى أَنْظُرَ فِي ذَلِكَ وَأَسْأَلَ عَنْهُ، حَتَّى أَعْرِفَ حَقُّهُ هُوَ، أَمْ بَاطِلٌ؟» قَالَ: فَسَمَاهُ اللَّهُ تَجَسُّسًا، قَالَ: يَتَجَسَّسُ كَمَا يَتَجَسَّسُ الْكِلَابُ^(١)، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَغْتَابَ الْمُؤْمِنَ بِشَيْءٍ، كَمَا حَرَّمَ الْمَيْتَةَ»^(٢).

وَعَنْ قَتَادَةَ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ «كَمَا أَنْتَ كَارِيهِ لَوْ وَجَدْتَ جِيفَةً مُدَوَّدَةً أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا، فَكَذَلِكَ فَكَرَهُ غَيْبَتُهُ وَهُوَ حَيٌّ»^(٣).

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٠٥).

(٢) السابق (٢٢/ ٣٠٨).

(٣) السابق.

لَا تَعْجَبْ - أَيُّهَا الْمُبَارَكُ - أَنْ تَصِلَ حُرْمَةُ الْغَيْبَةِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ مِنَ الْجُرْمِ؛ فَأَعْرَاضُ الْمُسْلِمِينَ مُحَرَّمَةٌ، وَالْمُؤْمِنُ مُعْظَمٌ عِنْدَ اللَّهِ.

وقد فسر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغَيْبَةَ كَمَا رَوَى ذَلِكَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»، قيل: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ، قال: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ»^(١). وَهَذَا حَدٌّ ظَاهِرٌ وَوَاضِحٌ، كُلُّ حَدِيثٍ عَنْ أَخِيكَ يَكْرَهُ أَنْ تَذْكُرَهُ بِهِ مِنْ خَلْفِهِ فَهِيَ غَيْبَةٌ مُحَرَّمَةٌ.

بل تأمل الْعُقُوبَةَ الشَّدِيدَةَ فِي الدُّنْيَا، كَمَا رَوَى ذَلِكَ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ، مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنْ نَبِيِّنَا أَنَّهُ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ، وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ»^(٢)، وَأَمَّا عُقُوبَتُهُ فِي الْآخِرَةِ فَقَدْ رَوَى أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَأَحْمَدُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي عَزَّجَلَّ يَعْنِي إِلَى السَّمَاءِ - مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٠١، رقم ٢٥٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/٣٧٨، رقم ٢٠٣٢) وقال: حسن غريب.

(٣) أخرجه أحمد (٣/٢٢٤، رقم ١٣٣٦٤)، وأبو داود (٤/٢٧٠، رقم ٤٨٧٨).

قال الحسن رحمه الله: «والله للغيبة أسرع في دين الرجل من الأكلة في الجسد»^(١).

عجباً لمن ينتسب لأهل الحق والإيمان، كيف يركب مركب الغيبة، وقد علم أن المبتلى بها ذو قلب متقلب وفؤاد مظلم، انطوى على بغض الخلق، وكراهية الخير، لا يعنيه نفع نفسه بقدر ما يعنيه ضرر غيره، راحته وهناؤه أن يرى النعمة عن أخيه زائلة، والمحنة فيه واقعة، يسره أن يرى الخير عن أخيه ممنوعاً، والمصائب به نازلة.

هذا المبتلى غيظه وعمه أن يصيبك خير، أو يحالفك توفيق، أو يتيسر لك رزق، أو يجري على يدك نفع.

قلب مؤتفك مريض، يحسد في السراء، ويشمت في الضراء، على الهمم مقيم، وللحقد ملازم، تسوؤه المسرة، وتسره المساءة، غل وحقد وضغينة، أسماء مترادفة في عداوة متمكنة، يمتلئ بها صدر صاحبها، ويربص بها الفرص؛ لينفت سُمومته، ويرمي سهامه.

هل من شأن المؤمن أن ينطوي على كل هذه الضغينة لأخيه؟! وكأنه يأنس بخذلانه ووصول النعمة إليه، ولا تخطر له أخوة الإيمان ببال!!

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بها فيه من الآيات

والذكر الحكيم، أقول ما سمِعْتُمْ، وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئةٍ، فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله على إحسانه، والشُّكْرُ على توفيقه وامتنانه، وأشهدُ أن لا إله إلا الله؛ تعظيماً لشانه، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، الدَّاعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.
أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: ذُو الْغَيْبَةِ ذَلِقُ اللِّسَانِ، صَفِيقُ الْوَجْهِ، لَا يَحْجِزُهُ عَنِ الْاِغْتِيَابِ إِيْمَانٌ، وَلَا تَحْفَظُهُ لِلْمَكَارِمِ مُرُوءَةٌ. إِذَا وَجَدَ مُتَنَفِّسًا أَشْبَعَ طَبِيعَتَهُ النَّزَقَةُ الْجَهْلُورَ، يَنْطَلِقُ عَلَى وَجْهِهِ فِي الْمَجَالِسِ لَا يَنْتَهِي لَهُ حَدِيثٌ، وَلَا يَتَوَقَّفُ لَهُ كَلَامٌ، يَسْكُبُ مِنْ لَفْظِهِ مَا تَشْمِزُ مِنْهُ آذَانُ أَهْلِ الْإِيْمَانِ، وَأُفْنِدَةُ أَهْلِ التَّقَى.

كَيْفَ لَا تُعَظَّمُ حُرْمَةُ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ وَاللهُ مُعَظَّمُهَا، رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا نَظَرَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: «مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللهِ مِنْكَ»^(١)؛ نعم، لأنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ صِدْقَ الْإِيْمَانِ وَصِدْقَ الْيَقِينِ مُنَافِيًا لِأَذِيَّةِ الْمُؤْمِنِينَ.

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٩/٤)، رقم (٢٠٣٢).

يقول الفضيل رحمه الله: «لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُؤْذِيَ كَلْبًا أَوْ خَنْزِيرًا بِغَيْرِ حَقٍّ، فَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ أَكْرَمُ مَخْلُوقٍ؟!»^(١)، وعن قتادة: «إِيَّاكُمْ وَأَذَى الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَحُوطُهُ وَيَعْصِبُ لَهُ»^(٢)، وقال يحيى بن معاذ: «لِيَكُنْ حَظُّ الْمُؤْمِنِ مِنْكَ ثَلَاثَةً: إِنْ لَمْ تَنْفَعْهُ فَلَا تَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ تُفْرِحْهُ فَلَا تَغُمَّهُ، وَإِنْ لَمْ تَمْدَحْهُ فَلَا تَذُمَّهُ»^(٣).

قال القرطبي رحمه الله: «والإجماع على أنَّهَا مِنَ الْكِبَائِرِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ التَّوْبَةُ مِنْهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى».

وعلى مَنْ كَانَ فِي مَجْلِسٍ غِيْبَةٍ أَنْ يُسَكِّتَ الْمُغْتَابَ؛ وَذَلِكَ بِتَغْيِيرِ الْمَوْضُوعِ، فَإِنْ لَمْ يَنْتَهَ فَلْيُسَكِّتْهُ صَرَاحَةً، فَإِنْ لَمْ يَنْتَهَ فَلْيَقُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «إِنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَمِعْتُمْ مَنْ يَغْتَابُ إِخْوَانَهُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ تَمْنَعُوهُ، وَتَذُبُّوا عَنْ أَعْرَاضِ إِخْوَانِكُمْ، أَلَسْتُمْ لَوْ رَأَيْتُمْ أَحَدًا قَائِمًا عَلَى جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَأْكُلُ لَحْمَهُ، أَلَسْتُمْ تَقُومُونَ إِلَيْهِ جَمِيعًا وَتُنْكِرُونَ عَلَيْهِ؟ إِنَّ الْغِيْبَةَ كَذَلِكَ تَمَامًا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَابَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُعَاقِبَ مَنْ يَغْتَابُ إِخْوَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِصُورَةِ أَمْوَاتٍ وَيُرْغَمُ عَلَى الْأَكْلِ مِنْهُمْ».

وَخِتَامًا - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - تَذَكَّرُوا هَذَا الْحَدِيثَ الْعَظِيمَ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَنْ

(١) تهذيب الكمال (٢٣/ ٢٩١)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٢٤).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٨٣).

المُفْلِسُ؟» قالوا: المُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(١).

فَلَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تَجْمَعَ الْحَسَنَاتِ، وَلَكِنَّ الشَّأْنَ كَيْفَ تُحَافِظُ عَلَيْهَا؟ كَيْفَ لَا تَدْفَعُهَا إِلَى غَيْرِكَ فِي وَقْتٍ أَنْتَ أَحْوَجُ إِلَيْهَا، وَلْيُعْلَمْ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ لَيْسَتْ صَعْبَةً، وَغَيْرُ صَحِيحٍ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ تَرْكُ الْغِيْبَةِ، أَوْ أَنْ تَجْلِسَ فِي مَجْلِسٍ لَا تَغْتَابُ فِيهِ أَحَدًا، فَهُنَاكَ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْغِيْبَةَ، وَهُوَ مُجَالِسٌ لِلنَّاسِ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: «مَا اغْتَبْتُ أَحَدًا قَطُّ مُنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ الْغِيْبَةَ تُضَرُّ أَهْلَهَا»^(٢)، وَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ، وَلَا يُحَاسِبَنِي أَنِّي اغْتَبْتُ أَحَدًا»^(٣).

وَنَحْنُ نَعْرِفُ فِي مَجْتَمَعِنَا مَنْ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُنَالَ الْأَعْرَاضُ فِي مَجْلِسِهِ، وَلَهُ طَرِيقَتُهُ الْمُؤَدَّبَةُ فِي إِسْكَاتِ النَّاسِ وَصَدِّهِمْ عَنْ ذَلِكَ، فَاللَّهُمَّ اعْصِمِ أَلْسِنَتَنَا مِنْ أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْفَظْ حَسَنَاتِنَا، وَانْفَعْنَا بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُم رُبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩٩٧، رقم ٢٥٨١).

(٢) خلق أفعال العباد (ص ٦٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/٤٤١).

وصحبه أجمعين، وارْضَ اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين، وَالْأئِمَّةِ الْمُهْدِيِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَاَنْصُرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ أَنْصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

القرآن نجاة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

مَعَاشِرَ الْمُصَلِّينَ: كِتَابُ رَبِّنَا هُوَ أَمَانٌ لَنَا وَعِصْمَةٌ، هَذَا الْقُرْآنُ نَجَاةٌ لَنَا فِي الدُّنْيَا، وَشَفِيعٌ فِي الْآخِرَةِ، أَخْبَرَنَا رَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مَا دُمْنَا مَتَمَسِّكِينَ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَلَنْ تَضِلَّ هَذِهِ الْأُمَّةُ، رَوَى ابْنُ حِبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي شُرَيْحٍ الْخَزَاعِيِّ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَبْشِرُوا وَأَبْشِرُوا، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ، طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ؛ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا، وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»^(١).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢٥/٦، رقم ٣٠٠٠٦)، والطبراني (١٨٨/٢٢، رقم ٤٩١)، وابن

وَرَوَى ابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ أَنَّهُ قِيلَ لِرَزِيدِ بْنِ أَرْقَمَ لَقَدْ رَأَيْتَ خَيْرًا، صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَنَا فَقَالَ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ، مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ أَخْطَاهُ ضَلَّ»^(١).

بَلْ جَاءَ فِي حَدِيثٍ حُذِيفَةَ فِي حَدِيثِ الْفِتَنِ الْمَشْهُورِ أَنَّهُ جَعَلَ الْمَخْرَجَ مِنَ الْفِتَنِ هُوَ تَعَلُّمُ كِتَابِ اللَّهِ، وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهِ؛ فَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَاللَّفْظُ لِأَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ، عَنْ حُذِيفَةَ، قَالَ كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، وَعَرَفْتُ أَنَّ الْخَيْرَ لَنْ يَسْبِقَنِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ فَقَالَ: «يَا حُذِيفَةُ، تَعَلَّمْ كِتَابَ اللَّهِ، وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ فَقَالَ: «يَا حُذِيفَةُ، تَعَلَّمْ كِتَابَ اللَّهِ، وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «فِتْنَةٌ وَشَرٌّ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَعْدَ هَذَا الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: «يَا حُذِيفَةُ، تَعَلَّمْ كِتَابَ اللَّهِ، وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^(٢).

حَبَانَ (١/٣٢٩، رَقْم ١٢٢). قَالَ الْهَيْثَمِيُّ (١/١٦٩): رَجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ (ص ١٧٥، رَقْم ٤٨٣)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي الْآحَادِ وَالْمَثَانِي (٤/٢٨٢، رَقْم ٢٣٠٢)، وَمُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمُرُوزِيِّ (كَمَا فِي مُخْتَصَرِ قِيَامِ اللَّيْلِ لِلْمُقْرِيزِيِّ ص ٢٩٣، رَقْم ٢٢١)، وَابْنُ يَهُيَى فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ (٢/٣٢٧، رَقْم ١٩٤٢).

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٦/١٣٣، رَقْم ٣٠٠٧٨)، وَابْنُ حَبَانَ (١/٣٣٠، رَقْم ١٢٣).
(٢) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (٤/٤٧٨، رَقْم ٨٣٣٠) وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ. وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَةِ (١/٢٧١). وَأَحَدُ (٥/٣٨٦، رَقْم ٢٣٣٣٠)، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكَبَرِيِّ (٥/١٨، رَقْم ٨٠٣٣)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (ص ٥٩، رَقْم ٤٤٢). وَأَصْلُهُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٣/١٣٢٠، رَقْم ٣٤١١)، وَمُسْلِمٌ (٣/١٤٧٦، رَقْم ١٨٤٧).

بل جاءت الآثار الكثيرة بأنَّ تعلَّم القرآن وتعلِّمَه يدفع البلاء ويُبْعِدُه، كما عند الدارمي، عن ثابت بن عجلان الأنصاري، قال: كان يُقال أن الله ليريدُ العذابِ بأهل الأرض، فإذا سمِعَ تعلِّمَ الصِّبَّانِ القرآنَ صَرَفَ ذَلِكَ عَنْهُمْ^(١).

بل قال الإمام مالكُ بن أنسٍ، يقول: إِذَا نَفَسَ -أي: ضرب- بالنَّافُوسِ اشْتَدَّ غَضَبُ الرَّحْمَنِ، فَتَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ، فَيَأْخُذُونَ بِأَقْطَارِ الْأَرْضِ، فَلَا يَزَالُونَ يَقْرَأُونَ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُهُ عِزَّ وَجَل^(٢).

وقد وصف الله هذا القرآن بأنه هدى في كثير من القرآن، فقال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وقال: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٤]، وقال: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (١) هُدًى وَبُشْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١ - ٢].

قال السعدي رحمه الله: «القرآن هدى لجميع مصالح الدارين، فهو مُرْشِدٌ للعباد في المسائل الأصولية والفروعية، ومُبَيِّنٌ للحقِّ من الباطل، والصَّحِيح من الضَّعِيف، ومُبَيِّنٌ لهم كيف يسلكون الطُّرُق النَّافِعَةَ لهم، في دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ. فالأَشْقِيَاءُ لم يَرْفَعُوا بِهِ رَأْسًا، ولم يَقْبَلُوا هُدًى الله، فقامت عليهم به الحِجَّةُ، ولم يَنْتَفِعُوا به لَشَقَائِهِمْ، وأما الْمُتَّقُونَ الَّذِينَ أَتَوْا بِالسَّبَبِ الْأَكْبَرِ، لِحُصُولِ الْهُدَايَةِ، وَهُوَ التَّقْوَى الَّتِي حَقِيقَتُهَا: اتِّخَاذُ مَا يَقِي سَخَطَ اللَّهِ

(١) أخرجه الدارمي (٤ / ٢١٠٧، رقم ٣٣٨٨).

(٢) تفسير القرطبي (٢٠ / ٢٤٩).

وعذابه، بامْتِثَالِ أوَامِرِهِ، واجْتِنَابِ النَّوَهِي، فَاهْتَدَوْا بِهِ، وَانْتَفَعُوا غَايَةَ الْإِنْتِفَاعِ^(١).

فَاللَّهُ جَعَلَ هَذَا الْقُرْآنَ هُدًى وَبُرْهَانًا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَيَسَّرَهُ لِلذِّكْرِ وَالتَّلَاوَةِ وَالْهُدَايَةِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، أَنْزَلَهُ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَتَكَفَّلَ بِحِفْظِهِ وَإِبْلَاغِهِ لَجَمِيعِ الْبَشَرِ، وَأَقْسَمَ تَعَالَى بِالْقُرْآنِ وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ، (مَجِيدٌ)، وَالْمَجْدُ: سِعَةُ الْأَوْصَافِ وَعَظَمَتُهَا، وَذَلِكَ لِسِعَةِ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَعَظَمَتِهَا، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ (ذُو الذِّكْرِ)، أَي: يَتَذَكَّرُ بِهِ الْعُلُومَ الْإِلَهِيَّةَ وَالْأَخْلَاقَ الْجَمِيلَةَ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةَ، وَيَتَعِظُ بِهِ مَنْ يَخْشَى فَأَمَرَنَا بِتَدْبِيرِهِ، وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ، وَالِاسْتِنْبَاطِ لِعُلُومِهِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ تَدْبِيرَهُ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ، مُحْصَلٌ لِلْعُلُومِ وَالْأَسْرَارِ. فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالثَّنَاءُ، الَّذِي جَعَلَ كِتَابَهُ هُدًى وَشِفَاءً وَرَحْمَةً وَنُورًا، وَتَبْصِرَةً وَتَذْكِرَةً، وَبَرَكَةً، وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله؛ تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى جنّته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه. أمّا بعد:

إخوتي في الله:

بعد هذا، ما حالنا مع القرآن؟ مع هذا النّجاة؟ مع هذا العاصم؟
كم مرة جلست لتلاوته؟

قال القرطبي: «ينبغي ألا يُحْلَى يوماً من أيامه من النّظر في المصحف، مرة أو مرّتين، وكان أبو موسى يقول: «إني لأستحي أن أنظر كلّ يوم في عهد ربي مرة»^(١)، وكان عمر بن الخطاب إذا دخل بيته نشر المصحف، وقرأ فيه^(٢)، ودخلوا على عثمان وهو يقرأ في المصحف، وكان قارئاً، فقال: «والله إني لأكره أن يأتي عليّ يوم لا أنظر في عهد الله عزّ وجلّ»^(٣)، وكان ابن مسعود إذا أصبح أمر غلامه فنشر المصحف فقرأه عليه».

لا نجد لأنفسنا أيّ عذر في تبرير تقصيرنا؛ فلدينا الأوقات التي نقضيها فيما يضرّنا، فضلاً عمّا يُشرع لنا، لا سيّما ومع تطور التقنية، أصبح المصحف في كلّ جيبٍ مع جهاز الجوّال، عوّد نفسك على ختم القرآن وقراءته.

(١) تفسير القرطبي (١ / ٢٨).

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ٦٩).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣ / ٥١٠، رقم ٢٠٣٠).

وقد اتَّفَق أهلُ العلم على أن ختم القرآن من أفضل العبادات وأحبِّها إليه، قال سفيانُ الثوري: قال حبيب بن أبي عمرة: «إذا ختم العبد القرآن قبلَ الملك بينَ عينيه»، فحدث به الإمام أحمد فاستحسنه، وقال: هذا من مخبآت سفيان^(١).

وأعظم من ذلك تعليمُ القرآن وتدريسُه، فهنيئاً لمعلِّمي القرآن والقائمين على تعليمه، فقد روى البخاريُّ في صحيحه عن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٢)، وجاء بلفظ: «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٣).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «تعليمُ القرآن أفضل الأعمال؛ لأن فيه إعانةً على الدِّين، فهو كتلقين الكافر الشهادة لِيُسْلِمَ» إلى أن قال: «ومَن استحقَّر مُعَلِّماً لأجل تعليمه خيف عليه».

بل تعليم القرآن من أفضل أنواع الدَّعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، قال المحدث الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «والدَّعوةُ إلى الله تعالى تقَعُ بأُمُورٍ شَتَّى، من جُمْلَتِها تعليمُ القرآن، وهو أشرفُ العلوم»^(٤).

وإنَّ من نعم الله علينا في مجتمعنا الحرصَ الكبيرَ على العناية بتعلُّم وتعليم القرآن الكريم، وها هم التُّجار وأهل الأموال يَبْذُلون أموالهم بسخاء

(١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص: ٦١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٩١٩، رقم ٤٧٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٩١٩، رقم ٤٧٤٠).

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٨/ ٦٩٤).

لحفظ كتاب الله تعالى، فَرُبَّ آيَةٍ عُلِّمَتْ سَتَشْهَدُ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ،
فَكَيْفَ إِذَا عَلِمَ وَحَفِظَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ، وَالسُّورَةَ تَشْفَعُ، وَالْقُرْآنَ «يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ
شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ»^(١).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ
فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي
بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

أَلْفَحْشَاءَ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿٩١﴾ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٩٢﴾ [العنكبوت: ٩٢].



الموت والقبر

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: مُشْهَدٌ عَظِيمٌ كَرَّرَ اللَّهُ ذِكْرَهُ فِي كِتَابِهِ، وَنَوَّعَ فِي الْإِخْبَارِ عَنْهُ، مَوْقِفٌ عَظِيمٌ الْخَطْبِ، شَدِيدُ الْوَقْعِ؛ إِنَّهُ الْمَوْتُ وَسَاعَةُ الْاِحْتِضَارِ، تَأَمَّلُوا هَذَا الْوَصْفَ الْعَظِيمَ حِينَ خُرُوجِ الرُّوحِ وَحَرَكَتِهَا، ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ (٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٧) وَطَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٨) وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿ (١٠) [القيامة: ٢٦ - ٣٠].

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]، جَاءَتْ سَاعَةُ النِّهَايَةِ، هِيَ سَكْرَةُ عَصِيْبَةِ أَلِيْمَةٍ، كَمْ حَاولَتْ كَثِيرًا نَسِيَانَهَا وَالْفِرَارَ مِنَ التَّفَكِيرِ فِيهَا، هِيَ جَاءَتْ وَحَضَرَ الْمَوْتُ، وَتَوَدُّ أَنْ تَتَغَلَّبَ عَلَى الشُّعُورِ

بالحزيمة فلا تستطيع، تنظرُ يمينًا ويسارًا، وتُحاول أن تسرح بفكرك بشيء آخر، كما كنتَ قبلُ، لكنَّ الفكرة أصبحت حقيقةً ماثلةً مُلازمةً لك، فلا تجدُ إلا الاستسلامَ فترتخي مِنك أعضاؤك، وترى من حولك قد أيقنوا برحيل رُوحك، فلا تسمعُ إلا نسيجهم وبُكاءهم، يقفون أمامك عاجزينَ عن علاجك يائسينَ من رُجوعك وأنتَ بينهم حائرُ الفكرِ خائفُ العاقبةِ، متوجِّسٌ من الدقائقِ القليلةِ التي ستأتي.

تسمعُ من حولك يتهامسون وهم ينظرونك، أبناؤك وأهلك وإخوتك الَّذِينَ كُنتَ معهم في كُلِّ لحظةٍ سنينَ طويلةٍ لم تُفارقهم، وها هي تأتي تيك الساعةُ المحتومةُ.

ربَّاه... أيُّ ساعةٍ أعظمُ من هذه الساعةِ؟ ضعفتُ قوَّتُك، وبردت أطرافُك، وخارت قواك، تُريدُ الكلامَ فتجتذبُ الحرفَ اجتذابًا، وقد كنتَ عاليَ الصوتِ قويَّ الإرادةِ، تشعرُ بروحك، تخرجُ من أطرافِ قدميكَ وهي تسري رويدًا رويدًا، وما فارقتَه كأنما قُطِعَ منك وانتهى، شعورٌ لم تذُقه من قبلُ، حينها تعلمُ أنَّ الأمرَ قد انقضى وانتهى، فلا تذكرُ إلا علاقتك مع ربِّك: صَلَّاتي، زَكَّاتي، لِساني، ظُلُمي، وَالِدَاي، ربَّاه ربَّاه.

ويخرجُ نفسُك الأخيرُ من بينَ شفَتَيْكَ، آخرُ نفسٍ تُخرِجه من جسدك، وترتفعُ معها الرُّوحُ، حانَ وقتُ الرَّحيلِ، أَرِفَ الانتقالُ إلى دارٍ أُخرى، عالمِ الآخرةِ، عالمِ اليقينِ.

إِذْنُ كَانَ صِدْقًا وَحَقًّا.

إِذَنْ كَانَ قَرِيبًا جَدًّا.

لم تكن تعتقد أن الموت بهذه الصورة، كان الخيال يسري إلى أبعد من ذلك، وإلى نهاية على غير تلك الصورة، لكن وماذا تُجدي المعرفة؟ الأمر متأخر ومتأخر جدًا.

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، الموت لا حيلة فيه ولا مناص، قل أن تجد سورة إلا وفيها التذكير بالموت وما بعده، بل إن الله خاطب نبيه وذكره بها، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥ - ١٦].

ورسولنا صلى الله عليه وسلم قال كما عند الترمذي وغيره من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ» يعني الموت^(١)، زاد ابن حبان في صحيحه: «فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ قَطُّ وَهُوَ فِي ضَيْقٍ إِلَّا وَسَعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرَهُ وَهُوَ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ»^(٢).

فإذا ما فارقت الروح الجسد، فإما أن يُبَشَّر ويستبشر، وإما أن يُلْعَن ويُقَبَّح كما جاء في صحيح مسلم، من حديث أبي هريرة قال: «إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلْقَاهَا مَلَكَانِ يُضَعِدَانِهَا» فذكر من طيب ريحها، وذكر المسك. قال: «وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَسَدِكَ كُنْتَ تَعْمُرِينَهُ. فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٢، رقم ٧٩١٢)، والترمذي (٤/ ٥٥٣، رقم ٢٣٠٧) وقال: حسن

غريب. والنسائي (٤/ ٤، رقم ١٨٢٤)، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٢، رقم ٤٢٥٨).

(٢) أخرجه ابن حبان (٧/ ٢٦١، رقم ٢٩٩٣).

آخِرِ الْأَجَلِ». قَالَ: «وَأَنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ - قَالَ حَمَّادٌ: وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا وَذَكَرَ لَعْنًا- وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ. قَالَ: فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ»^(١). قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِيْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَى أَنْفِهِ هَكَذَا.

وفي هذا القبر في كل يوم يُعرض عليك منزلك يوم القيامة في اليوم مرتين، فإن كان في الجنة فيستبشر ويستعجل قيام الساعة، وإن كان من أهل النار فينفزع ويصرخ: رب لا تقم الساعة، كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعِشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

قوله: «عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ» ويروى: «عُرِضَ عَلَى مَقْعَدِهِ»: و هذا ضربٌ من العذاب كبيرٌ، و عندنا المثال في الدنيا. وذلك كَمَنْ عُرض عليه القتل أو غيره من آلات العذاب، أو ما يُهدد به من غير أن يرى الآلة، و نعوذ بالله من عذابه وعقابه بكرمه ورحمته.

وجاء في التَّنْزِيلِ في حقِّ الكافرين ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]، فأخبر تعالى أن الكافرين يُعرضون على النار، كما أن أهل السعادة يُعرضون على الجنان والنعيم.

(١) أخرجه مسلم (٢/٢٢٠٢، رقم ٢٨٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥/٢٣٨٨، رقم ٦١٥٠)، ومسلم (٤/٢١٩٩، رقم ٢٨٦٦).

وَأَمَّا الَّذِينَ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا فَلَهُ مَقْعَدَانِ يَرَاهُمَا جَمِيعًا.

أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ الْفُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تَعْظِيمًا لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: فِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا مَوْعِظَةٌ مَعَ الْمَوْتِ، يَمُوتُ الْقَرِيبُ وَالصَّدِيقُ، وَالْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ، ثُمَّ نَحْمِلُهُ عَلَى أَكْتَافِنَا إِلَى مَنْزِلٍ لَيْسَ كَالْمَنْزَلِ، بَيْتٍ لَمْ يَسْكُنْ مِنْ قَبْلُ، لَحْدٍ ضَيِّقٍ فِي حَفْرَةٍ ضَيِّقَةٍ، كَمْ هُوَ الْقَبْرُ وَاعِظُ وَزَاجِرٌ؟! لَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا عَلَى فُسْحَتِهَا تَضْيِيقُ أَحْيَانًا بِصَاحِبِهَا فَيَتَمَنَّى الْمَوْتَ لِلْفَكَاكِ مِنْ ضَيْقِهَا، فَكَيْفَ بِقَبْرِ ضَيِّقٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْهُ، فَلَيْسَ مَالُكَ وَلَا وَلَدُكَ وَلَا نَسَبُكَ وَلَا مَنْصِبُكَ هُوَ مَنْ يَحْدُدُ مَنْزِلَكَ، وَإِنَّمَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ

في الحياة الدنيا، كما قال الله: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ﴾ (١) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ [الروم: ٤٤ - ٤٥]. يَمْهَدُونَ: أي: يهيئون، ولأنفسهم يعمرون آخرتهم، ويستعدون للفوز بمنزلها وغرفاتها.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب عن القبر، ويذكر به، كما جاء في صحيح البخاري عن عروة بن الزبير، أنه سمع أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما تقول: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً، فذكر فتنة القبر التي يُفتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة^(١)، أي: صأحوا وجزعوا جزعاً عظيماً.

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ؛ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَنَّهُ مَلَكَانٍ فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ، مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبَدَلَكِ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لَا أَذْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ صَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصْبِحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ» (٢).

لما احتضر عمر رضي الله عنه خليفته المؤمنين غشي عليه ورأسه في الأرض،

(١) أخرجه البخاري (١/٤٦٢، رقم ١٣٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (١/٤٤٩، رقم ١٢٧٣).

فَوَضَعَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ مِنَ الْغَشْيَةِ قَالَ لِابْنِهِ عَبْدُ اللَّهِ: ضَعْ رَأْسِي عَلَى الْأَرْضِ كَمَا أَمَرْتُكَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: يَا أَبَتِي، وَهَلِ الْأَرْضُ وَحِجْرِي إِلَّا سَوَاءٌ؟ قَالَ: ضَعْ رَأْسِي عَلَى الْأَرْضِ كَمَا أَمَرْتُكَ، فَوَضَعَهُ، قَالَ: فَمَسَحَ خَدَّيْهِ بِالتُّرَابِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْلٌ لِعَمْرٍ، وَوَيْلٌ لِعَمْرٍ، وَوَيْلٌ لِعَمْرٍ، إِنْ لَمْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِعَمْرٍ»^(١).

عِبَادَ اللَّهِ! إِنْ أَمْرًا نُعَانِي مِنْهَا وَأَدَوَاءٌ اسْتَحْكَمَتْ عَلَى قُلُوبِنَا سَبِيلُهَا الرَّئِيسُ، هُوَ الْغَفْلَةُ وَتَنَاسِي الْمَوْتِ، الْمَوْتُ لَا يَعْرِفُ الْكَبِيرَ دُونَ الصَّغِيرِ، وَلَا الطَّاعِ دُونَ الْعَاصِي، وَلَا الْمَرِيضَ دُونَ الصَّحِيحِ، النَّاسُ كُلُّهُمْ سَوَاسِيَةٌ، أَفْنَاهُمْ جَمِيعًا؛ فَالزَّمانَ مَاضٍ وَأَنْتَ سَائِرٌ إِلَى رَبِّكَ فَمُلَاقِيهِ، شِئْتَ أَمْ أُبَيِّتَ، وَمَهْمَا كَانَتْ غَوَايُتُكَ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَلُودَ بِغَيْرِهِ، أَوْ أَنْ تَقْنَطَ مِنْ رَحْمَتِهِ، عَاوِذُ نَدَمِكَ، وَابْنُكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ، وَلَا تَقُلْ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا؛ فَإِنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا.

وَلِئِنْ جَرَّبْتَ دَرْبَ الْغَوَايَةِ سَنِينَ؛ فَلَقَدْ ذُقْتَ مَرَارَتَهَا وَحَسْرَتَهَا، وَكُذَّرَتَهَا، فَهَلَّا لَطَفْتَ بِنَفْسِكَ، وَرَأَفْتَ بِهَا إِلَى رَاحَتِهَا وَأُنْسِهَا، حَيْثُ الْفَلَاحُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَاللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي

(١) الزهد لابن المبارك (ص ١٤٦، رقم ٤٣٦).

بكرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعليٍّ، وعنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ
يا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَاَنْصُرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ أَنْصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعِجْزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أُمَمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



طلب الرياسة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله عِبَادَ اللَّهِ، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: حَذَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ طَلَبِ الرِّيَاسَةِ عَلَى النَّاسِ، وَطَلَبِ الْعُلُوِّ عَلَيْهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ، وَالْحَرْصِ عَلَى التَّرْفُعِ عَنْهُمْ، وَهُوَ دَاءٌ دَقِيقٌ قَلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنْهُ، وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَخْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ، وَتَسْتَكُونُونَ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَنِعْمَ الْمُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ»^(١).

وَالْوِلَايَةُ يَدْخُلُ فِيهَا الْعُظْمَى وَالصُّغْرَى، كَمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ الْحَافِظُ الْعَيْنِيُّ وَغَيْرُهُ، وَقَوْلُهُ: «فَنِعْمَ الْمُرْضِعَةُ، وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ»، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «نِعْمَ

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦١٣، رقم ٦٧٢٩).

الْمُرْضِعَةَ لِمَا فِيهَا مِنْ حُصُولِ الْجَاهِ وَالْمَالِ وَنَفَازِ الْكَلِمَةِ وَتَحْصِيلِ اللَّذَاتِ الْحَسَنَةِ وَالْوَهْمِيَّةِ حَالَ حُصُولِهَا، وَبَشَتْ الْفَاطِمَةُ عِنْدَ الْإِنْفِصَالِ عَنْهَا بِمَوْتٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا التَّبَعَاتُ فِي الْآخِرَةِ»^(١).

ولهذا قُلَّ من يَحْرِصُ على رياسة الدنيا بطلب الولايات أو المناصب فيُوفَّق، بل يُوكَل إلى نفسه، إلا مَنْ أَحَسَّنَ النِّيَّةَ وَأَخْلَصَ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ، كما جاء في الصحيحين من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيَتْهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا»^(٢).

كم هُم الذين يطلبون الرئاسات كالقضاء ورؤساء الدوائر والإدارات ونحوها، بل في الوظائف الشرعية كالإفتاء ونحوه، لم يكن غرضهم إلا أن يعتلوا على الناس، فيأمرّون وينهون، وتكون لهم المكانة في المجتمع، ويُشار إليهم بالبنان، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿تِلْكَ أَلْدَارُ الْآخِرَةِ يَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الفصل: ٨٣].

بل نبّه الحافظ ابن رجبٍ إلى أمرٍ دقيقٍ وخطيرٍ حول أمر هؤلاء، فقال: «واعلم أنّ حُبَّ الشَّرَفِ بالحرصِ على نُفُوذِ الأَمْرِ والنهي وتدبيرِ أمرِ الناسِ، إذا قصدَ بذلك مُجَرَّدَ عُلُوِّ المنزلةِ على الخلقِ والتَّعَاضُطِ عليهم، وإظهارِ صاحبِ هذا الشَّرَفِ حاجةَ الناسِ إِلَيْهِ وافتقارهم إِلَيْهِ، وذُهِمَ له في طلبِ حوائجهم منه، فهذا نفسه مُزاحمةٌ لرُبُوبِيَةِ الله تعالى وإلهيَّته، وربما تسبب بعض هؤلاء إلى

(١) فتح الباري (١٣/١٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦/٢٤٤٣، رقم ٦٢٤٨) ومسلم (٣/١٢٧٣، رقم ١٦٥٢).

إيقاع الناس في أمر يحتاجون فيه إِلَيْهِ؛ ليضطرّهم بذلك إلى رفع حاجاتهم إِلَيْهِ، وظهور افتقارهم واحتياجهم إِلَيْهِ، ويتعاضم بذلك ويتكبرُ بِهِ، وهذا لا يَصْلَحُ إلاَّ الله تعالى وحده لا شريك له»^(١).

لأنَّ الله هو من يتبلى عباده ليسمع تضرّعتهم، فهذا المعنى أصعب وأخطر من مجرد الظلم وأدهى، والشرك أعظم الظلم عند الله.

ولهذا روى الإمام أحمد والترمذي وصحّحه من حديث كعب بن مالك الأنصاري عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا ذُبَّانٍ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمُرءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»، وفي رواية: «مَا ذُبَّانٍ ضَارِيَانِ يَأْتِيَانِ فِي غَنَمٍ غَابَ رِعَاؤُهَا بِأَفْسَدَ لِلنَّاسِ مِنْ حُبِّ الشَّرَفِ وَالْمَالِ لِدِينِ الْمُؤْمِنِ»^(٢)، هذا مثلٌ عظيم ضربه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف والرياسة في الدنيا، وأنَّ فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضارين يأتيان في الغنم، وقد غاب عنها الراعي ليلاً؛ فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها، ومعلوم أن لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين على هذه الحالة إلاَّ قليلاً، فأخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ حرص المرء على المال وحرصه على الشرف إفسادٌ لدينه، ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم، بل إما أن يكون مساوياً وإما أكثر.

أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۚ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَىٰ (٧)﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿[العلق: ٦ - ٨].

(١) مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٧٤).

(٢) أخرجه أحمد (٤٥٦/٣)، رقم (١٥٨٢٢)، والترمذي (٥٨٨/٤) رقم (٢٣٧٦) وقال: حسن صحيح.

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِهَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، وَلِسَائِرِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ؛ تَعْظِيمًا لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ
وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.
أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: مَعْلُومٌ أَنَّ النَّفْسَ تَحِبُّ الرَّفْعَةَ وَالْعُلُوَّ عَلَى أَبْنَاءِ جَنَسِهَا،
وَمِنْ هُنَا نَشَأُ الْكِبْرُ وَالْحَسَدُ، وَلَكِنَّ الْعَاقِلَ يُنَافِسُ فِي الْعُلُوِّ الدَّائِمِ وَالْبَاقِي فِي
رِضْوَانِ اللَّهِ.

وَمِنْ أُمَمَتٍ وَأَفْحَشٍ طَلَبَ الْعُلُوَّ عَلَى النَّاسِ، مَا كَانَ فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ؛
كَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالزَّهْدِ، فَهَذَا أَشَدُّ قُبْحًا وَأُمَقَّتُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَعْظَمُ فُسَادًا
وخطرًا؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ وَالزَّهْدَ إِنَّمَا يُطَلَبُ بِهَا مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الدَّرَجَاتِ
الْعُلَى؛ سِوَاءِ طَلَبِ بِنَالٍ أَوْ طَلَبِ بِرِيسَاةٍ وَالْمَكَانَةِ، وَفِي الْأَثَرِ عِنْدَ
الْتِزْمِذِي وَغِيْرِهِ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُبَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ
يَصْرِفَ وَجْهَهُ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»^(١)، وَفِي رَوَايَةٍ: «لَا تَعْلَمُوا الْعِلْمَ

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٢/٥)، رَقْمُ (٢٦٥٤) وَقَالَ: غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَإِسْحَاقُ

لِتَبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءُ، وَلَا لِتُخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسُ»^(١).

وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ أَوَّلَ خَلْقٍ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ: العالم الذي قرأ القرآن ليقال: قارئ، وتعلم العلم ليقال: عالم، فيؤمر به فيسحب على وجهه في النار، ومثله المتصدق الذي يتصدق ليقال: جواد، وكذا المجاهد والامير بالمعروف، والناهي عن المنكر ليقال إنه شجاع»^(٢).

وجاء في بعض الآثار أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَام قال: «كيف يكون من أهل العلم مَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِيُحَدِّثَ بِهِ، وَلَا يَطْلُبُهُ لِيَعْمَلَ بِهِ»^(٣).

وأما من طلب الرياسة ليقيم أوامر الله ويصلح فسادًا واعوجاجًا فهو من المصلحين المجاهدين؛ فَمَنْ دَخَلَ وَهَذِهِ نَبِيَّتُهُ أُعِينَ عَلَيْهَا وَأُثِيبَ، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾ [يوسف: ٥٥]، ولهذا: لما تولى خزائن الأرض سعى في تقوية الزراعة، فلم يبق موضع في الديار المصرية من أقصاها إلى أقصاها يصلح للزراعة إلا زرع في مدة سبع سنين، ثم حصنه وحفظه ذلك الحفظ العجيب، ثم لما جاء الجذب، واضطر

بن يحيى ليس بذاك القوى عندهم تكلم فيه من قبل حفظه. وأخرجه أيضًا ابن أبي الدنيا في الصمت (ص ١٠٦، رقم ١٤١)، والطبراني (١٩/ ١٠٠، رقم ١٩٩).

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٩٣، رقم ٢٥٤)، قال البوصيري (١/ ٣٧): هذا إسناد رجاله ثقات على شرط مسلم. وابن حبان (١/ ٢٧٨، رقم ٧٧)، والحاكم (١/ ١٦١، رقم ٢٩٠)، والبيهقي في شعب الإيثار (٢/ ٢٨٢، رقم ١٧٧١).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٥١٣، رقم ١٩٠٥).

(٣) مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٨١).

الناس إلى الأرزاق سعى في الكيل للناس بالعدل، فمنع التجارَ من شراء الطعام خوفَ التضييق على المحتاجين، وحصل بذلك من المصالح والمنافع شيءٌ لا يُعدُّ ولا يحصى، فيوسف سعى للإصلاح، وهذا هو الفرق.

فَمَنْ طلب الإدارةَ لا ليرتفع ولا ليكونَ له مكانةٌ، وإنما لينفع عبادَ الله ويصلحَ أحوالهم وييسرَ عليهم، فهؤلاء همُّ القليل الذين نجوا من الذبَّين الجائعين الضارين، وكان بعضُ العلماء يتولَّى القضاء، ويقول: أتولاه لأستعينَ به على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا من القليل.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك لا تُدْمُ الْوِلَايَةُ إِذَا كَانَ الْمُتَوَلَّى لَهَا يَقُومُ بِهَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ إِقَامَةِ الشَّرْعِ، وَإِيصَالِ الْحَقُوقِ إِلَى أَهْلِهَا، وَأَنَّهُ لَا بَأْسَ بِطَلِبِهَا إِذَا كَانَ أَهْلًا، وَأَعْظَمَ كِفَاءَةً مِنْ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا الْمَذْمُومُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ كِفَاءَةٌ، أَوْ كَانَ مَوْجُودًا مَنْ هُوَ أَمْثَلُ مِنْهُ أَوْ مِثْلُهُ، أَوْ لَمْ يُرَدَّ بِهَا إِقَامَةُ أَمْرِ اللَّهِ، بَلْ أَرَادَ التَّرَوُّسَ وَالْمَأْكَلَةَ الْمَالِيَةَ»^(١).

فلنراجع نوايانا، ولننتبه لأنفسنا فيما بين أيدينا؛ فالذئابُ جائعةٌ، والصَّيْدُ مُطْمَعٌ، والمصيِّدُ غافلٌ، والله المستعان.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُم رُبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي

(١) تفسير السعدي (ص ٤١٠).

بكرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعليٍّ، وعنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أَيْمَنَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



عبادة التوبة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله - عباد الله -، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: هل تعلمون أيَّ عملٍ كان يُكثِرُ فعله رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قد يتبادرُ إلى ذهنِك صلاتُه أو صدقته أو تسيُّحه أو تعليمُه أو غير ذلك، لقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُكثِرًا من التوبة، نعم إنك لتعجبُ حينما ترى هذا النبي، وهو على ما هو من الفضلِ والإنعام والعبادة، ومع ذلك كانت توبته في كل وقتٍ، ففي صحيح مسلمٍ عن الأغرِّ المزنيِّ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنِّي لَا تُوبُ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(١).

بل جاء عن أبي داود بإسنادٍ صحيح عن ابنِ عمرَ قال: إن كُنَّا لَنَعُدُّ

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٥، رقم ٢٧٠٢).

لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المجلس الواحد مائة مرة: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(١).

والسؤال: لِمَ كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر منها؟

والجواب: أَنَّ مِنْ أعظم الأسباب هو أنها عبادة شريفة عظيمة، يُحِبُّهَا الله عَزَّوَجَلَّ، ومن المفاهيم الخاطئة أننا نحضِرُ التوبة بأنها ردة فعل لسلوك خاطئ فقط، فلا نستحضرُ التوبة إلا عند استحضارِ ذنبٍ أو ذنوبٍ، فقد نستحضرُ عبادة الصدقة، ونستحضرُ عبادة التعليم والصلاة، لكننا قد نغفل عن عبادة التوبة، كثيرٌ منا أصبح استحضاره للتوبة وانكساره لربه حينما يعملُ الذنب، أو حينما يتذكرُ ذنباً معيناً، وهذا خطأ كبير، فالتوبة أعمُّ من ذلك؛ لأن الله يَحِبُّ التوابين ويحب المتطهرين.

ولهذا في قصة مسجدِ الضُّرارِ الذي بناه المنافقون امتدح الله المؤمنين بأنهم يُحِبُّون أن يتطهروا، فقال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، فحبُّهم للطهارة شاملٌ للطهارة المعنوية، وهي إزالة الذنوب بالتوبة، وشاملٌ للطهارة الحسية، وهو كمال الوضوء والتطهر من النجاسة والحدث.

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فتأمل كيف قَدَّمَ التواب على المتطهر، إن الاهتمام بالتوبة والتعبد

(١) أخرجه ابن ماجه (حديث رقم ٣٨١٤)، والترمذي (٤٩٤/٥)، رقم ٣٤٣٤ وقال : حسن صحيح غريب. والنسائي في الكبرى (١١٩/٦)، رقم ١٠٢٩٢.

بها هو ما يحبّه الله، حتى ولو كانت سبباً لمعصية، وتأملوا ما رواه مسلمٌ في صحيحه، من حديث أبي هريرة: «لَوْ لَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ يَغْفِرُ لَهُمْ»^(١)، وفي رواية: «لَوْ أَنَّكُمْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ ذُنُوبٌ يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَكُمْ لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ لَهُمْ ذُنُوبٌ يَغْفِرُهَا لَهُمْ»^(٢)، قال ابن الجوزي: «هذا دليلٌ على أن المراد من العبد الذلُّ؛ فإن المذنب مُنْكَسِرٌ لذنبه، منكس الرأس لجرمه»^(٣).

ولهذا وجّه رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ إلى كثرة التوبة، كما جاء في صحيح مسلم من حديث ابن عُمر، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تَوُوبُوا إِلَى اللَّهِ؛ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(٤).

إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ التَّوْبَةَ سَبِيلًا لِلْوَصُولِ إِلَى الْفَلَاحِ، فقال الله عنه: ﴿وَتَوُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا سبيلٌ إلى الفلاح إلا بالتوبة، وهي الرجوعُ مما يكرهه الله، ظاهراً وباطناً، إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً، ودلّ هذا، أن كُلَّ مؤمنٍ محتاجٌ إلى التوبة، لأنَّ الله خاطب المؤمنين جميعاً»^(٥).

بل إِنَّ اللَّهَ لما أخبر عن أهل الجنة وفوزهم ذكر أهلها فبدأ بالتائبين، فقال: ﴿الَّتَّائِبُونَ الْعَبْدُونَ الْحِمْدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْخَافِضُونَ لِحُكْمِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٥، رقم ٢٧٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٦، رقم ٢٧٤٨).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٥٩٠).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٦، رقم ٢٧٠٢).

(٥) تفسير السعدي (ص ٥٦٧).

كأنه قيل: مَنْ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ لَهُمُ الْبَشَارَةُ مِنَ اللَّهِ بِدُخُولِ الْجَنَاتِ وَنِيلِ الْكَرَامَاتِ؟ فقال: هُمُ ﴿التَّائِبُونَ﴾ أي: الملازمون للتوبة في جميع الأوقات، عن جميع السيئات، إِنَّ التَّوْبَةَ تَبْلُغُ بِصَاحِبِهَا مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا يَبْلُغُهُ عَمَلٌ آخَرُ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿[النساء: ٢٧ - ٢٨].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تَعْظِيمًا لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: مَا نَرَاهُ مِنَ الْغَفْلَةِ الَّتِي اسْتَحْكَمَتْ عَلَى قُلُوبِنَا، أَكْثَرُنَا يَسْأَلُ عَنْ أَسْبَابِهَا، وَدُونَكُمْ جَوَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ الْأَعْرَابِيِّ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«إِنَّهُ لَيَعَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةً مَرَّةً»^(١)، قال النووي: «المراد هنا ما يتغشى القلب، قال القاضي: قيل المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه، فإذا فتر عنه أو غفل عدَّ ذلك ذنبًا واستغفر منه»^(٢).

وأيًا كان فالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل التوبة سببًا للطمأننته وسعادته وأنسه، هذا هو المحك؛ لأن كثيرًا منا يهجم عليه حبُّ كثيرٍ من الطاعات والعبادات، أما طاعةُ التوبة فإنَّها قد تكون حاضرةً في كل وقتٍ كما تحضر غيرها من العبادات، مع أنَّها وظيفة اللحظة واليوم والعُمُر، فليكن شعارنا في كل أوقاتنا: «توبتي عبادتي».

نعم، إن الوحشة التي نجدها والاضطراب الذي يعاني منه الكثير دواؤه دواؤُ التوبة، وذلك بكثرة الاستغفار، اجعلها من أورادك، واستشعرْ كل لحظة أنك تائبٌ مُنيبٌ، أيها المقصّر - وكلنا ذلك -: مَنْ ابْتُلِيَ بِأَيِّ ذَنْبٍ - كَثُرَ أَوْ قَلَّ، صَغُرَ أَوْ عَظُمَ - أدم التوبة، لا تتركها، أكثر من الاستغفار منها، حتى ولو كنتَ مزاولًا لها، فرَّ إلى الله ولو كنتَ مخطئًا؛ فلا تدري فعسى أن يُفْتَحَ البابُ لك فتنعم بيبغضها واستبدال حبِّها بما هو أنفعُ لك وأصلحُ.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٥، رقم ٢٧٠٢).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢٣).

يَدُهُ بِالنَّهَارِ؛ لِيَتُوبَ مُبْسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوَّهُمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قبول الأعمال

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله - عِبَادَ اللَّهِ - حقَّ التقوى، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

معشر الصائمين: ماذا صنع إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَنْ يَقْوَى عَلَى بَلَائِهِ؟ تَرَكَ وَالِدَهُ، بَلَ هَجَرَهُ، أَوْ قُلَّ طَرْدَهُ قَوْمُهُ، تَعَرَّضَ لِلْإِحْرَاقِ بِنَارٍ عَظِيمَةٍ، ثُمَّ جَرَى لَهُ مَعَ وَلَدِهِ، ذَلِكَ الْبَلَاءُ الَّذِي وَصَفَهُ اللَّهُ، بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦]، فَمَنْ يَقْوَى عَلَى ضَرْبِ وَلَدِهِ، فَكَيْفَ يَذْبَحُهُ بِيَدِهِ؟ تِلْكَ الْيَدُ الْحَانِيَةُ الَّتِي طَالَمَا حَمَلَتْهُ وَضَمَّتْهُ إِلَى الْفُؤَادِ، وَدَفَعَتْ عَنْهُ نَسَمَةَ الْهَوَاءِ، هِيَ مَنْ يَقُومُ بِقَطْعِ الْوَرِيدِ إِلَى الْوَرِيدِ، ثُمَّ يُكْرِمُهُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ بِكَرَمٍ لَمْ يَحْصُلْ لغيره من البشر، حينما أمره ببناء الكعبة المشرفة، ورفع قواعدها.

تلكم -أيها الإخوة- بعض أحداث قصة نبيِّ عاش هذه الأحداث

وغيرها، إلا أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال شيئاً عظيماً يجعلنا نُعيدُ التفكيرَ في أنفسنا وأعمالنا، أتدرون ماذا قال بعد أن بنى تلك الكعبة ورفع قواعدها؟ لتأمل ما رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس، قال: إن إبراهيم قال لابنه إسماعيل: يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ رَبَّكَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا قَالَ أَطِيعَ رَبَّكَ قَالَ إِنَّهُ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ تُعِينَنِي عَلَيْهِ قَالَ إِذَنْ أَفْعَلْ أَوْ كَمَا قَالَ قَالَ فَقَامَا فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ بَيْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَيَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا نَقْبَلُ مِنْكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، قَالَ حَتَّى ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ وَضَعَفَ الشَّيْخُ عَنْ نَقْلِ الْحِجَارَةِ فَقَامَ عَلَى حَجَرٍ الْمَقَامَ فَجَعَلَ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَيَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا نَقْبَلُ مِنْكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

وَصَفَّ اللَّهُ هَذَا الْمَشْهَدَ الْعَظِيمَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ رَفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، غريبٌ على كثيرٍ من المسامع أن تسمعَ هذا الدعاء، بل تأمل تلك الدعوات التي دعا بها وهو نبيٌّ، بعد أن أتمَّ البناء، حيث ذكره في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٢٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ يَبْعَثْ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٦) رَبَّنَا إِنِّي أَصْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٢٧) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا تُخْفِي وَمَا تُخْفِي عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٢٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٢٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي

رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٤٠﴾ إبراهيم: [٣٥ - ٤٠]، قال القرطبي: «أي وتقبل عبادتي»^(١).

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]: «أي: واذكر إبراهيم وإسماعيل، في حالة رفعهما القواعد من البيت الأساس، واستمرارهما على هذا العمل العظيم، وكيف كانت حالهما من الخوف والرَّجاء، حتى إنَّهما مع هذا العمل دَعُوا الله أن يتقبَّل منهما عملهما، حتى يحصلَ فيه النفع العميم»^(٢).

الدعاءُ بقَبُولِ العملِ سُنَّةُ الرُّسُلِ وهم رُسُلٌ، فكيف بِمَنْ دُونِهِمْ؟ هذا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح مسلم من حديث عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِكَبْشٍ أَقْرَنَ يَطَأُ فِي سَوَادٍ، وَيَبْرُكُ فِي سَوَادٍ، وَيَنْظُرُ فِي سَوَادٍ، فَأَتَى بِهِ لِيُضْحِيَ بِهِ، فَقَالَ لَهَا: «يَا عَائِشَةُ، هَلُمِّي الْمُدْيَةَ». ثُمَّ قَالَ: «اشْحَذِيهَا بِحَجَرٍ». ففَعَلْتُ ثُمَّ أَخَذَهَا، وَأَخَذَ الْكَبْشَ فَأَضْجَعُهُ ثُمَّ ذَبَحَهُ، ثُمَّ قَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ». ثُمَّ صَحَّحِي بِهِ^(٣).

وبعدَ هذا كيفَ حالُّنا مع صومنا، مع صلاتنا؟ هل دعونا الله بأن يتقبَّل مِنَّا؟ هل هذا الأمرُ يشغلُ بالنا كما شغلُ بالِ الرسل والصالحين؟ قال الله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ ﴿٦١﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاهِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠ - ٦١]. وقد فسرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّهم

(١) تفسير القرطبي (٩ / ٣٧٥).

(٢) تفسير السعدي (ص ٦٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٣ / ٩٤، رقم ٢٧٩٢)، والبيهقي في سننه الكبرى (٩ / ٢٦٧، رقم ١٨٨٢٥).

الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيَخَافُونَ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ» (١)، وأثر عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ (٢): «كُونُوا لِقَبُولِ الْعَمَلِ أَشَدَّ اهْتِمَامًا مِنْكُمْ بِالْعَمَلِ، أَلَمْ تَسْمَعُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾» [المائدة: ٢٧].

وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مَصْنَفِهِ عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ، قَالَ: كَانَ مُطَرِّفٌ يَقُولُ (٣): «اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي صَلَاةَ يَوْمٍ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي صَوْمَ يَوْمٍ، اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي حَسَنَةً، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾» [المائدة: ٢٧].

فِيَجْتَهِدُ الْعَامِلُ فِي إِخْلَاصِ الْعَمَلِ الْمَشْرُوعِ، ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ قَبُولَهُ، فَهَذِهِ أَرْجَى الْأَسْبَابِ، وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْقَبُولِ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ؛ فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا غَفَرَ لَامْرَأَةٍ بَغِيًّا سَقَتَ كَلْبًا كَادَ يَمُوتُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ (٤)، فَاجْتَهِدْ فِي سَوْأَلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا قَبُولِ الْعَمَلِ فِي نَهَارِكَ وَعِنْدَ فِطْرِكَ، وَفِي قُنُوتِكَ وَسَائِرِ أَحْوَالِكَ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ

(١) أخرجه أحمد (٢٠٥/٦)، رقم (٢٥٧٤٦)، والترمذي (٣٢٨/٥)، رقم (٣١٧٥)، وابن ماجه (١٤٠٤/٢)، رقم (٤١٩٨)، والحاكم (٤١٦/٢)، رقم (٣٤٤٧).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٨٨/١٠).

(٣) لم أعر عليه في مصنفه، ولكن ذكره ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٣٢٧/٥٨)، وابن بطه في الإبانة الكبرى (٧٥٩/٢).

(٤) أخرجه البخاري (١٢٠٦/٣)، رقم (٣١٤٣).

والذكر الحكيم، أقول ما سمِعْتُمْ، وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئةٍ، فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله على إحسانه، والشُّكرُ على توفيقه وامتنانه، وأشهدُ أن لا إله إلا الله؛ تعظيماً لشانه، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، الدَّاعي إلى جنَّته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.
أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الإِخْوَةِ: إن قبولَ العملِ هو ثمرَةُ العملِ؛ فكلُّ عاملٍ يرتجى أن يُحَوَّرَ عمله على رضا سيِّده وقبوله، عن فضالة بن عبيد قال ^(١): «لأن أكون أعلم أن الله قد تقبل مني مثقال حبة من خردلٍ أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها؛ لأنَّ الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وقال ابنُ دينار ^(٢): الخوفُ على العملِ أن لا يتقبَّلَ أشدُّ من العملِ.
وقال عطاءُ السُّلَمِيِّ ^(٣): الحذرُ: الاتقاءُ على العملِ أن لا يكونَ لله.
وقال عبدُ العزيز بنُ أبي رَوَّاد: أدركتهم يجتهدونَ في العملِ الصَّالحِ، فإذا فعلوه وقع عليهم الهمُّ، أيقبلُ منهم أم لا؟ ^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١١٦).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٣٧٧).

(٣) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ٢٩).

(٤) المصدر السابق.

ومن فضل الله على العبد أن يُشعره بأثر العبادة والطاعة في حياته، فكم من عملٍ تشعر بأنه رجاؤك، وأنت قد أحسنت فيه، بل وتشعر بقبول الله له لما فيه من الإتقان والإحسان؟! ولهذا في قصة بلالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبَلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ: «يَا بَلَالُ، حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ عِنْدَكَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْفَعَةً، فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشَفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ»، قَالَ بَلَالٌ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا فِي الْإِسْلَامِ أَرْجَى عِنْدِي مَنْفَعَةً مِنْ أَنِّي لَا أَتَطَهَّرُ طَهُورًا تَامًا فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطَّهُورِ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ^(١).

فتأمل قول بلالٍ بأن هذه النافلة هي أرجى منفعة عنده وشعوره بذلك، ومداومته عليه، فاسأل الله القبول إذا أديت عملاً وطاعةً، وتعود على ذلك.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكرٍ وعمرَ وعُثمانَ وعليٍّ، وعن الصحابة أجمعين، وعننا معهم بعفوٍ وكرمٍ يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون

(١) أخرجه البخاري (٣٨٦/١)، رقم (١٠٩٨)، ومسلم (٤/١٩١٠)، رقم (٢٤٥٨).

في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم عليك
باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا
يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما
يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضال المسلمين، اللهم رُدِّهم إليك ردًّا
جميلًا، اللهم ارفع ما نزل من الفتن، اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الاستراحات

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله عباد الله، ﴿إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقْ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: أَسَمِعْتُمْ نَبَأَ الْغَافِلِ الَّذِي رَكِبَتْهُ الذُّنُوبُ وَهُوَ لَا يَدْرِي؟

كم من عَفِيفٍ نَالَهُ وَزَرَ الْفَوَاحِشَ وَهُوَ مُتَلَطِّخٌ بِهَا!

وكم من رَجُلٍ ظَنَّ أَنَّهُ نَظِيفٌ الْجَيْبِ وَجَبِيهٌ مَلَأَى مِنَ السَّحْتِ

وَالْحَرَامِ!

وكم من بَارٍّ سَقَطَ فِي هَوَا الْعُقُوقِ!

وهم غافلون، إِنْ نَبَأَ هَؤُلَاءِ لِعَظِيمٍ، أَوْلَيْكُمْ رَجَالٌ أَعَانُوا فِي الْوُقُوعِ عَلَى

الْمُنْكَرَاتِ، وَكَانُوا سَبَبًا فِي شُيُوعِهَا، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا

تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

لقد انتشرت ظاهرة تأجير الاستراحات لأناس يزاولون فيها الفواحش والكبائر العظيمة، وما يُخِلُّ بالشرف، إما من حُذَاء الأسنان، أو من كبارهم، لستُ أتكلّم عن الاستراحات التي يجتمع فيها الأصدقاء، ويكون فيها ما يعرفه الناس، وما لا يخلو منه اجتماعٌ، كلا.. إنما نتكلّم عن استراحات قليلة يحدث فيها أمورٌ عظام تُخِلُّ بالشرف والعفة، وتضر بالعقل والعرض.

والسؤال قبل أن نخاطب هؤلاء: من الذي أجّرهم، وهو يغلب على ظنّه من خلال معرفة أسمائهم، أو رؤية هيئتهم، أنهم ما اجتمعوا إلا على شرّ عظيم، سواء من صاحب الاستراحة أو صاحب المكتب؟

أما علّم أن الله جلّ وعلا يقول: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِآتِ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة: ٧٨ - ٨١].

قرأ الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الآية، وقال كما روى الترمذي وحسنه، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ»، ثم قال: «كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ

عَلَى يَدِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرْنَهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا أَوْ لَيُضْرِبَنَّ بِقُلُوبٍ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ
ثُمَّ يَلْعَنُكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ»^(١).

وهؤلاء لم يتركوا الإنكار فقط، بل أعانوا مَنْ يفعلُهُ، مَنْ أَجَرَ هؤلاء أو
سَعَى في تأجيرهم، هل امثل أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله فيما رواه
الإمام مسلم، من حديث أبي سعيد الخدري، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:
«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُغَيِّرَهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ
يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٢)، هل غَيَّرَهُ أم هو من تَسَبَّبَ في
وقوعه؟

إِنَّ كُلَّ مَنْ سَعَى في تأجير هؤلاء وهو يعلم، أو يغلب على ظنه أنهم
يجمعون على الكبائر العظيمة، وما يُحِلُّ بالشرف والعقل والعرض، فإنه
مشارك لهم بالوزر، وواقع في الكبائر عند جمهور الفقهاء، كما نصَّ أهل
العلم.

ولنستمع إلى فتوى الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في فتواه في تأجير هذه
الاستراحات التي يقع فيها ما يحل بالشرف والعقل، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَحْمَلُ
المسئولية أصحاب هذه الأحواش، وأصحاب هذه الاستراحات، إذا أتاها
من يعلمون أو يغلب على ظنهم أنه سوف يكون فيها على الوجه الذي لا
يرضاه الله ورسوله، فليعلم أنه يأكل أجرتها سحتًا وحرامًا، وما أعظم أن

(١) أخرجه أبو داود (٤/١٢١، رقم ٤٣٣٦)، والترمذي (٥/٢٥٣، رقم ٣٠٤٨)، والبيهقي
(٩٣/١٠، رقم ١٩٩٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (١/٦٩، رقم ٤٩).

يكون مُعِينًا على الإثم والعدوان، هذه الأجرة التي يأخذها سحتًا وحرامًا؛ لأن الله إذا حَرَّمَ شيئًا حَرَّمَ ثمنه. ثم إذا أكل هذا ما الذي يترتب عليه؟ جاء في الحديث: «كُلُّ جِسْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»^(١)، هذه واحدة. أيضًا الذي يأكل الحرام يبعد أن تجاب دعوته -والعياذ بالله-، حتى لو دعا في أكبر الأسباب التي تُستجاب بها الدعوة؛ فإن إجابته بعيدة، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: «يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأني يستجاب لذلك؟!»^(٢). وكذلك الدَّلَال أو مكتب التأجير كصاحب الملك، إذا كان يعلم أن هؤلاء استأجروها للمعصية فهو حرام عليه.

أعوذُ بالله من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَالْكَذِبَ لَاسْتَحْتَّ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سَمِعْتُ، وأستغفرُ الله العظيمَ لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئة، فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله على إحسانه، والشُّكْرُ على توفيقه وامتنانه، وأشهدُ أن لا إله إلا الله؛ تعظيمًا لشانه، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله، الدَّاعِي إلى جَنَّتِهِ

(١) أخرجه الترمذي (٥١٢/٢)، رقم (٦١٤) وقال: حسن غريب.

(٢) أخرجه مسلم (٧٠٣/٢)، رقم (١٠١٥).

ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْمُصَلِّينَ: قد يقول قائلٌ: أنا أؤجر الناس ولا أعلم عن حالهم شيئاً.

والجواب: أن من لم يعلم فليس بمؤاخِذٍ حتى يعلم، فإذا غلب على ظنُّك الشرُّ، أو جاءك من الناصحين، وأخبرك أن استراحتك فيها أمورٌ لا ترضي الله؛ فعليك بالنَّشْط، وهنا يجب عليك التأكُّد، ولكن يبقى -عباد الله- موالاةُ المؤمنين، والنصحُ لهم، والحبُّ لهم ما تحبه لنفسك.

هؤلاء إخوتك وأبناء إخوتك، ألا تحبُّ الخيرَ لهم؟ هل تنام مُرتاح البال وأنت لا تعلمُ عن استراحتك، هل كانت سبباً في الموبقات والسهرات؟

نسمع عن واقعٍ قليلٍ من هذه الاستراحات ما لا يرضي الله، أين غَيْرُتُكَ لدين ربِّك؟ إن من كمال الإيمان أن يقوم صاحبُ الاستراحة باختيار مَنْ يُؤجِّرُهُمْ أو يَظهرُ عليهم مظاهرُ العقل والرشد والرجولة، لقد نصَّ الفقهاء على تحريم بيع العنب لمن يغلب على ظنُّه أنه يتخذُه خمرًا، مع أنَّ البيع حلالٌ.

روى ابنُ سيرين أنَّ قِيَمًا كان لسعد بن أبي وقاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أرض له، فأخبره عن عنبٍ أنه لا يصلح زبيبا، ولا يصلح أن يُباع إلا لمن يعصرُه، فأمره بقلعه، وقال: «بئس الشَّيْخُ أنا إن بعْتُ الخمر»^(١)، فانظر إلى سعيد كيف جعل

(١) تنقيح التحقيق لابن عبد الهادي (٤ / ٨٨).

بيعه للعنب كأنه باع الخمر نفسه.

وقد روى الطبراني بإسناد حسن ابن حجر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ حَبَسَ الْعِنَبَ أَيَّامَ الْقَطَافِ حَتَّى يَبِيعَهُ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ أَوْ مِمَّنْ يَتَّخِذُهُ خَمْرًا، فَقَدْ تَقَحَّمَ النَّارَ عَلَى بَصِيرَةٍ»^(١)، فهو عامٌّ في كلِّ عقد قصد به الحرام.

قال ابن قدامة: «وهكذا الحكم في كلِّ ما قصد به الحرام، كبيع السلاح في الفتنة، أو لأهل الحرب، أو لقطاع الطريق، وبيع الأمة للغناء، أو إيجارها لذلك؛ فهو حرامٌ، والعقد باطل»^(٢).

نحنُ على بحرٍ واحد، وفي متن سفينة تسير، وليس من العقل أن نقول: دعوا الناس يفعلون فيها ما يشاؤون، ونحن نعلم أنهم يفسدونها ويهلكونها جميعًا، قال المعصوم كما في صحيح البخاري: «فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَّوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا»^(٣).

لتدركوا أن أهل الباطل عندما يدكُّوا بمعاول باطلهم سفينة النجاة التي يسير فيها المجتمع، إذا لم يؤخذ على أيديهم وتكسر معاويلهم، فإن الغرق يهدد المجتمع بأكمله.

وختامًا: على أولياء الأمور أن يتفقّدوا أولادهم، وأن يقوموا بأمانتهم التي أوجبها الله عليهم من متابعة أبنائهم، والتأكد من واقعهم، وزيارتهم في

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (٥/٢٩٤، رقم ٥٣٥٦).

(٢) المغني (٤/١٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢/٨٨٢، رقم ٢٣٦١).

استراحاتهم، وفي نصيحهم وتوجيههم.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ مَوْجِهاً ناصحاً الأولياء: «أَحْمَلُ
المسئولية أولياءهم أمام الله، ثم أمام مجتمعهم، أحمَلُ المسئولية لآبائهم الذين
استراحهم الله عَزَّوَجَلَّ عليهم، فإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَّلَ كُلَّ إنسانٍ
على أهله، أنت راع بوكالة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ،
وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١)، هل يمكن أن تنفك عن هذه الوكالة التي ألزمتك بها
رسول الله؟ لا يمكن، إذا: قم بالوكالة على الوجه المطلوب، وإلا فسُئِلَ:
﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، أين جوابك يوم
القيامة إذا لقيت الله عز وجل؟

ثم صَلُّوا وَسَلَّمُوا على رسولِ الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم
فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صَلِّ وَسَلِّمْ على نبيِّنا محمد، وعلى آله
وصحبه أجمعين، وارْضَ اللهم عن الخلفاء الراشدين، وَالْأئِمَّةِ المهديين أَبِي
بكرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، وعن الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وعنَّا معهم بعفوك وَكَرَمِكَ
يا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلامَ والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون
في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك
باليهود المعتدين، والنصارى المحاريين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا
يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عدداً.

(١) أخرجه البخاري (٨٤٨/٢)، رقم (٢٢٧٨)، ومسلم (١٤٥٩/٣)، رقم (١٨٢٩).

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَقِّفْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



التنافس على الدنيا

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ سُلَيْمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

مَعَشَرِ الْإِخْوَةِ: التَّنَافُسُ عَلَى الدُّنْيَا أَصْلٌ حَذَّرَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَصْبَحْنَا فِيهَا بَيْنَ أَنْفُسِنَا فِي سَبَاقِ مَحْمُومٍ، مَنْ يَمْلِكُ بَيْتًا أَجْمَلَ؟ وَمَنْ رَصِيدُهُ أَكْثَرُ؟ وَمَنْ مَلْبَسُهُ أَحْسَنُ؟ وَمَنْ سيارته أَفْضَلُ؟ أَصْبَحَ كَثِيرٌ مِنْنا يَتَنَافَسُ عَلَى الدُّنْيَا كَمَا الْإِدْمَانُ، وَلَيْتَهُ يَنْتَهِي، فَمَتَعَ الدُّنْيَا جَمَاهَا بِحَرَمَانِهَا، فَإِذَا مَلَكَتْهَا زَهَدَتْ فِيهَا.

كَمْ رَجُلٍ مُحْرُومٍ يَتَمَنَّى مَرْكَبًا، فَإِذَا مَا مَلَكَهُ سَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ وَأَصْبَحَ شُغُوفًا بِغَيْرِهِ الْمُحْرُومِ مِنْهُ؟! وَهَكَذَا.. فَالْحَرَمَانُ هُوَ مَنْ جَمَّلَ هَذِهِ الْمُتَع.

وَقَدْ حَذَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ التَّنَافُسِ عَلَى الدُّنْيَا، وَأَنْ تَكُونَ

هي معيارنا؛ فقد جاء في الصَّحِيحَيْنِ من حديث عمرو بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافُسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتُهُمْ»^(١)، فكيف وقد أدى التَّنَافُسُ على الدنيا إلى وقوع كثيرٍ منا في الحرام، فَمِنَ النَّاسِ من يكذب في بَيْعِهِ وشرائه، ومنهم من يحتكر الاحتكارَ المحرَّم، ومنهم من يأكل الرِّبَا، ومنهم من ملأ قلبه الحسدُ.

ونسي كثيرٌ مِنَ النَّاسِ أو تناسى المنافسة على الخير والطاعة، تناسوا دَارَ الْقَرَارِ، تناسوا النعيمَ المقيمَ والحقيقي، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَرَى مَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، أو مَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْعِلْمِ أو الْبِرِّ، وَلَا يَحْرُكُ فِيهِ شَيْئًا، بَلْ لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ أو أَحْسَنَ مِنْهُ، وَإِذَا رَأَى أَهْلَ الرِّيَاسَةِ أو الْمَالِ تَحَرَّكَتْ فِي نَفْسِهِ (لَوْ) وَالتَّمَنَّى.

وَلِنَنْظُرَ إِلَى هَذِهِ الْمُقَارَنَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فِي قِصَّةِ قَارُونَ حِينَمَا وَقَفَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَمَامَ فِتْنَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَقَفَّةَ الْمَأْخُودِ الْمَبْهُورِ الْمُتَهَاوِيِ الْمُتَهَافِتِ، وَوَقَفَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى تَسْتَعْلِي عَلَى هَذَا كُلِّهِ بِقِيَمَةِ الْإِيمَانِ، وَالرَّجَاءِ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَالْاعْتِرَازِ بِثَوَابِ اللَّهِ، وَالتَّقَتِ قِيَمَةُ الْمَالِ وَقِيَمَةُ الْإِيمَانِ فِي الْمِيزَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْآصْفِرُونَ ﴿٨٠﴾ [القصص: ٧٩ - ٨٠]، هَذَا هُوَ الْمُقْيَاسُ، ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ، إِنْ فَاتَكَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١٥٢، رقم ٢٩٨٨)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٣، رقم ٢٩٦١).

فلا تجزع، ولا تسخط؛ فما أعطاك الله من الإيمان خيرٌ من المتع التي أعطاك، ومن المتع التي منعك.

ليتحرك قلبك إذا فاتك الخير، إذا فاتتك الطاعة، ليتحرك التمني عند ذكر الدار الآخرة.

في كل زمانٍ ومكانٍ تستهوي زينة الأرض بعض القلوب، وتبهر الذين يريدون الحياة الدنيا، ولا يتطلعون إلى ما هو أعلى وأكرم منها؛ فلا يسألون بأيّ ثمنٍ اشترى صاحبُ الزينة زينته؟ ولا بأيّ الوسائل نال ما نال من عرض الحياة، من مالٍ أو منصبٍ أو جاهٍ؟ ومن ثم تتهافت نفوسهم وتهاوى، ويسيل لعابهم على ما في أيدي الممتعين، غير ناظرين إلى ما عند الله من النعيم، ولا إلى الأعطية الحقيقية، والتي هي الإيمان.

فأما المتصلون بالله فلهم ميزان آخر يُقِيمُ الحياة، وفي نفوسهم قيمٌ أخرى غير قيم المال والزينة والمتاع، وهم أعلى نفساً، وأكبر قلباً من أن يتهاووا ويتصاغروا أمام قيم الأرض جميعاً. ولهم من استعلائهم بالله عاصمٌ من التخاذل أمام جاه العباد. وهؤلاء هم ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [النحل: ٢٧]. العلم الصحيح الذي يقومون به الحياة حقّ التقويم.

في كل يومٍ نرى من يتنازل عن أخلاقه ومبادئه لهناً وراء دنيا دنيّة؛ بسبب التنافس على الدنيا واللّهث وراء ملذّاتها وغرورها، فقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«اتَّقُوا الدُّنْيَا»^(١)، وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟» قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافُسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَبَاغُضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ»^(٢).

ولهذا قال الله تعالى حينما ذكر مُتَع الدنيا في قوله: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَنَاقِبِ﴾ [آل عمران: ١٤]، بعد ذلك قال: ﴿قُلْ أُوْنِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]، وقال: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: ١٦ - ١٧]، وقال: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧]، وقال: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ﴾ [الحديد: ٢٠]، وقال: ﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النساء: ٧٧].

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٩٨، رقم ٢٧٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (٤/٢٢٧٤، رقم ٢٩٦٢).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَقُولُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ
الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله
إلا الله؛ تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنّته
ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه، أمّا بعد:

مَعَشَرِ الْإِخْوَةِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل أصلاً لا بُدَّ من
استحضاره، وهو الزُّهْدُ في الدنيا، فهو أصلٌ عظيمٌ جامعٌ، عملٌ به رسولُ الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته من بعده، غنيُّهم وفقيرُهم، وليسَ الزُّهْدُ - كما
يفهمه المتعجّلُ - الخروجُ من الدنيا، بل هو عَدَمُ الْجَزَعِ عَلَى مَا فَقَدْتَ، وَعَدَمُ
الْحَرْصِ عَلَى مَا مُنِعْتَ، وَعَدَمُ الْاِغْتِرَارِ عَلَى مَا مَلَكَتْ، بل قلبك متعلّقٌ بطاعةِ
الله، والتَّنَافُسِ عَلَى ذَلِكَ.

أين هؤلاء اللاهون وراء الدنيا من إرشادِ الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبدِ
الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والأمة بعده قال: أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بمنكبي فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وكان ابن عمر

يقول: «إِذَا أُمْسِيَتْ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمُسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»^(١)، وعن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجلٌ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله! ذلّني على عملٍ إذا عملته أحبّني الله وأحبّني الناسُ؟ فقال: «ارْزُقْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَارْزُقْ بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»^(٢)، قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «اشتمل هذا الحديث على وصيتين عظيمتين: الزهد في الدنيا، وأنه مقتضى لمحبة الله - عز وجل - لعبده. والثانية: الزهد فيما في أيدي الناس، وأنه مقتضى لمحبة الناس»^(٣).

أَوْ مَا عَلِمَ سَكَارَى الدُّنْيَا، وَأَسَارَى الْغَفْلَةِ حَقِيقَتَهَا، وَأَنَّهَا كَالسَّرَابِ يَتْبَعُهُ الْمَسَافِرُ، يُلَاحِظُهُ، وَيَجْرِي خَلْفَهُ، يَظُنُّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، وَهُوَ كُلَّمَا اقْتَرَبَ مِنْهُ ابْتَعَدَ وَابْتَعَدَ، حَتَّى يَتَوَارَى وَيَغِيبُ.

مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفْتِهِ، فَمَرَّ بِجَدِي أَسْكَ مَيْتٍ، فَتَنَاوَلَهُ، فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدْرُهُمْ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسْكَ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥٨/٥)، رقم (٦٠٥٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٣٧٣/٢)، رقم (٤١٠٢).

(٣) جامع العلوم والحكم ت الأرنبوط (١٧٧/٢).

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٧٢/٤)، رقم (٢٩٥٧).

نعم، إن هذه الدنيا التي تتنافس عليها في نظر الخبير بها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في نظر حبيبك وقودتك، في نظر المعصوم المؤيد بالوحي من السماء، إنها في ميزان خليل الرحمن أهونُ على الله من هوانِ جَدِّي أَسْكَ صغيرِ الأذنين في نظر بني البشر.

روى الترمذي وصححه وابنُ ماجه من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»^(١).

وأخرج مسلمٌ عن المُسْتَوْرِدِ بنِ شَدَادٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه -وأشار بالسبابة- في اليم فلينظر بم يرجع»^(٢).

وما أعظمَ هذا الحديث العظيم -لمن كان له قلب- في الحديث الذي رواه مسلمٌ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا بَنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا بَنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ! مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٦٠، رقم ٢٣٢٠)، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٦، رقم ٤١١٠)، والطبراني

(٦/ ١٥٧، رقم ٥٨٤٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٢٥، رقم ١٠٤٦٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٣، رقم ٢٨٥٨).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٦٢، رقم ٢٨٠٧).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ
فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي
بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أُمَمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَلَدِنَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

إذا خاصه فجر

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

مَعَشَرُ الْإِخْوَةِ: وصية جامعة وخُلة عظيمة جاءت في كلام رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكم هي تُداوي نفوسًا مريضةً عشعش فيها البغي والطُغيان؛ حتَّى اتصفت بالفجور في الخُصومة، فلا يوجد ميثاق شرفٍ في نفوس أولئك عند خُصومتهم، بل توقَّع منهم كلُّ شيء، نعم كلُّ شيء، فتصبح الوسائل كُلُّها مُباحةً ما دامت تُساعدُ على ردِّ اعتبارهم، أو أخذ حقِّهم المزعوم.

تيك الوصية النبوية جاءت فيما رواه البخاري ومسلم من حديث عبدِ الله بن عمرو، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا

خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدَّعَهَا: إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(١).

الله أكبر، وإذا خاصم فجر، قال النووي في شرح مسلم^(٢): «وإن خاصم فجر: أي مأل عن الحق، وقال الباطل والكذب، قال أهل اللغة: وأصلُ الفجور الميل عن القصد».

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري^(٣): «الفجور الميل عن الحق، والاحتياال في ردّه. والمراد أنه إذا خاصم أحدًا فعل كل السبل غير مشروعة، واحتال فيها حتى يأخذ الحق من خصمه، وهو بذلك مائل عن الصراط المستقيم. والحديث يرشد إلى الاعتدال في الخصومة، وأن الإنسان مهما كانت الخصومة لا بد أن يذكر ما له وما عليه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]» أ. هـ.

ولنتأمل قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، أي من أساء إليكم بالقول والفعل ﴿فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾، من غير زيادة منكم على ما أجراه معكم.

وما أجمل قصة أبي بكر وعمر حينما تلاحيا، وحدث بينهما خلاف، تأمل شرف الخصومة التي ضاعت عند كثير من الناس، وذلك فيما رواه

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢١، رقم ٣٤)، ومسلم (١/ ٧٨، رقم ٥٨).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٤٨).

(٣) فتح الباري (١/ ٩٠).

البخاري في صحيحه من حديث أبي الدرداء يَقُولُ: كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ مُحَاوَرَةً، فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ، فَانْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَبًا، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَنَحْنُ عِنْدَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ»، قَالَ: وَنَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَصَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرَ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي؟ هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي؟ إِنْ قُلْتُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا، فَقُلْتُمْ كَذَبْتُ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتُ»^(١).

انظر إلى دين أبي بكر، لم يستغلَّ محبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يستثير الرأي العامَّ مستغلًّا قُرْبَهُ من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن تكلم في حضرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي غياب عمر، وكذلك عمر لم يستغلَّ موقفه في الكلام على أبي بكرٍ بالسبِّ والشتم، إنها الأخلاق الكريمة.

ويذكرنا هذا بما حدث لزوجته العزيزة مع يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد أحبتَّه حبًّا شديدًا فاق الوصف، فلما حدث منها ما حدث، وفتح العزيز الباب ورأى ما رأى، خافت عليه من عقوبة العزيز، فبادرت بتحديد العقاب المأمون، حتى لا يتعجلَّ العزيزُ بقتله، فقالت: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٣٩)، رقم (٣٤٦١).

أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ [يوسف: ٢٥]، وكم كانت عجيبةً بهذا اللفظ الموجز، فهي لم تقل: ما جزاء يوسف الذي أراد بي سوءاً، فلم تكذب عليه، وإنما سألت معرّضةً، ثم تأمل قولها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ ﴿٢٦﴾ ولم تقل فعل، وإنما برّأته أن يكون حدث شيء بينهما، وبسبب هذه المقولة عُوقِبَ بالسجن، فهي تكلمت أمامه معرّضة على مرأى منه ومسمع، ولكنها لما سُئِلَتْ عن الحادثة في مَعْيِيهِ عجزت نفسها أن تكذب عليه، وأن تعرّض مرةً أخرى في حال غيابه، فما كان منها إلا أن قالت الحقيقة، قال الله: ﴿قَالَتْ أَمَرْتُ الْعَزِيزَ الْقَنَ حَصَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴿٥١﴾﴾ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف: ٥١-٥٢]، فمنعها من الكذب مرةً ثانية، أن يُوسَفَ غيرُ شاهدٍ وحاضرٍ، والله لا يهدي كيد الخائنين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله على إحسانه، والشكرُ له على توفيقه وامتنانه، وأشهدُ ألا إله إلا الله؛ تعظيماً لشانه، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله الدّاعي إلى جنّته

ورِضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه، أمّا بعدُ:

مَعَشَرُ الإِخْوَةِ: إِنَّا أَمَامَ نَكْسَةٍ عَظِيمَةٍ فِي شَرَفِ الْخُصُومَةِ، فَالرَّجُلُ مَعَ زَوْجَتِهِ إِذَا تَخَاصَمَا بَعْيًا عَلَى بَعْضٍ فِي الْحَدِيثِ، وَقُلُّ مِثْلَ ذَلِكَ مَعَ أَهْلِهِمْ؛ فَكُلُّ يَفْجُرُ فِي خُصُومَتِهِ، وَيَكْذِبُ، وَكَذَلِكَ الْمَدِيرُ مَعَ مُوظَّفِيهِ، وَصَاحِبُ الْحَقِّ مَعَ جَاحِدِهِ، وَمَنْ كَانَ فِي رِيْبٍ فَلَيْسَتْ مَعَهُ إِلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ لَهُ مُشْكَلَةٌ فِي مُحْكَمَةٍ، أَوْ إِدَارَةٍ، أَوْ نَحْوِهِمَا، كَثِيرٌ مِمَّنْ لَا يَفَرِّقُ بَيْنَ أَنْ تَطْلُبَ حَقَّكَ، وَبَيْنَ أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَى ظَالِمٍ بَاغٍ مَنَقَلِبٍ عَنِ الْخُلُقِ الرَّفِيعِ.

لَا بِأَسَّ أَنْ تَدَافِعَ عَنْ حَقُوقِكَ الْمَشْرُوعَةِ بِطَرِيقَةٍ مَشْرُوعَةٍ؛ وَاضِعًا نُصَبَ عَيْنُكَ الْعَدَالَةَ مَعَ الْخُصْمِ؛ حَتَّى لَا تَفْقِدَ تَوَازُنَكَ، وَتَخْرُجَ عَنِ الْأَدَبِ الشَّرْعِيِّ الَّذِي أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ، وَيَجِبُ أَنْ تَرْكُزَ عَلَى مَوْطِنِ الْخِلَافِ، وَعَلَى أُسَاسِ الْقَضِيَّةِ، وَأَنْ تَبْتَعِدَ عَنِ السَّبَابِ وَالشَّتَائِمِ الَّتِي لَا يَلِيقُ بِكَ إِتْيَانُهَا، وَأَنْ تَتَحَرَّى الصَّدْقَ فِي كُلِّ مَا تَقُولُهُ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ لَا يَرُدُّهُ الْبَاطِلُ، وَلَا يَعُودُ بِقَذْفِ الْآخَرِينَ، بَلْ يَعُودُ الْحَقُّ لِمُصَاحِبِهِ بِالْأَدِلِّ وَالْبَرَّهَانِ.

وَإِذَا رَأَيْتَ الْإِنْسَانَ فَاحْشَا مُتَفَحِّشًا مَعَ خُصُومِهِ، يَتَعَمَّدُ السَّبَّ وَالشَّتْمَ، وَيَسْتَعْرِضُ تَارِيخَ أَخِيهِ بِأَسْوَأِ مَا فِيهِ، وَيُعَيِّرُهُ بِكُلِّ نَقِيصَةٍ، سِوَا مَا كَانَتْ فِيهِ أَوْ لَيْسَتْ فِيهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ جَاهِلٌ وَظَالِمٌ، لَا يَخَافُ اللَّهَ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ الْحَقُّ لَهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ كَوْنَكَ صَاحِبَ حَقٍّ فَإِنَّ هَذَا لَا يُحِلُّ لَكَ أَنْ تَغْتَابَ وَتَبْهَتَ خُصْمَكَ، مَهْمَا كَانَ الْأَمْرُ، وَلَيْكِنْ قُدَّوْتِكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبِرْغَمِ مَا

تَعَرَّضَ لَهُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(١)، وهذه الرُّوح لا يَحْمِلُهَا إِلَّا الشُّرَفَاءُ مِنَ النَّاسِ.

وهذا عنتره وهو يقابلُ عدوّه في المعركة، لا يستحي أن يمدح عدوّه بما هو فيه، ويُخَلِّدُ ذِكْرَهُ، ببيت يقول فيه:

فَشَكَّتُ بِالرَّمْحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمَحْرَمٍ^(٢)

إن من الناس مَنْ لَكَ يَدٌ كَرِيمَةٌ عَلَيْهِ، أَوْ لَكَ حَقٌّ شَرْعِيٌّ عَلَيْهِ، كَالْوَالِدِ مَعَ وَلَدِهِ، وَالْأُسْتَاذِ مَعَ تَلْمِيزِهِ، وَصَاحِبِ الْمَعْرُوفِ وَالْيَدِ وَالْإِحْسَانِ فِي أَمْرِ مَا، فَإِذَا مَا خُوصِمَ أَوْ غُولِطَ أَوْ نُوزِعَ سَلَقَكَ بِالسَّنَةِ حَدَادٍ، وَنَسِيَ الْمَعْرُوفَ، وَلَمْ يُثَلِّقْ لَهُ بِالْأَلَا.

وَإِنَّكَ لَتَعَجَبُ مِنْ صَنِيعِ ذَلِكَ الْكَافِرِ فِي صَلَاحِ الْحَدِيثِيَّةِ، وَذَلِكَ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، حَيْثُ أُرْسِلَتْ قَرِيشُ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ لِيَكْلُمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قِتَالِهِ لِمَكَّةَ، فَجَعَلَ يُكْلِمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبَدِيلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيُّ مُحَمَّدٍ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاكَ أَهْلُهُ قَبْلَكَ؟ وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى؛ فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدْعَوْكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بِبَظَرٍ

(١) أخرجه ابن حبان (٣/ ٢٥٤، رقم ٩٧٣)، والطبراني (٦/ ١٢٠، رقم ٥٦٩٤) قال الهيثمي (٦/ ١١٧): رجاله رجال الصحيح. والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١٦٤، رقم ١٤٤٨).

(٢) البيت في ديوانه، (ص ٢١٠) ضمن معلقته، بلفظ «كَمَشَتْ» بدلا من «وشككت»، والمثبت في الأغاني (٩/ ٢٥٤).

اللات، أَنَحْنُ نَفِرُ عَنْهُ وَنَدْعُهُ؟ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ. قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْبُتُكَ، قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ السَّيْفُ، وَعَلَيْهِ الْمَغْفَرُ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةً بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ: أَخْرُ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَرَفَعَ عُرْوَةً رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ. فَقَالَ: أَيُّ غُدْرٍ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ؟ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحْبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا الْإِسْلَامُ فَأَقْبَلْ، وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ»^(١).

وختامًا أيها الإخوة لنحفظ ميثاق شرف الخصومة من خلال سنة رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولنتذكر أن الفجور في الخصومة خصلة من خصال المنافقين، وأن الفجور يهدي إلى النار.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُم رَبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٣٢، رقم ٣٩٤٤).

اللَّهُمَّ أعزِّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنًا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّهُمَّ وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدِّهم إليك ردًّا جميلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الابتزاز

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ٢ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

مَعَشَرِ الْإِخْوَةِ: ظاهرة خطيرة تُقْضُ المضاجع، أصبحنا في كل يوم نسمع قصة موجعة مؤلمة، وتكرر المأساة وإن اختلفت فصول القضية، إنها قضية الابتزاز التي يقوم بها الذئاب البشرية لاستجرار الفتيات، ولم تقتصر المشكلة على شاب خرجت معه وصورها وهددها، بل انتقلت إلى من استغل وظيفته التي تخولّه للحديث مع النساء، أو مخالطتهن، فخان الأمانة، والطامة القاصمة أن الأمر لم يتوقف على ذلك، بل قام بالابتزاز بغض الرقاة الذين يظهر منهم الصلاح والخير، فإذا ما وقعت القضية بدأ الوالدان يعضان أصابع الندم والحسرة.

ومن تأمل هذه القضايا وجدّها تشتت في سببين اثنين:

الأول: هو ضَعْف المتابعة، والإِهْمَال في التوجيه.

والثاني: هو التَّساهل في الدخول على الرجال بدون مُحَرَّم.

كَم من الآباء والأمهات قد ترك ابنته تلميذة للإعلام الهابط ومواقع الإنترنت، تقضي البنت فيه ساعاتٍ طويلة دون توجيه أو توعية ومراقبة، بل نقولها بكل مرارة ليت راقبها ورعاها كما يرعى ماله وممتلكاته، أَوْقَدَ نَسِي ما رواه البخاري ومسلم من حديث معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رِعْيَةً فَلَمْ يَحْطِهَا بِنَصْحِهِ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»^(١)، وفي رواية لمسلم: «ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ»^(٢).

وأيُّ غَشٍّ أعظم من أن تعرّض بنتك لخطر الابتزاز والفضيحة؟! هي ضعيفةٌ وتحتاج إلى والدتها، أين أنت عنها وقد رأيتها خرجت بملابس فاضحة، ومتطيبة بطيب جذاب، وهي ستنزول إلى السوق، أو المستشفيات أو الأماكن العامة.

روى النسائي في سننه وغيره عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٦/٢٦١٤، رقم ٦٧٣١)، ومسلم في (١/١٢٥، رقم ١٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (١/١٢٦، رقم ١٤٢).

(٣) أخرجه أحمد (٤/٤١٣، رقم ١٩٧٢٦)، والنسائي (٨/١٥٣، رقم ٥١٢٦)، والحاكم (٢/٤٣٠، رقم ٣٤٩٧)، وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي (٣/٢٤٦، رقم ٥٧٦٩)، وابن

ألم يشرع لنساء المؤمنين لبس الحجاب والتستر بالجلباب؟!

لماذا قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَجَكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]؟!

كل ذلك حماية وحفظاً لأهل بيته، وروى مسلمٌ في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»^(١).

وأخرج البخاري في صحيحه عن أم سلمة -رضي الله عنها-، قالت: استيقظ النبي من الليل، وهو يقول: «فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفَتَنِ وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ قُرْبَ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ»^(٢).

فهل يرضى أحدٌ لموليته أن تكون من أهل النار، أو أن تكون عارية يوم القيامة؟! وهل ترضى المرأة ذلك لنفسها؟! وهل يرضى الولي أن تكون زوجته أو بنته من أولئك؟!

وأما التساهل بالخلوة فحدث ولا حرج، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصَّحِيحَيْنِ من حديث ابن عباس عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا يَحُلُونَ

حبان (١٠/ ٢٧٠، رقم ٤٤٢٤).

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٨٠، رقم ٢١٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٥٤، رقم ١١٥).

رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحَرِّمٍ»^(١)، وهذا نهي مؤكّد بعدة مؤكّدات، يدل على عِظَم أمر الخلوة، وأنه من أعظم الأسباب لضياح العفة، وفي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالذُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحُمُو؟ قَالَ: «الْحُمُو الْمَوْتُ»^(٢).

فإذا كان هذا في الحُمُو الذي يحمل له حميّة، وبينهما وشائج القرابة، فكيف بمن لا يحمل هذه المعاني؟

أيها الوليُّ، إن الله جعلك راعياً على هذه الرعية، وسائلك عنها، وأعظم ما سيسألك عنه هو تَرْبِيَّتُهَا، وماذا فعلتَ من أجل استصلاحها، لا بد أن يتذكَّر الأب أنه قَوَّامٌ وليس قائماً، كما قال الله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنَاطَتْ حِفْظَتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، و (قوام) فعَالٌ للمبالغة، من القيام على الشيء، والاستبداد بالنظر فيه، وحفظه بالاجتهاد، كما قال المفسرون.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ودلت هذه الآية على تأديب الرجال نساءهم، فإذا حفظن حقوق الرجال فلا ينبغي أن يسئ الرجل عشرتها. و (قوام) فعال للمبالغة، من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه وحفظه بالاجتهاد. فقيام الرجال على النساء هو على هذا الحد، وهو أن يقوم بتدبيرها وتأديبها

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٩٤، رقم ٢٨٤٤)، ومسلم (٢/ ٩٧٨، رقم ١٣٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٠٥، رقم ٤٩٣٤)، ومسلم (٤/ ١٧١١، رقم ٢١٧٢).

وإمساكها في بيتها ومنعها من البروز، وأن عليها طاعته وقبول أمره ما لم تكن معصية»^(١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله؛ تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعدائه، أما بعد:

أيها الإخوة: أليس الله يقول: ﴿بَنَاتِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوَآ أَنفُسَكُنَّ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦]، فأولادكم عندكم موصى بهم، فمن قام بتلك الوصية فله جزيل الثواب، ومن ضيعها فهو مستحق العقاب والعقاب، وهذا مما يدل على أن الله -تعالى- أرحم بعباده من الوالدين، حيث أوصى الوالدين مع كمال شفقتهم عليهما.

(١) تفسير القرطبي (٥ / ١٦٩).

أيها الوالدان، إذا كان الله سيسأل العبد عن ماله، بل سيحاسبه عن القيام بشؤون دوابه، وقد عذبت امرأة في هَرَّتِها^(١)، فما بالكم بنعمة الأبناء؟!

ومن أعظم مظاهر التساهل ما نراه من ترك بعض الآباء ابنته تمشي مسافاتٍ على قدميها إلى الكلية أو المدرسة، هَلَّا تَذْكُرُوا أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج من معتكفه ليوصل صفيّة^(٢)، وهي صفيّة أمنا، وفي مجتمع الصحابة - رضي الله عنهم -، ومع ذلك لم يتركها تمشي وحدها.

ومن مظاهر التساهل هو ذهاب البنت وحدها إلى صديقاتها في البيوت للمذاكرة والريادة ونحوها، دون أن تعلم حال ذلك البيت، وواقعه وأخباره، وكم حدث من مأسٍ بسبب ذلك؟!

ولبّ الكلام عبادَ الله: اللهَ اللهَ في حفظ بناتكم، في خروجهن، وفي لباسهنّ، وجاهدوا في الله حق جهاده.

ثم صلّوا وسلّموا على رسولِ الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلّ وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليّ، وعن الصحابة أجمعين، وعنّا معهم بعفوك وكرمك

(١) عن أبي هريرة ؓ، قال رسول الله ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»، أخرجه البخاري (٣/ ١٢٠٥، عقب رقم ٣١٤٠)، ومسلم (٤/ ٢١١٠، رقم ٢٦١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١١٩٥، رقم ٣١٠٧)، ومسلم (٤/ ١٧١٢، رقم ٢١٧٥).

يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنًا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّهُمَّ وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدَّهم إليك ردًّا جميلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الاستقامة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله - عِبَادَ اللَّهِ - حق التقوى، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

كم كانت تلك المرأة مُسَدَّدَةً ومُلْهَمَةً حينما دخل عليها زوجها وحبيبها، وهو في حالة اضطرابٍ وخوفٍ، والدهشة قد بدت عليه، والكرب والغم قد استوليا على قلبه، فما كان منها إلا أن نطقت بكلام أزال غمّه، وخفف من خوفه، أتدرون مَنْ هِيَ تِيكَ الْمَرْأَةُ؟ ومن هو ذلك الزوج؟ إنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزوجه خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما في الصَّحِيحَيْنِ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ جَبْرِيْلُ، ورأى رسول الله ما رأى، رجع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة، فقال: «رَمَلُونِي

زَمَلُونِي». فزَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوعُ. قَالَ لَخَدِيجَةٌ: «أَيُّ خَدِيجَةٍ، مَا لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَتْ خَدِيجَةٌ: «كَلَّا، أَبَشِّرُ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»^(١).

كَمْ هُوَ عَجِيبٌ هَذَا الْكَلَامُ، عَرَفْتُ أَمَّنَا خَدِيجَةُ بِفَطَرَتِهَا أَنَّ اللَّهَ لَا يُخْزِي مَنْ اسْتَقَامَ عَلَى دِينِهِ، وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ هَا هِيَ تَقُولُ لَهُ: «كَلَّا» هَذَا تَأْكِيدٌ لِلنَّفْيِ، ثُمَّ بَشَّرَتْهُ وَطَيَّبَتْ خَاطِرَهُ، فَقَالَتْ لَهُ: «أَبَشِّرُ»، ثُمَّ أَقْسَمَتْ فَقَالَتْ: «وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ»، وَلَمْ تَكْتَفِ بِهَذَا، بَلْ أَبَدَتْهُ وَنَفَتْهُ مَدَى الدَّهْرِ، إِنَّ هَذَا الْأَصْلَ الْعَظِيمَ، وَهُوَ ثَوَابُ الْإِسْتِقَامَةِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ، أَصْلٌ عَظِيمٌ، كَرَّرَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا نَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [فصلت: ٣٠-٣١].

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يَحُثُّونَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَلَى الْخَيْرِ، وَيُزَيِّنُونَهُ لَهُمْ، وَيُرْهِبُونَهُمْ عَنِ الشَّرِّ، وَيُقَبِّحُونَهُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ لَهُمْ، وَيُثَبِّتُونَهُمْ عِنْدَ الْمَصَائِبِ وَالْمَخَافِ، وَخُصُوصًا عِنْدَ الْمَوْتِ وَشِدَّتِهِ، وَالْقَبْرِ وَظُلُمَتِهِ، وَفِي الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا، وَعَلَى الصِّرَاطِ، وَفِي الْجَنَّةِ، يَهْنِئُونَهُمْ بِكَرَامَةِ رَبِّهِمْ، وَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا

(١) أخرجه البخاري (٤/١٨٩٦)، رقم (٤٦٧٤)، ومسلم (١/١٤٣)، رقم (١).

صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الَّذِينَ ﴿الرعد: ٢٤﴾^(١).

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿[يونس: ٦٢ - ٦٤]، قال المفسرون: أما البشارة في الدنيا، فهي: الشاء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق.

وكيف لا ونفس أقامت علاقتها برّبها سنواتٍ عديدةً وهي تتعبّد وتصلّي وتزكّي، وقد أعرضت عن الفواحش والمال الحرام، وعن الزُّور، وقول الزُّور، ولم تظلم، وإذا أذنبت تابّت وأُنبِت، أي علاقة أعظم من هذه العلاقة؟!

نتذكر يوسفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كيف كانت علاقته مع ربّه جَلَّ وَعَلَا، فلمّا عرّضت عليه المرأة ما عرّضت، ووقع في نفسه ما وقع، قال الله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿[يوسف: ٢٤]، فذكر الله صفةَ يوسفَ، وامتدح علاقته به، وذكر عُنَايَتَهُ وَلُطْفَهُ وَحِفْظَهُ بقوله: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾، إن هذه الدلالات وغيرها تُذكّرنا بمبدأ دوام العبودية، والمجاهدة في دوام الاستقامة.

ولهذا وجّه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك الغلام الصغيرَ ابنَ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ حتى ينشأ ويتربّى عليه، كما في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره

(١) تفسير السعدي (ص ٧٤٨).

عن ابن عباس، قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، فقال: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ: أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(١).

ولقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم في صلاته كما عند أحمد: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ»^(٢).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُزُوبٌ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهدُ ألا إله إلا الله؛ تعظيماً لشانه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنّته

(١) أخرجه أحمد (٢٩٣/١، رقم ٢٦٦٩)، والترمذي (٤/٦٦٧، رقم ٢٥١٦).

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٢٣، رقم ١٧١٥٥).

ورِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَتِي فِي اللَّهِ: إِنَّ قَضِيَّةَ الْإِسْتِقَامَةِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَالثَّبَاتِ عَلَى الْمَبْدَأِ، وَعَدَمِ التَّأَثُّرِ بِالْمَتَغَيِّرَاتِ هِيَ سِمَاتُ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَأَهْلِ الْخَيْرِ، فَحِينَمَا تَرَى الرَّجُلَ بَعْدَ سَنِينَ وَهُوَ عَلَى الْعَهْدِ الْأَوَّلِ مِنَ الْحَرْصِ عَلَى الْخَيْرِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الشُّبْهِ، حِينَهَا تَذَرُكَ فَضْلَ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ، وَأَنَّهُ لَا زَالَ بِعِنَايَةِ اللَّهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «غَايَةُ الْكِرَامَةِ لُزُومُ الْإِسْتِقَامَةِ»^(١)، وَإِلَّا فَإِنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ طَالَ عَلَيْهِ الْعَهْدُ وَالْعَمْرُ، أَصْبَحَ هَذَا سَبَبَ تَغْيِيرِهِ يَذْكُرُنَا هَذَا بِقَوْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ تَرَكَ قَوْمَهُ عَلَى أَحْسَنِ مَا يَكُونُونَ، كَيْفَ وَقَدْ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ، وَتَعَرَّضُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِمَا تَعَرَّضُوا، وَمَعَ ذَلِكَ لَمَّا تَرَكَهُمْ لِلِقَاءِ رَبِّهِ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ بِتَرْيِينِ دُعَاةِ السُّوءِ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُمْ: ﴿يَقَوْمُ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ﴾ [طه: ٨٦].

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، قَالَ: مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ^(٢).

وَلَقَدْ كَانَ مِنْ هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُدَاوَمَةُ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَلَوْ كَانَتْ قَلِيلَةً؛ سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يُخْتَصُّ مِنَ الْأَيَّامِ شَيْئًا؟ قَالَتْ: لَا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وَأَيْكُمْ يُطِيقُ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يُطِيقُ؟! مَتَفَقُّ

(١) مجموع الفتاوى (١١ / ٢٩٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤ / ٢٣٢٠، رقم ٣٠٢٧).

عليه. وَيَقُولُ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» متفقٌ عليه^(١).

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَبَى قَوْمٌ الْمَدَاوِمَةَ، وَاللَّهُ مَا الْمُؤْمِنُ بِالَّذِي يَعْمَلُ الشَّهْرَ أَوْ الشَّهْرَيْنِ، أَوْ عَامًا أَوْ عَامَيْنِ، لَا وَاللَّهِ مَا جُعِلَ لِعَمَلِ الْمُؤْمِنِ أَجَلٌ دُونَ الْمَوْتِ»، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]^(٢).

وَإِنَّ الثَّبَاتَ عَلَى الطَّاعَةِ وَلُزُومَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ عَزِيزٌ وَعَظِيمٌ، لَا سِيَّمَا مَعَ فَسَادِ الزَّمَانِ وَكَثْرَةِ الْمُغْرِيَّاتِ وَتَتَابُعِ الشَّهَوَاتِ وَكَثْرَةِ الشُّبُهَاتِ وَضَعْفِ الْمُعِينِ وَكَثْرَةِ الْفِتَنِ الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا الْمُصْطَفَى بِقَوْلِهِ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُضْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُضْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» رواه مسلم^(٣).

فهنيئًا لمن قضى عمره في طاعة الله مُحَافِظًا عَلَى الصَّلَوَاتِ، مُؤَدِّيًا لِلزَّكَاةِ، صَائِمًا رَمَضَانَ، قَدْ قَضَى فَرِيضَةَ حَجِّهِ قَائِمًا بِأَعْظَمِ حَقٍّ بَعْدَ حَقِّ اللَّهِ، أَعْنِي حَقَّ الْوَالِدَيْنِ، قَدْ حَمَى جَسَدَهُ مِنَ الْحَرَامِ، وَأَكَلَ الْحَرَامَ، لَا يَعْرِفُ الظُّلْمَ وَالْبَغْيَ وَالْعُدْوَانَ وَالْفَوَاحِشَ، قَدْ أَقَامَ حَقَّ أَهْلِهِ وَأَبْنَائِهِ وَقَرَابَتِهِ، هَنِيئًا لَهُمْ بِوَعْدِ اللَّهِ يَوْمَ يُقَالُ لَهُمْ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤].

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ

(١) أخرجه البخاري (٢٣٧٣/٥)، رقم (٦١٠٠)، ومسلم (٥٤١/١)، رقم (٧٨٣).

(٢) الزهد لابن المبارك (ص: ٧)، والزهد لابن حنبل (ص: ٢٧٢).

(٣) أخرجه مسلم (١١٠/١)، رقم (١١٨).

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأُئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَلَدِنَا.

عباد الله! ﴿٩٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، فَادْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿٤٥﴾ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الاستقرار

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أثرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

مَعَشَرِ الْإِخْوَةِ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَصُولِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الشَّرِيعَةُ وَحَرِصَتْ عَلَى تَوْفُّرِهَا فِي الدَّوْلَةِ الْمُسْلِمَةِ مَبْدَأُ الْإِسْتِقْرَارِ بِأَنْوَاعِهِ الْمُخْتَلِفَةِ، مِنَ الْإِسْتِقْرَارِ السِّيَاسِيِّ، وَالْإِجْتِمَاعِيِّ، وَالْاِقْتِسَادِيِّ، وَالْأَسْرِيِّ، وَالنَّفْسِيِّ، وَلَقَدْ سَدَّتِ الشَّرِيعَةُ أَبْوَابَ الْفُوضَى وَالنِّزَاعِ سَدًّا حَاسِمًا، سِوَاءٍ فِي عِلَاقَةِ النَّاسِ مَعَ بَعْضِهِمْ مِنْ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ وَالْفُسَادِ وَالْبَغْيِ وَالْفُجُورِ، أَوْ فِي عِلَاقَةِ النَّاسِ مَعَ السُّلْطَةِ وَالْحَاكِمِ، وَكُلُّ هَذَا لِأَجْلِ الْإِسْتِقْرَارِ.

هَلْ هُنَاكَ أَعْظَمُ مِنْ أَمْرِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، وَمَعَ هَذَا تَأَمَّلُوا مِرَاعَاةَ الشَّرِيعَةِ لِلْإِسْتِقْرَارِ عَلَى حَسَابِ أَمْرِ الصَّلَاةِ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ،

قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أَمْرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا، أَوْ يُبَيِّتُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا». قَالَ: قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «صَلِّ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكَتْهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ، فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ»^(١).

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّهُ سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ أَمْرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مِيقَاتِهَا، وَيَخْتَفِقُونَهَا إِلَى شَرْقِ الْمَوْتَى، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ قَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ؛ فَصَلُّوا الصَّلَاةَ لِمِيقَاتِهَا، وَاجْعَلُوا صَلَاتَكُمْ مَعَهُمْ سُبْحَةً»^(٢).

والمقصودُ بتأخير الصلاة هنا تأخيرها عن وقتها المختار، وجمهورُ أهل العلم على تحريم تأخير الصلاة إلى وقتِ الضرورة من غير عذر، ومع هذا لم تجعل الشريعة هذا حُجَّةً لإحداث الفوضى والتفريط في نعمة الاستقرار.

وتأمل في الشريعة أيضاً عندما أخبرنا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الحاكم قد يستأثر لنفسه، أو لأقاربه ولَمَنْ أَرَادَ مِنْ رَعِيَّتِهِ دُونَ غَيْرِهِ، وَيُظْلِمُ النَّاسَ فِي الْعَطَاءِ، وَمَعَ هَذَا أَوْجَبَتِ الشَّرِيعَةُ مَصْلَحَةَ النَّظَرِ إِلَى الْإِسْتِقْرَارِ وَالْأَمْنِ، وَإِنْ اسْتَأْثَرَ بِالْأَمْوَالِ وَالْمَسَاكِينِ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمُنْشَطِ وَالْمُكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»^(٣)، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: «الْأَثَرَةُ هُوَ الْإِسْتِثَارُ»، أَي: يَسْتَأْثِرُ عَلَيْكُمْ بِأُمُورِ الدُّنْيَا، وَيُفَضِّلُ عَلَيْكُمْ غَيْرَكُمْ.

(١) أخرجه مسلم (١/٤٤٨)، رقم (٦٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (١/٣٧٩)، رقم (٥٣٤).

(٣) أخرجه مسلم (٣/١٤٧٠)، رقم (١٧٠٩).

وفي الصَّحِيحَيْنِ عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي أَثَرَةً، وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا»، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُّوا اللَّهَ حَقَّكُمْ»^(١).

هذه الأحاديثُ ونحوها من أحاديث السمع والطاعة ليست تقديسًا لحاكم، ولا لِلذَّاتِ الحَاكِمَةِ، وليست من التزلفِ والنفاق، كلا.. وإنَّما هو لِأَجْلِ مصلحةِ النَّاسِ واستقرارِهم، وإبعادِ الفوضى، وهكذا أحاديثُ تحريم الخروجِ على السُّلطانِ وقتالِ البُغاةِ، فإنَّ أهلَ العلم اتَّفَقُوا على أنَّهم مَنْ له تأويلٌ سائغٌ، ولهم مَنَعَةٌ وقوَّةٌ، ومع ذلك تأويلُهم لم يسوِّغْ لهم ذلك، ولم يسوِّغْ للناسِ عذرَهم، بل وجب قتالُهم، وأمر النَّاسِ بمعاونة السُّلطانِ في قتالِ البُغاةِ؛ لأنَّهم سيُحْدِثُونَ الفَوْضَى والاضْطرابَ في البلدِ، وزعزعة الاستقرار؛ فوجب قتالُهم كما نقله ابنُ قدامة^(٢).

إنَّ الاستقرار يُعدُّ بداهةً أحدَ أهمِّ المقوِّمات لنشر الشريعة والعلم والأمن، وحُدُوث التنمية الاقتصادية، وهذا يعني أنَّ اختلاله دليلٌ على اختلال مَسِيرَةِ التنمية، وأهمُّ أسباب التخلُّف في كثيرٍ من الدُّول النامية الاضطراباتُ السياسيَّةُ والاجتماعيَّةُ والاقتصاديَّةُ التي تسودُ فيها، إذا انتشرت الفوضى في بلدٍ فلا يملك أحدٌ إيقافها؛ لأنَّ الفوضى لا حدَّ لها، ولا عدَّ، فكيفَ إذا كان بيننا المتربِّص والمنافق، وقد فَتَحْنَا لهم مِيدَانَهُمْ وساحتَهُمْ. وما أَجْمَلَ حادثةَ المهاجرين والأنصار، فيما رواه الشيخان عن جابر

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٣١٨)، رقم (٣٤٠٨)، ومسلم (٣/ ١٤٧٢)، رقم (١٨٤٣).

(٢) المغني لابن قدامة (٨/ ٥٢٦).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا، حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ؟» ثُمَّ قَالَ: «مَا شَأْنُهُمْ؟» فَأُخْبِرَ بِكَسَعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ»، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنُ سَلُولَ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا؟! لَيْتَنَّا رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا تَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْحَبِيثَ؟ لِعَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»^(١).

فتأمل كيف بادَر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوَادِ الفوضى دونَ تردُّدٍ وانتظارٍ؟ وتأمل كيفَ حافظَ على الاستقرارِ؟ وذلكَ بحكمته من عدم التعرُّضِ للمنافقين، مع أنهم قالوا أخبث الكلام، ولكنَّ الرسولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تركَ هذا المصالحَ، منها الحفاظُ على الاستقرارِ، وعدمُ الفوضى.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٦١، رقم ٤٦٢٢)، ومسلم (٤/ ١٩٩٨، رقم ٢٥٨٤).

المسلمين مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهدُ ألا إله إلا الله؛ تعظيماً لشانه، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله الدَّاعي إلى جنَّته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه، أمَّا بعدُ:

معاشرَ المصلِّين: حينما نتكلَّم عن الفَوْضَى وانعدامِ الاستقرار، فإنَّنا نتكلَّم عن واحدٍ من أهمِّ مُكْتَسَبَاتِ الْحَيَاةِ، لَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ وَلَا مِنَ الشَّرْعِ أَنْ نَخْسِرَ هَذِهِ النِّعْمَةَ.

لمصلحة مَنْ؟ حينما تُوجَّهنا قنواتُ إعلاميَّة مُغرِضةٌ ووسائلُ اتِّصالٍ لمجاهيلٍ وحاقدين من أجلِ إحداثِ الفوضى، وشحنِ النَّاسِ على الدولة. ولمصلحة من؟ نشرُ هذه الشائعات المغرِضة.

مَنْ الْمُسْتَفِيدُ مِنْ رَفْعِ حَالَةِ الْاِحْتِقَانِ فِي الْمَجْتَمَعِ، وَإِصْدَارِ الْكَذِبِ. إذا كُنَّا مأمورين في حالِ الْفِتْنَةِ أَنْ نبتعدَ عنها، ونفِرَ منها، ولا نقربها وهي فتنةٌ حاصلةٌ واقعةٌ، فكيفَ بشائعاتٍ نتلقفها، بل وننشرها كما روى أحمدٌ بإسنادٍ صحيحٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ سَمِعَ بِالِدَّجَالِ فَلْيَنَأْ مِنْهُ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَلَا يَزَالُ بِهِ لَمَّا مَعَهُ مِنَ الشُّبْهِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ»^(١).

(١) أخرجه أحمد (٤/٤٣١، رقم ١٩٨٨٨)، وأبو داود (٤/١١٦، رقم ٤٣١٩).

إن بلدًا حافظ عليه آباؤنا وأجدادنا حتى وصل إلينا مستقرًا آمنًا انتشر فيه العلمُ وعَمِلُ الخيرِ والتنميةُ يتطلَّبُ مِنَّا أن نسلِّمه لأولادنا آمنًا مستقرًا، لا بلدًا ممتلئًا بالقلق والفتن، قد أفسدناه بسببِ استسلامنا لأهوائنا وشهواتنا وتركنا لشرِعةِ ربِّنا.

أَيُّلِقُ بنا أن يُحرِّكَ الشعبَ مُتربِّصُونَ مِنَ الخارجِ أو الداخلِ، في مجتمَعٍ يرفع قولَ الله وقولَ رسوله، إِنَّا إِذْنُ لظالمُونَ، أَيْنَ أمرُ الله بالاعتصام بحبلِ الله جميعًا، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]؟

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «فإنَّ في اجتماعِ المسلمين على دينهم، وائتلافِ قُلُوبِهِمْ يَصْلُحُ دينهم، وتصلحُ دُنياهم، وبالاتِّباعِ يتمكَّنون من كلِّ أمرٍ مِنَ الأمورِ، ويحصلُ لَهُمُ مِنَ المصالحِ التي تتوقَّفُ على الائتلافِ ما لا يُمكن عُدُّها، مِنَ التعاونِ على البرِّ والتَّقوى، كما أن بالاتِّفاقِ والتَّعادي يَخْتَلُّ نظامُهم، وتنقطعُ روابِطُهم، ويصيرُ كُلُّ واحدٍ يَعْمَلُ وَيَسْعَى في شهوةِ نَفْسِهِ، ولو أَدَّى إلى الضَّررِ العامِّ»^(١).

وقد صدَقَ رَحِمَهُ اللهُ، إذا انعدمَ الاستقرارُ تعادَى النَّاسُ، بل يتعادَى الإِخوةُ، ويضِيعُ النَّاسُ أَحْزَابًا وَشِيعًا مُخْتَلِفِينَ متفرِّقِينَ.

وأعظمُ الأسبابِ في المحافظةَ على الاستقرارِ هو الاحتِسابُ على أهلِ الفسادِ، وَرَفَعُ أمرِهِم إلى الجِهاَتِ المُختَصَّةِ، وكذلك نصيحةُ أولي الأمرِ؛ فإنَّهم أَوْلَى النَّاسِ بِذلكِ.

كَمْ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي نَرَاهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَا نَحْتَسِبُ عَلَيْهِ! بَلْ وَأَحْيَانًا
نُزَاوِلُهُ وَلَا نَرَى أَنَّنَا مُخْطِئُونَ.

هل رأيتم ذلك الذي يزرع الفتنة ويحرص على وأد استقرارنا، تكلم
مرة عن سلوكيات المجتمع الخاطئة؟! أم سلطوا كلامهم على ما يبيج الناس،
ويدعوا إلى إحداث الفوضى والنزاع.

لَمْ تَرَ كُوا بِلَادَ الْكُفَّارِ وَالرَّافِضَةِ، وَتَفَرَّغُوا الْبَلَدَ، وَاجْتَمَعْنَا؟

أَيْنَ هُمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ الْمُضْطَّهَدِينَ، لَيْسَ فِي مَعَاشِهِمْ، بَلْ فِي دِينِهِمْ، بَلْ
وَشَعَائِرِهِمُ الْخَاصَّةِ، وَلَيْسَتْ الْعَامَّةُ أَيْضًا؟ وَلَكِنَّ قَضِيَّتَهُمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَيْسَتْ
هِيَ الْإِسْلَامَ، وَإِنَّمَا قَضِيَّتُهُمْ هَوَى النَّفْسِ، وَمَا تَعْلَمُونَ.

حَمَى اللَّهُ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ، وَأَدَامَ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نِعْمَةَ
الْأَمْنِ وَالْإِسْتِقْرَارِ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ
فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي
بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ

باليهود المعتدين، والنصارى المحاريين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضال المسلمين، اللهم رُدِّهم إليك ردًّا جميلًا، اللهم ارفع ما نزل من الفتن، اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الأمر بالمعروف

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ فإنها وصية الله للأولين والآخرين، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

أيها المسلمون: رَوَى البخاريُّ ومسلمٌ من حديث زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا فَرِغًا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلُ لِّلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ، فَتَحَ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِثْلَ هَذِهِ»، وَحَلَقَ بِأَصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْهَكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ»^(١). إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ فَلَا يُنْكَرُ الْمُنْكَرُ، وَلَا يُؤْمَرُ بِالْمَعْرُوفِ، بَدَأَ يَسْرِى دَاءُ الْمُنْكَرَاتِ فِي الْمَجْتَمَعِ، وَيَسِيرُ سَيْرَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ، عِنْدَ ذَلِكَ تَرَى الْحَالَ الَّتِي تَسْتَوْجِبُ الْعُقُوبَةَ وَالْهَلَاكَ، فَلَا تَدْرِي أَيُّصَبُّهَا الْإِنْتِقَامُ أَمْ يُمَسِّئُهَا.

(١) أخرجه البخاري (٣/١٣١٧، رقم ٣٤٠٣)، ومسلم (٤/٢٢٠٨، رقم ٢٨٨٠).

إننا أمة مهتدة بالعقوبة، ليس أول من يهددها عدوها الخارجي، إنما نحن مهتدون من أنفسنا متى ما راج الباطل دون إنكار ومتى ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إن قوماً جاءتهم اللعنة على لسان أنبياء الله، لما أن صارت حالهم إلى تلك الحال، بل إنهم أنكروا المنكر في أول أمره، ولكنهم ألقوه، فما عاد بعضهم يُنكره على بعض.

روى الترمذي وحسنه، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النِّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فيقول: يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ، وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ».

ثم قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أَتَرَاكَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٨١].

ثم قال: «كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرْنَهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْضُرْنَهُ عَلَى الْحَقِّ قَضْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ»^(١).

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ١٢١، رقم ٤٣٣٦)، والترمذي (٥/ ٢٥٢، عقب رقم ٣٠٤٨)، وابن ماجه (٢/ ١٣٢٧، عقب رقم ٤٠٠٦).

نحن أمة مهتدة إن تركنا هذه الشعيرة، ولتأمل ما رواه الترمذي وحسنه من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»^(١)، سبحان الله، أي حرمان يعيش فيه ذاك المجتمع؟! وأي شيء يبقى له حين تُحجَب عنه أبواب الإجابة؟!

يا أمة محمد، يا خير أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، هل تُداري أهل الباطل وأهل المنكرات باسم التسامح والمدنية والتحضر، على حساب ديننا وأمننا، ورضاء ربنا، وبقاء مجدنا ووطننا؟

تأملوا كلام المعصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مثل ضربته لأمته، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»^(٢).

فتأملوا هذا المثل العظيم، لتدركوا أَنَّ أهل الباطل عندما يدُّونَ بمعاول باطلهم سفينة النجاة التي يسير فيها المجتمع إذا لم يؤخذ بأيديهم

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٩١، رقم ٢٣٣٧٥)، والترمذي (٤/ ٤٦٨، رقم ٢١٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٨٨٢، رقم ٢٣٦١).

وَتُكْسَرُ مَعَاوِلُهُمْ، فَإِنَّ الْغَرَقَ يَهْدُّ الْمُجْتَمَعَ بِأَكْمَلِهِ.

إِذَنْ: فَالْنَجَاةُ مِنْ ذَلِكَ بِتَحْقِيقِ تِلْكَ الشَّعِيرَةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (١٣) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿[هود: ١١٦-١١٧].

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «وَأَيُّ دِينٍ وَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَنْ يَرَى مُحَارِمَ اللَّهِ تُنْتَهَكُ وَحُدُودُهُ تُضَاعُ وَدِينُهُ يُتْرَكُ وَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْغَبُ عَنْهَا وَهُوَ بَارِدُ الْقَلْبِ سَاكِتُ اللِّسَانِ؟ شَيْطَانٌ أَخْرَسُ، كَمَا أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِالْبَاطِلِ شَيْطَانٌ نَاطِقٌ، وَهَلْ بَلِيَّةُ الدِّينِ إِلَّا مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ إِذَا سَلَّمَتْ لَهُمْ مَا كَلَّمَهُمْ وَرِيَّاسَاتِهِمْ فَلَا مُبَالَاةَ بِمَا جَرَى عَلَى الدِّينِ؟، وَخِيَارُهُمُ الْمُتَحَرِّزُ الْمُتَلَمِّظُ، وَلَوْ نَوَزَعَ فِي بَعْضِ مَا فِيهِ غَضَاضَةٌ عَلَيْهِ فِي جَاهِهِ أَوْ مَالِهِ بَذَلٌ وَتَبَذَلٌ وَجَدَّ وَاجْتَهَدَ، وَاسْتَعْمَلَ مَرَاتِبَ الْإِنْكَارِ الثَّلَاثَةِ بِحَسَبِ وَسْعِهِ. وَهَؤُلَاءِ - مَعَ سُقُوطِهِمْ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ وَمَقْتِ اللَّهِ هُمْ - قَدْ بُلُوا فِي الدُّنْيَا بِأَعْظَمِ بَلِيَّةٍ تَكُونُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، وَهُوَ مَوْتُ الْقُلُوبِ؛ فَإِنَّهُ الْقَلْبُ كُلَّمَا كَانَتْ حَيَاتُهُ أَتَمَّ كَانَ غَضَبُهُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أَقْوَى، وَانْتِصَارُهُ لِلدِّينِ أَكْمَلُ» (١).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿يَبْنَى أَقِيمِ الصَّلَاةَ وَامْرَأَ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ
إِلَّا اللهُ؛ تَعْظِيماً لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ
وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.
أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَتِي فِي اللهِ! إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، مِنْ أَوْجَبِ
وَاجِبَاتِ الشَّرْعِ، وَمَا الدِّينَ إِلَّا أَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَقَدْ فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى الْأُمَّةِ
فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: «مَنْ
رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ،
وَذَلِكَ أَوْعَى الْإِيمَانِ»^(١).

إِنَّ مِنْ انْتِكَاسِ الْمَفَاهِيمِ وَضَعْفِ الْإِنْتِمَاءِ أَنْ يُعْبَثَ بِمَفْهُومِ الْأَمْرِ
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى يَنْشَأَ نَشْءٌ يَفْهَمُونَ أَنَّ هَذِهِ الشَّعِيرَةَ مِنْ

(١) أخرجه مسلم (٦٩/١)، رقم (٤٩).

التدخل فيما لا يعنينا، وأنها ثقافتُ غابرةٌ، وأننا في عصرِ الحرِّيات، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقد أخبرنا الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحالهم، وأمرنا بمخالفتهم وجهادهم، كما روى مسلمٌ في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلَفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بَقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»^(١).

إذن هو جهاد عظيم، وعليه فلا تعجب إذا وجدت النفوس تستثقله، وأهل الرِّيب تكرُّهه، إنَّ ضعفَ هذه الشعيرة في مجتمع، لا يقفُ عند حدودِ هذا الضَّعف، بل المصيبةُ في ذلك مضاعفةٌ، حيثُ ينتج عن ذلك -لا محالة- قوَّةٌ شديدةٌ في الدعوة إلى المنكر وإبرازه وإحداثِ الحصانة له، بل يصلُ الأمرُ إلى الإكراهِ عليه، وينتج عنه أيضًا حربٌ للمعروف، وإيذاءٌ لأهله.

إن النفوس الضعيفة عندما تنقطع عنها لذائذُها المحرَّمة بتحقيق تلك الشعيرة في المجتمع تسعى جهدها لتهوين تلك الشعيرة، بإلقاء الشُّبهات والآراء الوافدة المستغربة، فتجدُّهم يدَّعون أن ذلك يُنافي الحرية الشخصية التي يتمتع بها كلُّ إنسانٍ.

ورحم الله الإمام أحمدَ عندما شخَّص هؤلاء قَبْلَ قرونٍ طويلة، قال عُمَرُ بْنُ صَالِحٍ: قال لي الإمامُ أَحْمَدُ: «يَا أَبَا حَفْصٍ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ

(١) أخرجه مسلم (١/ ٧٠، رقم ٥٠).

المؤمن بينهم مثل الجيفة، ويكون المنافق يُشار إليه بالأصابع، فقلت: يا أبا عبد الله، وكيف يشار إلى المنافق بالأصابع؟! فقال: يا أبا حفص صيروا أمر الله فضولاً. وقال: المؤمن إذا رأى أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر لم يصبر حتى يأمر وينهى، يعني قالوا: هذا فضول -أي يتدخل فيما لا يعنيه-. قال: والمنافق كل شيء يراه قال بيده على فمه. فقالوا: نعم الرجل، وليس بينه وبين الفضول عمل!«^(١).

وأعظم منكراً لا بد من الوقوف ضده هو ما يُحارب العقيدة والأمن الفكري والنفسي والجسدي للمجتمع؛ فإن هذا المنكر العظيم لا يُزاوئه إلا من يكيّد كيّداً عظيماً للمجتمع، فشمّر -يا رعاك الله- ﴿وَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

ولكن بقي بابٌ عظيمٌ لتنال رضا العظيم، وهو كيف تُنكر المنكر؟ وما الذي يجب فعله، وما الذي يحرم؟ وجوابه: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وقد استشار النبي صلى الله عليه وسلم في قتال الكفار، وأخذ مشورة غيره، فكيف بالإنكار على أهل الإسلام؟! فلا يُحسّنه إلا العلماء؛ لأن من الملاحظ أن الشباب تأخذهم الغيرة والحماص، ويتجاوزون الحد الشرعي للإنكار فيتحوّل أمرهم إلى منكر يحتاج إلى إنكار عليهم.

وكما أن الله يبتلي أهل الشرّ ببرود القلب بحصول المنكر، فكذلك يبتلي أهل الغيرة بالتسليم لأمر الله في درجات إنكار المنكر، فاصدقوا مع ولاة أموركم؛ فقد حملوكم أمانة النصيحة، فالمراسلة والمكاتبة كل يستطيعها، وهي

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للخلال رقم (٦٥).

تُبْرِي ذِمَّةَ الْعَبْدِ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَنَاصِحُوا الْمَسْئُولِينَ بِالْمُرَاسَلَةِ وَالْمُهَانَفَةِ وَالزِّيَارَةِ؛
فَهَذَا إِعْذَارٌ يُسْقِطُ الْوَاجِبَ بِحَمْدِ اللَّهِ، حَتَّى وَلَوْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْكَ، أَوْ لَمْ يُقَابِلْكَ،
فَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَتَوَلَّى صِغَارُ السِّنِّ الْأَمْرَ، فَيَخْطِطُونَ وَيَفْعَلُونَ، وَالْحَقُّ
أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ، وَأَعْظَمُ صِفَاتِ الْمَوْاطَنَةِ هُوَ أَنْ تَقُومَ بِالْتَذْكِيرِ وَالنُّصْحِ وَالشَّفَقَةِ
عَلَى النَّاسِ.

اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ
الْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَ بِلَادَنَا وَأَمْنَنَا وَعَقِيدَتَنَا بَسْوَءٍ فَأَشْغَلْهُ بِنَفْسِهِ، وَرُدَّ كَيْدَهُ
فِي نَحْرِهِ، اللَّهُمَّ وَلِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ خِيَارَهُمْ وَأَكْفِهِمْ شَرَّارَهُمْ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ
فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الاحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي
بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جميلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الانتحار

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ سُلَيْمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله أيها المسلمون والمسلمات، ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

مَعَشَرِ الْإِخْوَةِ: رَجُلٌ يُقَاتِلُ الْكُفَّارَ وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ أَتَّخَنَ فِي الْمَشْرِكِينَ الْقَتْلَ، وَمَعَ ذَلِكَ قَالَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُوَ فِي النَّارِ»، فَمَا جَرَمُهُ؟ وَأَيُّ جَرِيرَةٍ تَلَطَّخَتْ بِهَا يَدَاهُ؟!

روى البخاري ومسلم من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَاقْتُلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَسْكَرِهِ وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ لَا يَدْعُ لَهُمْ شَاذَةً وَلَا فَاذَةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْزَأُ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ، كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابُهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ أَنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الْأَرْضِ، وَذُبَابُهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَمُوتُ لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فَيَمُوتُ لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

الانتحارُ وقتل النفس واعتداء الإنسان على نفسه بقتلها جريمة كبرى، وكبيرة من عظام الذنوب، يترتب عليها العقابُ الأليم، والوعيد الشديد الذي جاءت به النصوص الشرعية التي بيّنت أنه من المحرمات ومن أعظم الكبائر.

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بِحُكْمٍ عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿النساء: ٢٩ - ٣٠﴾، وهذا وعيدٌ شديد لمن أقدم على ذلك.

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٦١، رقم ٢٧٤٢)، ومسلم (١/ ١٠٦، رقم ١١٢).

وروى البخاري في صحيحه عن الحسن، قال: حَدَّثَنَا جُنْدَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا الْمُسْجِدِ، فَمَا نَسِينَا، وَمَا نَخَافُ أَنْ يَكْذِبَ جُنْدَبُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كَانَ بَرَجُلٍ جِرَاحٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ اللَّهُ بَدَرْنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه عن ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ عَذَّبَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»^(٢).

وَالصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَخْنُقُ نَفْسَهُ يَخْنُقُهَا فِي النَّارِ وَالَّذِي يَطْعُنُهَا يَطْعُنُهَا فِي النَّارِ.

وَالصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَحَسَّى سُماً فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»^(٣).

فَدَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ مَنْ أَقْدَمَ عَلَى قَتْلِ نَفْسِهِ بَارْتِكَابِ أَحَدِ الْأَفْعَالِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، أَوْ مَا كَانَ فِي مَعْنَاهَا؛ فَإِنْ عَقوبته العذاب في جهنم بنفس الفعل الذي أجهز به على نفسه، فَمَنْ أَلْقَى نَفْسَهُ مِنْ مَكَانٍ عَالٍ مُرْتَفِعٍ، أَوْ مَوْقِعٍ شَاهِقٍ، أَوْ ضَرَبَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ كَالسَّيْفِ أَوْ السَّكِينِ أَوْ

(١) أخرجه البخاري (٤٥٩/١)، رقم (١٢٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٩/١)، رقم (١٢٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٧٩/٥)، رقم (٥٤٤٢)، ومسلم (١٠٣/١)، رقم (١٠٩).

المسدس أو نحو ذلك، أو تناول مادةً من المواد السامة القاتلة فأدى ذلك كله إلى موته؛ فإنه يُعَذَّب في النار بِفَعْلَتِهِ الشنعاء التي أقدم عليها.

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن قَاتَلَ نفسه لا يُصَلِّي عليه الإمام، ويصلي عليه بقيّة الناس؛ لأن النبي أُتِيَ برجلٍ قتل نفسه فلم يصل عليه. رواه مسلم^(١).

وجاء رجلٌ إلى رسولِ الله، فأخبره أنّه رأى رجلاً ينحرُ نفسه حتى مات، فقال: «أَنْتَ رَأَيْتَهُ؟» قال الرجل: نعم، قال: «إِذْنُ لَا أَصَلِّي عَلَيْهِ» رواه أبو داود^(٢)، فامتنع ولم ينه غيره أن يصلي عليه. وعند أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَنَّ رَجُلًا نَحَرَ نَفْسَهُ بِمِشْقَصٍ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)﴾ [التكوير: ٨ - ٩].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تَعْظِيمًا لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ

(١) أخرجه مسلم (٢/٦٧٣، رقم ٩٧٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٣/٢٠٦، رقم ٣١٨٥).

(٣) أخرجه أحمد (٥/٨٧، رقم ٢٠٨٣٥).

وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرُ الْإِخْوَةِ: هل يَذْري متعاطي المخدرات وآكلها أَنَّهُ على خطرٍ عظيمٍ من هذه العقوبات، قولوا بربِّكم: أَيُّ قَتْلٍ أَمْضَى مِنْ قَتْلِ الْحَشِيشِ وَالْهَرُوَيْنِ وَسَائِرِ السُّمُومِ؟! يَتَنَاوَلُهَا الشَّبَابُ وَيُلْقُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْهَلَكَةِ، وَيَتَسَبَّبُونَ بِقَتْلِ أَنْفُسِهِمْ، وَأَعَانُوا عَلَى قَتْلِهَا.

قال السعدي رحمه الله: «قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، ولا يقتل الإنسان نفسه. ويدخل في ذلك الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وفعل الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك»^(١).

وعند ذكر الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُحَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُحَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»^(٢)، تأملوا ماذا بَوَّبَ عليه وعنون له قال: «بَابُ شُرْبِ السُّمِّ وَالِدَّوَاءِ بِهِ وَبِمَا يُخَافُ مِنْهُ وَالْحَبِيثُ»

قال ابن حجر: «قوله: «وَمَا يُخَافُ مِنْهُ» أَيُّ مِنَ الْمَوْتِ بِهِ أَوْ اسْتِمْرَارِ الْمَرَضِ، فَيَكُونُ فَاعِلٌ ذَلِكَ قَدْ أَعَانَ عَلَى نَفْسِهِ»^(٣).

(١) تفسير السعدي (ص: ١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥/٢١٧٩، رقم ٥٤٤٢).

(٣) فتح الباري (١٠/٢٤٨).

وتأملوا هذه الفتوى للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، فيها تنبيهٌ لشباب المسلمين الَّذِينَ وَلَعُوا فِي المَخْدَرَاتِ وَسُومِهَا، قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «كُلُّ مَنْ تَسَبَّبَ فِي قَتْلِ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ يُعْتَبَرُ قَاتِلًا لِنَفْسِهِ، وكذلك مَنْ بَاشَرَ قَتْلَ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ قَاتِلٌ لِنَفْسِهِ، وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ فِي جَهَنَّمَ بِمَا قَتَلَ بِهِ نَفْسَهُ، مَنْ قَتَلَهَا بِسُومٍ فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ بِسُومٍ يَتَحَسَّاهُ فِي جَهَنَّمَ، وَإِنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ عُدَّ بِهَا فِي جَهَنَّمَ، وَكُلُّ وَسِيلَةٍ يَقْتُلُ بِهَا نَفْسَهُ فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ، والعياذ بالله، وكذلك مَنْ كَانَ سَبَبًا فِي قَتْلِ نَفْسِهِ بَأَنْ لَمْ يَتَعَمَّدِ القَتْلَ لَكِنْ فَعَلَ مَا هُوَ سَبَبٌ فِي القَتْلِ؛ فَإِنَّهُ يُعْتَبَرُ قَاتِلًا لِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ مَتَسَبَّبٌ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ كَالْمُبَاشِرِ فِي الإِثْمِ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، المهم أنه لَا يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَسَبَّبَ فِي قَتْلِ نَفْسِهِ بِأَيِّ سَبَبٍ كَانَ»^(١).

وهل يعلم الشباب الذين يتناولون المَخْدَرَاتِ أَنَّ أعداء الله قد تقصّدوا بلادَ المسلمينَ لإِهْلَاكِ شَبَابِهَا، وإِضْعَافِهِمْ، وقد صرّح المسؤولون في الدَّوْلَةِ أَنَّ النُّوعِيَّةَ الَّتِي تُرْسَلُ إِلَى بِلَادِنَا مُخْتَلِفَةً تَمَامًا عَمَّا يُصْنَعُ فِي بِلَادِ الْغَرْبِ، فَهِيَ أَقْوَى تَأْثِيرًا، وَأَمْضَى فِي إِهْلَاكِ النَّفْسِ، وَأَقْرَبُ مِثَالٍ عَلَى هَذَا حُبُوبِ (الكَبْتَاوُنِ)، أَصْبَحَتْ فِي عِدَادِ حُبُوبِ الإِدْمَانِ وَالْإِزْهَاقِ، وَوَجَدُوا أَنَّهَا مَخْلُوطَةٌ مَعَ أَمْرَاضٍ شَتَّى، لَا يُوجَدُ لَهَا عِلَاجٌ.

يَا عَجَبًا مِنْ شَابٍّ حَمَاهُ اللهُ سَنِينَ طَوِيلَةً عَنِ الْوُقُوعِ فِيهَا، وَبَعْدَمَا كَبُرَ وَزَادَ عَقْلُهُ وَإِدْرَاكُهُ إِذَا هُوَ يُرَدُّ إِلَى جَاهِلِيَّةِ اللَّامَسْئُولِيَّةِ.

(١) فتاوى نور على الدرب، فتوى رقم (٥٨٩٠).

لم - أخِي الحبيبَ - تُهْلِكُ نَفْسَكَ وتَقْتُلُ مُسْتَقْبَلَكَ، وتُهْدِرُ طاقَتَكَ بِيَدِكَ؟ هُنَاكَ مَنْ أَفْسَدَ مُسْتَقْبَلَهُ فَأَرَادَ إِفْسَادَكَ.
أَتَعْتَقِدُ هَذَا الصَّدِيقَ الَّذِي أَحَبَبْتَهُ، وَأَنْسَتَ إِلَيْهِ قَدْ مَحَضَكَ النَّصِيحَةَ حِينَمَا زَجَّكَ بِعَالَمِ الْمَخْدَرَاتِ وَالْحُبُوبِ وَالتَّدْخِينِ؟ أَتَرَاهُ يُوَدُّكَ؟ أَتَرَاهُ يَكْرَهُ مَضَرَّتَكَ؟

أَيُّ صَدِيقٍ هَذَا الَّذِي لَا يَدْفَعُ عَنِّي الضَّرَرَ، بَلْ عَلَى أَقْلٍ تَقْدِيرٍ لَا يَنْصَحُنِي بِتَرْكِ الشَّرِّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَأِنَّكَ لَمِنَ الْمُصْذِقِينَ ﴿٥٢﴾ إِذَا مَنَّآ وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا أَأَتَا لَمْدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطْلِعْ قَرْنَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتَزِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥١ - ٥٧]، أَيُّ مَعَكَ فِي الْعَذَابِ.

إِنَّ الشَّابَّ بِسَبَبِ قِلَّةِ تَجَارِبِهِ فِي الْحَيَاةِ لَا يُدْرِكُ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَسْرِقُ الْحَيَاةَ وَالِدِّينَ، كَمَا أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَسْرِقُ الْأَمْوَالَ، لَا يُدْرِكُ أَنَّ فِي الْحَيَاةِ أَنْفُسًا هَمُّهَا أَنْ لَا تَرَى سَعِيدًا مُسْتَقِيمًا مُعَاقٍ، مَاتَتْ فِي نَفْسِهَا مَعْنَى الْإِنْسَانِيَّةِ، وَانْتَقَلَتْ إِلَى حَيَاةٍ أُخْرَى كَمَا الْهِيمِ وَالْبَهَائِمِ، لَا طُمُوحٌ وَلَا هَدَفٌ، ضَاعَتْ وَتَاهَتْ أَهْدَافُهَا بَيْنَ الشَّرِّ وَالْأَشْرَارِ.

إِنَّ الْمَسْئُولِيَّةَ كَبِيرَةً عَلَى الْوَالِدَيْنِ فِي تَوْجِيهِ النُّصْحِ، كَمَا أَنَّ عَلَى الْأَوْلَادِ مَسْئُولِيَّةَ كَبِيرَةً فِي اسْتِمَاعِ النَّصِيحَةِ، وَالْأَخْذِ بِهَا.

وَنَصِيحَتِي إِلَى الْبَاعَةِ، وَمَنْ يَتَسَرَّ عَلَيْهِمْ، كَمْ قَتِيلًا قَتَلْتَ؟ وَكَمْ حَيَاةً دَمَّرْتَ؟ سَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنْفُسٌ كَثِيرَةٌ قَدْ أَخَذَتْ بِرَقَبَتِكَ تَقُولُ: «يَا رَبِّ سَلْ هَذَا لَمْ قَتَلْنِي»^(١)، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

(١) أخرجه الترمذی (٥/ ٢٤٠، رقم ٣٠٢٩)، والنسائی (٧/ ٨٧، رقم ٤٠٠٥)، وابن ماجه

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ
فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأُئِمَّةِ الْمُهَدِّدِينَ أَبِي
بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمَعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا
يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا
جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

التعصب القبلي والرياضي

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله -أيها المسلمون- حق تقاته، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

مَعَشَرُ الْإِخْوَةِ: روى الشيخان من حديث جابر بن عبد الله، يَقُولُ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، (أي ضربه ورفسه برجله من قفاه)، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ. فَقَالَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُتِنَةٌ»^(١).

قال القرطبي: «متنة: أي: مستخبثة، قبيحة؛ لأنها تثير الغضب على

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٦١، رقم ٤٦٢٢)، ومسلم (٤/ ١٩٩٨، رقم ٢٥٨٤).

غير الحق، والتقاتل على الباطل، ثم إنها تجرُّ إلى النار، كما قال: «من دعا بدعوى الجاهلية فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار»^(١).

إِنْ مِنْ أَوَّلِ الْقَضَايَا الْعَظِيمَةِ فِي شَيْمِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَخُلُقِهِمْ وَأُصُولِهِمْ فِي عَقَائِدِهِمْ هُوَ الْمَوْلَاةُ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى لِلْمُسْلِمِينَ، وَنَبْذُ كُلِّ دَعْوَى غَيْرِهَا، يَنْصُرُ لِأَجْلِهَا، وَيُقَاتِلُ عَلَيْهَا، وَيَكْرَهُ وَيُحِبُّ لِأَجْلِهَا، فَلَا نُصْرَةَ وَلَا مَقَاتَلَةَ وَلَا بَغْضَاءَ لِأَجْلِ قَبِيلَةٍ، أَوْ عَائِلَةٍ، أَوْ حِزْبٍ، أَوْ جَمَاعَةٍ، أَوْ فَرِيقٍ رِيَاضِيٍّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَكُلُّهَا دَعَاوَى جَاهِلِيَّةٌ مُتَنَتَّةٌ، وَيَلُّ ثُمَّ وَيَلُّ لِمَنْ تَلَبَّسَ بِهَا.

روى النسائي وصحَّحه ابنُ حِبَّانَ عن الحارثِ الأشعريِّ، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُنَاءِ جَهَنَّمَ» -أي من مجموع أهل جهنم- قال رجلٌ: يا رسول الله وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ قال: «نَعَمْ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمْ اللهُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ»^(٢).

فالقرطبي^(٣): «وقد أبدل الله من دعوى الجاهلية دعوى المسلمين، فينادى: يا للمسلمين» فإذا دعا بها المسلم وجبت إجابته، والكشفُ عن أمره على كلِّ مَنْ سَمِعَهُ؟ فَإِنْ ظَهَرَ أَنَّهُ مَظْلُومٌ نُصِرَ بِكُلِّ وَجْهِ مُمْكِنٍ شَرْعًا؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا دَعَا لِلْمُسْلِمِينَ لِيَنْصُرُوهُ عَلَى الْحَقِّ، وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا كُفِّ عَنِ الظُّلْمِ بِالْمَلَاظَفَةِ وَالرَّفْقِ، فَإِنْ نَفَعَ ذَلِكَ، وَإِلَّا أُخِذَ عَلَى يَدِهِ، وَكُفِّ عَنِ ظُلْمِهِ.

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٩/ ٣٢٦).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٤، رقم ٢٢٩٦١)، والنسائي في سننه الكبرى (٦/ ٤١٢، رقم ١١٣٤٩).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٩/ ٣٢٦).

فَإِنَّ «النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ، فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ: أَوْشَكَ أَنْ يُعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ يَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ»^(١).

لقد كان الناس في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعصَّبون لقبائلهم وأنسابهم، بل ويصل الأمر إلى القتال، فعالج الإسلام هذه الظاهرة بطرق كثيرة لانتشالها من المسلمين، فأصل لهم العلاقة الحقيقية للمسلمين، وأنهم كالجسد الواحد، وأنه «لا فضل لعربي على أعجمي»^(٢)، وأنَّ النُّصرة تكون للمظلوم كائنًا مَنْ كان، وعلى الظالم من أي قبيلة هو، وليس النُّصرة للعصبة وهي الأقارب والقبيلة، وسماها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «عصبة».

فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً فَقُتِلَ، فَقَتْلُهُ جَاهِلِيَّةٌ»^(٣)، العصبة هو الذي يغضب لعصبته، ويحامي عنهم.

والعصبة الأقارب، ولهذا روى أبو داود من حديث عن بنت وائلة بن الأسقع، أنها سمعت أباها يقول: قلت: يا رسول الله ما العصبة؟ قال: «أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ»^(٤).

(١) أخرجه أحمد (٢٠٢/٤)، وأبو داود (١٢٢/٤)، رقم (٤٣٣٨)، والترمذي (٢٥٧/٥)، وابن ماجه (١٣٢٧/٢)، رقم (٤٠٠٥).

(٢) أخرجه أحمد (٤١١/٥)، رقم (٢٣٥٣٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٤٧٦/٣)، رقم (١٨٤٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٣١/٤)، رقم (٥١١٩)، وابن ماجه (١٣٠٢/٢)، رقم (٣٩٤٩).

فإضافته إلى الجاهلية، وإضافة الموت كذلك إليه، يدلُّ على الذمِّ والحُرْمَةِ، وأَنَّهُ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ، قال ابن تيمية: «فقد دلَّت هذه الأحاديثُ على أن إضافة الأمر إلى الجاهلية يقتضي ذمَّه، والنهي عنه، وذلك يقتضي المنع من كلِّ أمور الجاهلية مطلقاً، ومثل هذا ما روى سعيدُ بنُ أبي سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فخرهم بأقوامٍ إنما هم فحَمٌ مِنْ فحَمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا التَّنَّ»، رواه أبو داود وغيره^(١)، وهو صحيح.

فإذا كان هذا التَّدَاعِي فِي الْأَسْمَاءِ، وفي هذا الانتساب الذي يحبه اللهُ ورسولُهُ، فكيف بالتعصُّب مطلقاً والتَّدَاعِي للنسب والإضافات التي ما هي إما مُبَاحَةٌ أو مكروهةٌ، وذلك أن الانتساب إلى الاسم الشرعي أحسنُ من الانتساب إلى غيره^(٢).

وقال الشافعي: «مَنْ أَظْهَرَ الْعَصَبِيَّةَ بِالْكَلَامِ، وَتَأَلَّفَ عَلَيْهَا، وَدَعَا إِلَيْهَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يُشْهِرُ نَفْسَهُ بِقِتَالِ فِيهَا فَهُوَ مَرْدُودُ الشَّهَادَةِ، لِأَنَّهُ أَتَى مُحَرَّمًا، لَا اخْتِلَافَ فِيهِ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِيمَا عَلِمْتُهُ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٥٢٣/٢)، رقم (١٠٧٩١)، وأبو داود (٣٣١/٤)، رقم (٥١١٦)، والترمذي (٧٣٥/٥)، رقم (٣٩٥٦).

(٢) اقتضاء الصراط (ص: ٧٢).

(٣) السنن الصغير للبيهقي (٤/ ١٨٤).

وقد جمع الله الناس بالإسلام، ونَسَبَهُمْ إِلَيْهِ؛ فهو أشرف أنسابهم، فإن أحب امرؤ فليحب عليه، وإن خَصَّ امرؤ بالمحبة ما لم يحمل على غيرهم ما ليس محلُّ له، فهذه صلة ليست بمعصية.

وقد قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما عند أبي داود: «مَنْ نَصَرَ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ فَهُوَ كَالْبَعِيرِ الَّذِي رُدِّيَ فَهُوَ يُنْزَعُ بِذَنْبِهِ»^(١). قال الخطابي: «معناه أنه قد وقع في الإثم، وهلك كالبعير إذا تردى في بئر فصار ينزع بذَنْبِهِ، ولا يقدر على الخلاص»^(٢).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سَمِعْتُمْ، وأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لي ولكم ولِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهدُ ألا إله إلا الله؛ تعظيماً لشانه، وأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

(١) أخرجه أبو داود (٣٣١ / ٤)، رقم (٥١١٧).

(٢) معالم السنن (٤ / ١٤٨).

مَعَشَرِ الإِخْوَةِ: إذا كانت هذه النصوصُ في تجريمٍ وتحريمٍ العصبية للقبيلة التي إليها تنتسبُ، ولدَيْتِها تحملُ، ولِصَلَتِها حقُّ، فكيف بالتعصُّب المقيت الذي يتجاوزُ الحدودَ والقيمَ في الرياضة، والذي لا يرضاه عاقلٌ، نسمع كثيرًا أنه يحدثُ في المباريات الرياضية شجارًا وقتالًا، ويتوفَّى العشراتُ، ويُجرَحُ مثلُهم، أليست هذه هي دعوى الجاهلية؟ أين الإسلامُ مما حدث بينهم؟ أين أُخُوَّةُ الإسلامِ في شجارٍ لم يكن سببُها اعتداءً أحدٍ على أحدٍ، ولا شتمَ أحدٍ لأحدٍ؟

بل لو كان الشجارُ وقع بين اللاعبين لكان الأمرُ أخفَّ على حُرْمَتِهِ، فكيف إذا كان الشجارُ واقعًا من المشاهدين الذين لا ناقةَ لهم ولا جمل؟!

ولكنَّ الحقيقةَ المرَّةَ هي هذا الشعورُ القلبيُّ للانتماء، وهذه القوَّةُ في الحبِّ الذي غلبت قوةَ أُخُوَّةِ الدِّينِ وهزَمَتْها، إنها شعورٌ قلبيٌّ دفع المشاهدَ إلى القتلِ، أيُّ شعورٍ هذا؟ وأيُّ انتماءٍ هذا؟ كيف سيُطرَّ هذا التعصُّبُ على انتهاكِ نفسٍ معصومةٍ؟ تعصُّبُ جرِّ الناسِ إلى ظُلمِ النَّاسِ، وجرُّهم إلى الوقوعِ في الأعراضِ، وانتهاكِ الحُرُماتِ، والحبِّ بسببه، والبُغضِ لأجله.

إن القضيةَ ليست في متابعةِ الرِّياضةِ، أو عدمِها، بل القضيةُ التي على عقلائنا، وعلى التَّربويِّين بخاصةٍ أن يَعتنُوا بها هي التعصُّبُ الرياضيُّ، كيف يُسيطرُ المتابعُ على مشاعره؟ وكيف يتغلَّبُ على نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ والهوى؟

لِنناقشِ القضيةَ مع أبنائنا؛ لِنُحاوِرْهُمْ عن معنى الهزيمةِ في الرياضةِ، ومعنى الانتصارِ، وبحمدِ الله فإنَّ النماذجَ التي حَكَمَتْ عقلَها ونظرَها هي

الغالبَةُ والطاغِيَةُ، ولكنَّ النَّارَ تَبْدَأُ من مُسْتَصَغِرِ الشَّرِّ، فَكَمْ مِنْ مَشْجَعٍ مَاتَ! وَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ مَرَضَ! وَكَمْ مِنْ صَدِيقَيْنِ تَقَاطَعَا! وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فَادْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الْفَرَجُ بَعْدَ الْكَرْبِ

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أثرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله -أيها المسلمون- حق تقاته، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ، إِنَّ مِنْ صِفَاتِ الْعَارِفِينَ بِاللَّهِ الْوَائِقِينَ بِهِ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ الظَّنَّ بِمَوْلَاهُمْ وَرَبِّهِمْ، بَلْ كُلَّمَا زَادَ الْكَرْبُ ازْدَادَتْ ثِقَتُهُمْ، فَعِلَاقَتُهُمْ بِرَبِّهِمْ لَيْسَتْ عِلَاقَةً تَجْرِبِيَّةً وَاجْتِبَارِيَّةً، بَلْ عِلَاقَةٌ ثِقَةٍ وَيَقِينٍ ثَابِتٍ لَا يَتَزَعَّرُ مَهْمَا اشْتَدَّ الْبَلَاءُ وَعَظُمَ الْهَمُّ وَكَبُرَتِ الْمُصِيبَةُ، هُمْ مَعَ اللَّهِ بِإِيمَانٍ وَاتِّكَالٍ.

وَمَا أَعْظَمَ يَقِينَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ! أَصَابَتْهُ الْمُصِيبَةُ الْأُولَى يُوْسُفَ فَقَالَ: ﴿وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿[يوسف: ١٨].

فوظيفتي سأحرصُ على القيام بها، وهي أَنِّي أَصْبِرُ عَلَى هذه المِحْنَةِ صَبْرًا جَمِيلًا سَالِمًا مِنَ السَّخَطِ وَالتَّشْكِي إِلَى الْخَلْقِ، وَأُسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، لَا عَلَى حَوْلِي وَقُوَّتِي.

ولما أَخَذَ وَلَدَهُ الثَّانِي، وَازْدَادَتْ مُصِيبَتُهُ اِزْدَادًا إِيمَانَهُ، وَازْدَادَ يَقِينُهُ بِفَرَجِ اللَّهِ، تَأَمَّلْ مَاذَا قَالَ لَمَّا أَخْبَرُوهُ بَوَلَدِهِ الثَّانِي: ﴿أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ (٨١) وَشَلَّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿يوسف: ٨١ - ٨٣﴾.

إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿يَبْنَئِ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكُفْرُونَ﴾ ﴿يوسف: ٨٧﴾، فَلَمْ يَيْأَسْ مِنْ لِقَاءِ يُوسُفَ، وَلَمْ يَقُلْ: عَظُمَتْ مُصِيبَتِي وَاشْتَدَّ بَلَائِي وَتَسَخَّطَ، بَلْ عَظُمَ رَجَاؤُهُ. بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ؛ فَإِنَّهُ آيَسٌ مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ وَفَرَجِهِ.

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكُفْرُونَ﴾: «فَإِنَّهُمْ لِكُفْرِهِمْ يَسْتَبْعِدُونَ رَحْمَتَهُ، وَرَحْمَتُهُ بَعِيدَةٌ مِنْهُمْ، فَلَا تَتَشَبَّهُوا بِالْكَافِرِينَ، وَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّهُ بِحَسَبِ إِيْمَانِ الْعَبْدِ يَكُونُ رَجَاؤُهُ لِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ» (١).

مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِحَقِّهِ فِرْعَوْنُ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيُنْزِلُ

عُقُوبَتُهُ عَلَيْهِ أَثْنَاءَ مُطَارَدَتِهِ، وَكَذَلِكَ قَوْمُهُ، لَكِنُّهُمْ بَلَّغُوا الْبَحْرَ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ فَرْجٌ مَادِّيٌّ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: ﴿إِنَّا لَمَذْرُكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، وَفَرَعُونَ قَدْ امْتَلَأَ عَلَيْنَا غَيْظًا وَغَضَبًا، لَكِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَدْرَكَ أَنَّهُ لَمَّا عَظُمَتِ الْمُصِيبَةُ، فَإِنْ فَرَجَهُ يَقْتَرِبُ، فَقَالَ: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

الله أكبر، مُطْمَئِنُّ الْقَلْبِ، سَاكِنُ الْبَالِ، قَدْ وَثِقَ بِوَعْدِ رَبِّهِ، وَهَذِهِ الْمَعَانِي جَاءَتْ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا غُلَامُ أَوْ يَا عَلِيْمٌ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ». فَقُلْتُ بَلَى فَقَالَ: «أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّرَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»^(١).

فَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ: «وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ». وَهُوَ بِمَعْنَى قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٢) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا [الشرح: ٥-٦]، بِشَارَةِ عَظِيمَةٍ، أَنَّهُ كُلَّمَا وَجَدَ عُسْرٌ وَصُعُوبَةٌ، فَإِنَّ الْيُسْرَ يُقَارِنُهُ وَيُصَاحِبُهُ، «حَتَّى لَوْ دَخَلَ الْعُسْرُ جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلَ عَلَيْهِ الْيُسْرُ، فَأَخْرَجَهُ»^(٣)، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ

(١) أخرجه أحمد (٣٠٧/١)، رقم (٢٨٠٤)، والترمذي (٦٦٧/٤)، رقم (٢٥١٦) وقال: حسن صحيح، واللفظ لأحمد.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (١٥/٥٠٢).

يُسْرًا ﴿[الطلاق: ٧].

قال ابن رَجَب^(١): «وَمِنْ لَطَائِفِ أَسْرَارِ اقْتِرَانِ الْفَرْجِ بِاشْتِدَادِ الْكَرْبِ أَنَّ الْكَرْبَ إِذَا اشْتَدَّ وَعَظُمَ وَتَنَاهَى وَجَدَ الْإِيَّاسُ مِنْ كَشْفِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَخْلُوقِ، وَوَقَعَ التَّعَلُّقُ بِالْخَالِقِ وَحْدَهُ، وَمِنْ انْقِطَاعِ عَنِ التَّعَلُّقِ بِالْخَلَائِقِ، وَتَعَلُّقِ بِالْخَالِقِ اسْتِجَابَ اللَّهُ لَهُ، وَكَشَفَ عَنْهُ، فَإِنَّ التَّوَكُّلَ هُوَ قَطْعُ الْاسْتِشْرَافِ بِالْيَأْسِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ».

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَقَدْ نَزَلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله؛ تَعْظِيمًا لِشَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

(١) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (١٧٣/٣).

مَعَشَرِ الْإِخْوَةِ، إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْكَرْبُ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ حِينَئِذٍ إِلَى مُجَاهَدَةِ الشَّيْطَانِ لِأَنَّهُ يَأْتِيهِ فَيَقْنَطُهُ وَيُسَخِّطُهُ، فَيَحْتَاجُ الْعَبْدُ إِلَى مُجَاهَدَتِهِ وَدَفْعِهِ، فَيَكُونُ ثَوَابُ مُجَاهَدَةِ عَدُوِّهِ وَدَفْعِهِ دَفْعَ الْبَلَاءِ عَنْهُ وَرَفْعَهُ.

ولهذا ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ يَقُولُ دَعْوَتِي رَبِّي فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»^(١).

بَلِ الْأَوَّلَى لَهُ الْأَيُّبِيُّ الظَّنَّ بِرَبِّهِ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يُبَيِّنَ الظَّنَّ بِنَفْسِهِ، فَيُلْقِي بِاللَّائِمَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَيَقُولُ لَهَا: إِنَّمَا أُتَيْتُ مِنْ قِبَلِكَ، وَلَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَأُجِبْتُ.

وهذا اللُّومُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَإِنَّهُ يُوجِبُ الْانْكَسَارَ لِرَبِّهِ، وَاعْتِرَافَهُ لَهُ بِأَنَّهُ لَيْسَ بِأَهْلٍ لِلْإِجَابَةِ، وَهَذِهِ الْحَالُ هِيَ الَّتِي تُوجِبُ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ -تَعَالَى- عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ، وَعَلَى قَدْرِ الْكَسْرِ يَكُونُ الْجَبْرُ.

فَيَا مَنْ ابْتُلِيَ بِمُصِيبَةٍ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ دَيْنٍ، أَوْ بَلَاءٍ، أَوْ هَمٍّ، ثِقْ بِرَبِّكَ وَإِنْ طَالَ أَمَدُ بَلَائِكَ، وَأَلِحَّ عَلَيْهِ بِالدُّعَاءِ، وَطَلَبِ الْمَعَاوَةِ.

وَمَا يَقَعُ لِإِخْوَانِنَا فِي سُورِيَا مِنْ بَلَاءٍ عَظِيمٍ وَتَقْصِيلٍ لِأَطْفَالِ الْحَوْلَةِ وَمَا قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا هُوَ -يَا ذُنَّ اللَّهِ- إِيْذَانٌ يَقْرُبُ الْفَرَجَ، وَازْتِفَاعُ الْكَرْبِ.

فَلْنَتَّقِ بِرَبَّنَا، وَلْنُحْسِنِ الظَّنَّ بِمَوْلَانَا، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٣٥، رقم ٥٩٨١)، ومسلم (٤/ ٢٠٩٦، رقم ٢٧٣٥).

وَتَأْمَلْ، فَاَلْمَخْرَجُ بَعْدَ التَّقْوَى، وَلَيْسَ قَبْلَهَا، فَكَمْ مِنْ سَائِلٍ عَنِ الْمَخْرَجِ وَهُوَ لَمْ يَتَّقِ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَيْمَةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَا فِي أَوْطَانِنَا، وَأُصْلِحْ أُمَمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فَادْكُرُوا اللَّهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِكُمْ يَزِدْكُمْ، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

القبر

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ نَسْلِيماً كَثِيراً، أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله -أيها المسلمون- حق تقاته، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢]..

مَعَشَرِ الْإِخْوَةِ، رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبَرُ سِتَّةٌ -أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ- فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبَرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: «فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ

عَذَابِ الْقَبْرِ...»^(١).

هل وقفنا مع أنفسنا وقفة تذكُّر؟ هل تذكَّرنا القبرَ وضِمَّتَه وضيقَه وظُلُمَتَه، أم أننا مشغولون بِدُنْيَانَا، حتى لم نجد لحظةً واحدةً، نتذكَّر فيها هذا الموقفَ العظيمَ.

كَمْ فَقَدْنَا مِنَ الْأَحْبَابِ، وَدَفَنَّا مِنَ الْأَصْحَابِ، ولم نعتبرْ بما صاروا إليه، أَوَّلَ لَيْلَةٍ فِي الْقَبْرِ هِيَ أَعْظَمُ لَيْلَةٍ، مَا أَوَائِلُهَا؟ وَمَا حَالُهَا؟ وَمَا وَحْشَتُهَا؟ كُنْتَ فِي قَصْرِ فَغَدَوْتَ إِلَى جُحْرٍ، وَكُنْتَ فِي نُورٍ فَغَدَوْتَ إِلَى ظُلْمَةٍ، وَكُنْتَ فِي مَأْمَنِ وَصِرْتَ إِلَى وَحْشَةٍ، وَكُنْتَ فِي أَهْلِ فَاَنْقَلَبْتَ إِلَى وَحْدَةٍ،

فَارَقْتُ مَوْضِعَ مَرْقَدِي يَوْمًا فَفَارَقَنِي السُّكُونُ
قُلْ لِي فَأَوَّلُ لَيْلَتِي فِي حُفْرَتِي أَنَّى تَكُونُ

روى البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحَيْهِمَا عَنْ ابْنِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ يَتَغَيَّرُ كُلُّ شَيْءٍ، فَلَسْتَ صَاحِبَ النَّسَبِ الَّذِي كُنْتَ تُفَاخِرُ بِهِ، وَلَسْتَ صَاحِبَ ذَلِكَ الْمَنْصَبِ الَّذِي كُنْتَ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنْ أَجْلِهِ، لَيْسَ مَعَكَ شَيْءٌ.

(١) أخرجه مسلم (٤/٢١٩٩، رقم ٢٨٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥/٢٣٨٨، رقم ٦١٥٠)، ومسلم (٤/٢١٩٩، رقم ٢٨٦٦).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ»، قَالَ: «يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَقْعَدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟»، قَالَ: «فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»، قَالَ: «فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ»، قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا». قَالَ قَتَادَةُ: وَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا، إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ^(١).

روى عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على المسند أن عثمان كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبُلَّ لِحْيَتَهُ، فقليل له: تَذَكُّرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»^(٢).

وقد علمنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ نَسْتَعِذَّ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا فَرَّغَ أَحَدُكُمْ مِنَ الشَّهَادَةِ الْآخِرَةِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(٣).

ولمسلم عن ابن عباس: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَعْلَمُهُمْ

(١) أخرجه البخاري (١١٣/٢)، رقم (١٣٣٨)، ومسلم (١٦١/٨)، رقم (٧٣١٨).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٦٣/١)، رقم (٤٥٤)، والترمذي (٥٥٣/٤)، رقم

(٢٣٠٨) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (١٤٢٦/٢)، رقم (٤٢٦٧).

(٣) أخرجه مسلم (٤١٢/١)، رقم (٥٨٨).

هَذَا الدُّعَاءُ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةُ مِنَ الْقُرْآنِ»^(١).

وروى ابن ماجه عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي جِنَازَةٍ فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: «يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا»^(٢).

وَإِذَا رَأَيْتَ الْقَبْرَ فَتَذَكَّرْ أَنَّ لَهُ مَنْظَرًا فَظِيْعًا، وَظُلْمَةً شَدِيدَةً، وَضَمَّةً وَضَغْطَةً.

أما المنظرُ الفَظيْعُ والهَوْلُ العَظِيمُ، فقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما عند الإمام أحمد: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا الْقَبْرُ أَفْطَعُ مِنْهُ»^(٣).

وأما الظُّلْمَةُ الشَّدِيدَةُ، فقد روى مُسْلِمٌ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ صَلَّى عَلَى قَبْرِ الْمَرْأَةِ الَّتِي كَانَتْ تَقُمُ الْمَسْجِدَ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»^(٤).

وأما الضَّمَّةُ والضَّغْطَةُ، فقد روى الإمام أحمد عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً، لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا نَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»^(٥).

وعند النسائي عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ فِي سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ،

(١) أخرجه مسلم (١/٤١٣، رقم ٥٩٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/١٤٠٣، رقم ٤١٩٥).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (١/٦٣، رقم ٤٥٤)، والترمذي (٤/٥٥٣، رقم ٢٣٠٨) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢/١٤٢٦، رقم ٤٢٦٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢/٦٥٩، رقم ٩٥٦).

(٥) أخرجه أحمد (٦/٩٨، رقم ٢٤٧٠٧).

وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضَمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ»^(١).

قال بعض العلماء^(٢): ضَغْطَةُ الْقَبْرِ: التَّقَاءُ جَانِبَيْهِ عَلَى جَسَدِ الْمَيِّتِ، وَلَا يَنْجُو مِنْهَا صَالِحٌ وَلَا طَالِحٌ غَيْرَ أَنَّ الْفَرْقَ فِيهَا دَوَامُ الضَّغْطِ لِلْكَافِرِ، وَحُصُولُهُ لِلْمُؤْمِنِ فِي أَوَّلِ نُزُولِهِ إِلَى قَبْرِهِ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْإِنْفِسَاحِ لَهُ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ بِالسَّمِيعِ الْعَلِيمِ ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله على إحسانِهِ، والشُّكْرُ له على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله؛ تعظيماً لسانِهِ، وأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

فِيَا مَعْشَرَ الْإِخْوَةِ، وَمِنْ أَعْظَمِ مَنْ صَوَّرَ لَنَا حَالَ الْقَبْرِ هَذَا الْحَدِيثُ الْعَجِيبُ، وَهُوَ الْعُمْدَةُ فِي هَذَا الْبَابِ، كَمَا عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَأَبِي دَاوُدَ وَابْنِ خُزَيْمَةَ وَالْحَاكِمِ وَغَيْرِهِمْ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ وَالْأَلْبَانِيُّ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ

(١) أخرجه النسائي (٤/ ١٠٠، رقم ٢٠٥٥).

(٢) انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي (٢/ ٥٠١).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا جَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُوْدٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ». مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِبُضِّ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وَجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ». قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مِنْكَ وَجِدْتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ». قَالَ: «فَيُصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُسَبِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عَلَيَّيْنِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أَخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى». قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟

فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ. قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيْبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِه مَدَّ بَصَرِهِ». قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرُ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تَوَعَّدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي». قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ - وفي رواية الفاجر - إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: آتَيْتُهَا النَّفْسَ الْخَبِيثَةَ، أَخْرَجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ». قَالَ: «فَتَفَرَّقَ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّقُودُ - وهي الحديدَةُ ذاتُ الشَّعْبِ الْمُعْقُوفَةِ - مِنَ الصُّوفِ الْمُبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جَبِفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَضَعُدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ». ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تُفْنَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، «فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ

مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيحٍ ﴿٣١﴾ [الحج: ٣١]، فَنَعَادُ رُوحَهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسُمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُتْنِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يُجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ^(١).

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُم رَبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا

(١) أخرجه أحمد (٢٨٧/٤، رقم ١٨٥٥٧)، وأبو داود (٢٣٩/٤، رقم ٤٧٥٣)، وابن خزيمة في التوحيد (ص ١١٩)، والحاكم (٩٨٩٣/١، رقم ١٠٧، ١١٧١٠٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

اللهم آمناً في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضال المسلمين، اللهم رُدِّهم إليك ردًّا جميلاً، اللهم ارفع ما نزل من الفتن، اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الخطأ يجب إنكاره

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فاتقوا الله - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

معاشر المصلين، لم يَمْنَعْ ذاك الكَهْلَ اليهوديَّ وقُوْعُهُ فِي الخطأ والخوفِ مِنْ شَبَحِ السُّؤَالِ الَّذِي لَا يُجِدِي: لِمَ تَفْعَلُ هَذَا إِذْن؟ بَأَنْ يَنْصَحَ وَلَدَهُ وَيُوجِّهَهُ إِلَى الصَّوَابِ، وَإِنْ كَانَ هُوَ لَمْ يَفْعَلْ مَا وَجَّهَ إِلَيْهِ.

تأملوا ما رواه البخاريُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرَضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُوذُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ». فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطِيعْ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٩٤، رقم ١٢٩٠).

انظروا إلى شجاعة الأب كيف قام بِمَحْضِ النصيحة في أمرٍ ليس كأيٍّ أمرٍ، ولم يَلْتَفِتْ إلى تَهْكُمِ الناسِ عليه، وانظروا إلى الابن كيف تَقَبَّلَ النصيحة دُونَ أَنْ يُشَوِّشَ عليها وَقَوْعُ أبيه في الخطأ.

إن هذا الموقف يُؤَصِّلُ فينا سُلُوكًا إيجابيًا، وهو أَنَّ الخطأ خطأ، فلا تَجْعَلْ مُقَارَفَتَنَا للخطأ سببًا في اهتزاز قناعاتنا، أو طريقًا لِتَبْرِيرِ مَوَاقِفِنَا الخاطئة.

إن تحذير الوالد لولده، أو الصديق لِصَدِيقِهِ مِنْ مَمارَسَاتِ مُحَرَّمَةٍ، وإن كان الناصح مُزَاوِلًا لهذا الخطأ دليلٌ نُضِجَ وَوَعِيَ وَخَوَّفَ مِنْ الله جَلَّ وَعَلَا. فكم تسمع مَنْ يُحَذِّرُ مِنَ الدُّخَانِ، مثلاً وهو يَشْرِبُهُ أو يُحَذِّرُ مِنْ إِهْمَالِ الدَّرَاسَةِ، وهو مُتَكَايِلٌ، وتَأَمَّلُوا هذه الآية العظيمة التي تُضِيءُ لَنَا تَأْصِيلَ هذا الأصلِ، وهو قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩].

فتأمل قوله: ﴿عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾، قال أبو محمد بن عطية رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ^(١): «قال حُذِّقُ أَهْلِ الْعِلْمِ: وَلَيْسَ مِنْ شَرِّ النَّاهِي أَنْ يَكُونَ سَلِيمًا عَنْ مَعْصِيَةٍ، بَلْ يَنْهِي الْعَصَاةَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَقَالَ بَعْضُ الْأُصُولِيِّينَ: فَرَضَ عَلَى الَّذِينَ يَتَعَاطَوْنَ الْكُتُوسَ أَنْ يَنْهَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَاسْتَدَلُّوا بِهَذِهِ الْآيَةِ، قَالُوا: لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ يَقْتَضِي اشْتِرَاكَهُمْ فِي الْفِعْلِ، وَذَمَّهُمْ عَلَى تَرْكِ التَّنَاهِي».

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٢٢٤).

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ^(١): «ولو لم يَنْهَ عن الشَّرِّ إِلَّا مَنْ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهُ، وَلَا أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ إِلَّا مَنْ اسْتَوْعَبَهُ لِمَا نَهَى أَحَدٌ عَنْ شَرٍّ، وَلَا أَمَرَ بِخَيْرٍ بَعْدَ النَّبِيِّ».

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «وَلَا يُشْتَرَطُ فِي الْأَمْرِ وَالنَّاهِي أَنْ يَكُونَ كَامِلَ الْحَالِ مُتَتَبِلًا مَا يَأْمُرُ بِهِ، مُجْتَنِبًا مَا يَنْهَى عَنْهُ، بَلْ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، وَإِنْ كَانَ مُحِلًّا بِمَا يَأْمُرُ بِهِ وَالنَّهْيُ، وَإِنْ كَانَ مُتَكَلِّسًا بِمَا يَنْهَى عَنْهُ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْئَانِ أَنْ يَأْمَرَ نَفْسَهُ وَيَنْهَاهَا وَيَأْمُرَ غَيْرَهُ وَيَنْهَاهُ فَإِذَا أَخْلَلَ بِأَحَدِهِمَا كَيْفَ يُبَاحُ لَهُ الْإِخْلَالُ بِالْآخِرِ».

وقال سعيد بن جبير^(٣): «لو كان المرء لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف، ولا نهى عن منكر».

قال الإمام مالك معلقاً على قول سعيد بن جبير: «ومن هذا الذي ليس فيه شيء»^(٤).

وَقَالَ الْحَسَنُ لِمُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: عِظْ أَصْحَابَكَ، فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَقُولَ مَا لَا أَفْعَلُ، قَالَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ! وَأَيُّنَا يَفْعَلُ مَا يَقُولُ! وَيَوَدُّ الشَّيْطَانُ أَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ بِهَذَا، فَلَمْ يَأْمُرْ أَحَدًا بِمَعْرُوفٍ، وَلَمْ يَنْهَ عَنْ مُنْكَرٍ^(٥).

(١) رسائل ابن حزم (١/٤١٣).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/٢٤).

(٣) موطأ مالك (١/٢٦٢).

(٤) المصدر السابق.

(٥) تفسير القرطبي (١/٣٦٧).

وقد يُشكّل على خاطرك قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، فيترك التوجيه والنصيحة بسبب هذه الآية، وهذا تصور خاطئ لمعنى الآية، فالمسلم بين واجبين: ترك المنهي، أو فعل الواجب، والثاني أمر الناس بالبر، ونهيهم عن الشر، فترك أحد الواجين ليس مُسوِّغاً لترك الآخر، والذم الوارد في النصوص إنما هو لترك المعروف، لا للأمر بالمعروف.

قال القرطبي رحمه الله^(١): «اعلم - وفّقك الله تعالى - أنّ التّوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البرّ، لا بسبب الأمر بالبرّ».

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفّعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سميتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كلّ ذنب وخطيئة، فاستغفروه وتوبوا إليه؛ إنّهُ هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله؛ تعظيماً لشانه، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنّته ورضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه، أمّا بعد:

إخوتي في الله، لنملك الشجاعة التي نحولنا لنقد أنفسنا وتصرفاتنا فإذا ملكنا هذه القوة، فإنه باستطاعتنا أن نزاوِل هذا الأصل، وهو النصيحة والتوجيه، ولو كان في شيء قد نَقَع فيه.

(١) تفسير القرطبي (١/٣٦٦).

معاشر المصلّين: إن من يقوم بالتوجيه مع وقوعه بالخطأ، وفي قلبه قناعة بخطئه، واعتراف بذنبه، وهو مبغض لحاله، ويتمنى زوال هذا الذنب عنه، إن هذا مقامه أعلى وأكبر من يحاول تبرير الخطأ لنفسه، أو الوقعة ممن ينهى عن هذا الخطأ، أو الوقوف أمام من يحاول إصلاح هذا الخطأ.

فإن من كان هذا حاله - أعني المعترف المقتصّر الراجي زوال هذا العيب، وهو يسأل الله أن يغفر له - حريٌّ بأن يوفق ويهتدي إلى الخير.

بل قال ابن تيمية رحمه الله كلاماً عظيماً أنقله بنصه^(١): «وَأَمَّا الْإِعْتِرَافُ بِالذَّنْبِ عَلَى وَجْهِ الْخُضُوعِ لِلَّهِ مِنْ غَيْرِ إِقْلَاعٍ عَنْهُ، فَهَذَا فِي نَفْسِ الْإِسْتِغْفَارِ الْمَجْرَدِ الَّذِي لَا تَوْبَةَ مَعَهُ وَهُوَ كَالَّذِي يَسْأَلُ اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ يَغْفِرَ لَهُ الذَّنْبَ مَعَ كَوْنِهِ لَمْ يَتُبْ مِنْهُ، وَهَذَا يَأْسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَا يَقْطَعُ بِالْمَغْفِرَةِ لَهُ، فَإِنَّهُ دَاعٍ دَعْوَةً مُجَرَّدَةً... فَمِثْلُ هَذَا الدُّعَاءِ قَدْ تَحْصُلُ مَعَهُ الْمَغْفِرَةُ وَإِذَا لَمْ تَحْصُلْ فَلَا بُدَّ أَنْ يَحْصُلَ مَعَهُ صَرَفُ شَرِّ آخِرٍ أَوْ حُصُولُ خَيْرٍ آخِرٍ فَهُوَ نَافِعٌ كَمَا يَنْفَعُ كُلُّ دُعَاءٍ».

فالمعترف بالذنب لا يُمْنَعُ أن يكون مُوجَّهاً ناصحاً.

وكم كانت النصيحة سبباً لتترك المحرمات، ومُعِيناً قوياً لفعل الواجبات، ولهذا قال شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالَفَكُمْ إِلَى مَا أَنَّهُكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

ثم صلُّوا وسلِّمُوا على رسولِ الهدى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم

فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّهُمَّ وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدِّهم إليك ردًّا جميلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الشورى

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

مَعَشَرِ الإِخْوَةِ، نَقْعُ فِي مُغَامِرَاتٍ وَنُفَاجَا بِسَقَطَاتٍ، وَتَحَوُّلَاتٍ عَنِيفَةٍ.

وَأَمَامَ النَّاسِ مَشَارِيعُ ضَخْمَةٌ، وَتِجَارَةٌ وَتَعْلِيمٌ، وَقَرَارَاتُ مَصِيرِيَّةٌ.

وَكَمْ فَجَآتِ الْمَفَاجَآتُ مَنْ لَمْ يُقَاسِ الْأُمُورَ، وَيَأْخُذْ بِأَعْظَمِ الْأَسْبَابِ.

الاستشارة في قاموس كثير من العقول تعني الجهل، وعدم البصيرة، وإظهار العيبة، وقلة التدبير.

وفي الوقت ذاته تُطالَعُكُ صحفٌ ومجلاتٌ تُطْرَحُ الآراءُ، ومداراتٌ حديثٌ في القنواتِ تُطْرَحُ الرَّأْيُ والرَّأْيُ الْمُعَاكِسُ، ومُقَابَلَاتٌ مع مشاهير الكلام، نَكِرَاتِ الرَّأْيِ والأَفْهَامِ.

والكارثة أنهم يتحدثون في قضايا مصيرية، أو تجارية، أو تربوية، ونحن نكتفي بما يُعرض على العقل في أول وهلة، دون تحييص واستشارة لأهل الخبرة.

أين نحن من تيك المرأة العاقلة التي سطر الله موقفها، وامتدح عقلها - أعني ملكة سبأ - لم تتخذ قراراً بشأن كتاب سليمان، حتى جمعت أهل الرأي من قومها واستشارتهم، ﴿قَالَتْ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي أَمْرٍ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾ [النمل: ٣٢].

وذكروا أن أهل الشورى عندها كانت عدتهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وجمال منطقها في أنها طرحت القضية بكل تجرد، وشرحت الحادثة بكلمات قليلة جداً، ولم تستخدم التأثير في منطقها لتؤثر على من سيُشير عليها.

قال القرطبي رحمه الله^(١): «فَأَخَذَتْ فِي حُسْنِ الْأَدَبِ مَعَ قَوْمِهَا، وَمُشَاوَرَتِهِمْ فِي أَمْرِهَا، وَأَعْلَمَتْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ مُطَرِّدٌ عِنْدَهَا فِي كُلِّ أَمْرٍ يُعْرَضُ بِقَوْلِهَا: ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾، فَكَيْفَ فِي هَذِهِ النَّازِلَةِ الْكُبْرَى، فَرَاغَهَا الْمَلَأُ بِمَا يُقَرُّ عَيْنُهَا، مِنْ إِعْلَامِهِمْ إِيَّاهَا بِالْقُوَّةِ وَالْبَأْسِ، ثُمَّ سَلَّمُوا الْأَمْرَ إِلَى نَظَرِهَا، وَهَذِهِ مُحَاوَرَةٌ حَسَنَةٌ مِنَ الْجَمِيعِ... لِتَخْتَبِرَ عَزْمَهُمْ عَلَى مُقَاوَمَةِ عَدُوِّهِمْ، وَحَزْمَهُمْ فِيمَا يُقِيمُ أَمْرَهُمْ، وَإِمْضَاءَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ لَهَا، بِعِلْمِهَا بِأَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَبْذُلُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَدِمَاءَهُمْ دُونَهَا، لَمْ يَكُنْ لَهَا طَاقَةٌ

(١) تفسير القرطبي (١٣/ ١٩٤).

بِمُقَاوَمَةِ عَدُوِّهَا، وَإِنْ لَمْ يَجْتَمِعْ أَمْرُهُمْ وَحَزْمُهُمْ وَجِدَّهُمْ، كَانَ ذَلِكَ عَوْنًا لِعَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ لَمْ تَخْتَبِرْ مَا عِنْدَهُمْ، وَتَعْلَمَ قَدَرُ عَزْمِهِمْ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَرُبَّمَا كَانَ فِي اسْتِبْدَادِهَا بِرَأْيِهَا وَهَنٌْ فِي طَاعَتِهَا، وَدَخِيلَةٌ فِي تَقْدِيرِ أَمْرِهِمْ، وَكَانَ فِي مُشَاوَرَتِهِمْ وَأَخْذِ رَأْيِهِمْ عَوْنٌ عَلَى مَا تُرِيدُهُ مِنْ قُوَّةٍ شَوْكَتِهِمْ، وَشِدَّةٍ مُدَافَعَتِهِمْ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِمْ فِي جَوَابِهِمْ: ﴿نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٣٣].

ومع ذلك قالت لهم -مُقْنَعَةٌ لَهُمْ عَنْ رَأْيِهِمْ، وَمُبَيِّنَةٌ سُوءَ مَغَبَّةِ الْقِتَالِ- ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [النمل: ٣٤]، قَتَلُوا وَأَسْرَأُوا وَنَهَبُوا لِمَوَالِهَا، وَتَخَرَّبُوا لِدِيَارِهَا، ﴿وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤]، أَي: جَعَلُوا الرُّؤَسَاءَ السَّادَةَ أَشْرَافَ النَّاسِ مِنَ الْأَذِلَّةِ، أَي: فَهَذَا رَأْيٌ غَيْرُ سَدِيدٍ، وَأَيْضًا فَلَسْتُ بِمُطِيعَةٍ لَهُ قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ، وَإِرْسَالِ مَنْ يَكْشِفُ عَنْ أَحْوَالِهِ وَيَتَدَبَّرُهَا، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهَا، فَقَالَتْ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥] منه. هل يستمر على رأيه وقوله؟ أم تَخْدَعُهُ الْهَدِيَّةُ، وَتَتَبَدَّلُ فِكْرُهُ، وَكَيْفَ أَحْوَالُهُ وَحَالُ جُنُودِهِ؟

الاستشارة أصلٌ في الإسلام قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال مادحًا خَيْرَ جِيلٍ: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

ولجلالة موقع المشورة ذكرها مقرونة بالإيمان، وإقامة الصلاة.

والتشاوُرُ ليس مقصورًا على قضية، أو مجالٍ مُحدد، بل حتى في القضايا الاجتماعية ونحوها، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ولهذا عَمَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مُشاوَرَةِ أصحابِهِ في أَسَارَى بَدْرٍ، فَقَدِ اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاقِفَ بَغْزَوَةٍ بِدْرٍ: الْأَوَّلُ قَبْلَ أَنْ تَبْدَأَ الْمَعْرَكَةُ، وَالثَّانِي أَثْنَاءَهَا، وَالثَّالِثُ بَعْدَ انْتِهَائِهَا، وَأَخَذَ بِمَشُورَةِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ بِحَفْرِ الْحَنْدَقِ.

وَأَخَذَ بِمَشُورَةِ أُمِّ سَلَمَةَ فِي مُعَاجَلَةِ تَأْخُرِ الصَّحَابَةِ فِي الِاسْتِجَابَةِ لِأَمْرِهِ لَهُمْ بِالتَّحَلُّلِ فِي صَلَاحِ الْحَدِيثِ.

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ: «لَوْ اجْتَمَعْتُمَا فِي مَشُورَةٍ مَا خَالَفْتُكُمَا»^(١).
قَالَ الْمُرُوزِيُّ^(٢): «كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ^(٣) لَا يَدْعُ الْمَشُورَةَ إِذَا كَانَ فِي أَمْرٍ، حَتَّى إِنْ كَانَ لِيُشَاوِرَ مَنْ هُوَ دُونَهُ».

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: «مَا نَزَلَتْ بِي قَطُّ عَظِيمَةٌ فَأَبْرَمْتُهَا حَتَّى أَشَاوِرَ عَشْرَةً مِنْ قُرَيْشٍ، فَإِنْ أَصَبْتُ كَانَ الْخُطُّ لِي دُونَهُمْ، وَإِنْ أَخْطَأْتُ لَمْ أَرْجِعْ عَلَى نَفْسِي بِلَائِمَةٍ»^(٤).

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْتَشِيرُ فِي الْأَمْرِ حَتَّى إِنْ كَانَ رُبَّمَا

(١) أخرجه حمد (٤/٢٢٧)، رقم (١٨٠٢٣).

(٢) الآداب الشرعية، لابن مفلح (١/٣٢٣).

(٣) يعني الإمام أحمد بن حنبل.

(٤) الآداب الشرعية، لابن مفلح (١/٣٢٧).

اسْتَشَارَ الْمَرْأَةَ فَأَبْصَرَ فِي رَأْيِهَا فَضْلاً^(١).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢) غَلِظَ الْقَلْبُ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تَعْظِيماً لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ، الشُّرَى تُنَمِّي الْمَعَارِفَ، وَتُقَوِّي الْأَوَاصِرَ بَيْنَ الْمُتَشَاوِرِينَ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا تَشَاوَرُوا شَعَرُوا بِأَنَّ أَمْرَهُمْ وَاحِدٌ، وَمَصْلَحَتُهُمْ مُشْتَرَكَةٌ، وَإِذَا شَعَرُوا بِذَلِكَ قَوِيَتِ الْمَحَبَّةُ، وَزَالَتِ الْعَدَاوَةُ.

ثُمَّ إِنْ اسْتَشَارْتَكَ لِأَخِيكَ تُوجِي إِلَيْهِ بِمُودَّتِكَ لَهُ، وَثِقَتِكَ بِهِ، وَذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْأُلْفَةِ.

(١) الآداب الشرعية، لابن مفلح (١/٣٢٨).

ولكن عند المشاورة لا بُدَّ أن تُعرَفَ مَنْ تُشاوِرُ، فكلُّ قضية تُشاوِرُ فيها صاحبُ الفنِّ والاختصاص.

ففي المسائل العلمية تشاورُ العالم، وفي القضايا الاجتماعية تشاورُ الشخصَ الذي خَبَرَ أحوالَ الناسَ، وله ذُرْبَةٌ في حَلِّ مشاكلهم، وهكذا، لأن المشورة استطلاع للرأي من ذوي الخبرة فيه للتوصل إلى أقرب الأمور للصواب.

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «شَاوِرْ فِي أَمْرِكَ مَنْ يَخَافُ اللَّهَ عَزَّجَلَّ»^(١).
وَقِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ عَبَسٍ مَا أَكْثَرَ صَوَابَكُمْ؟ قَالَ: نَحْنُ أَلْفٌ، وَفِينَا وَاحِدٌ حَازِمٌ، وَنَحْنُ نُشَاوِرُهُ وَنُطِيعُهُ، فَصِرْنَا أَلْفٌ حَازِمٍ^(٢).

كانوا لا يشاورون الجائع حتى يشبع، والعطشان حتى ينقع، والأسير حتى يُطلق، والمُضِلُّ حتى يَجِدَ، والراغب حتى يُمنَحَ.

وكان يقال: استَشِرْ عَدُوَّكَ العاقلَ، ولا تستَشِرْ صديقَكَ الأحمقَ، فإن العاقلَ يَتَّقِي على رأيه الزَّلَلَ كما يَتَّقِي الورعُ على دينِهِ الحَرَجَ.

وكان يقال: لا تُدْخِلْ في رأيِكَ بَخِيلًا فَيَقْصُرَ فِعْلُكَ، ولا جَبَانًا فَيُخَوِّفَكَ ما لا يُخَافُ، ولا حَرِيصًا فَيُبْعِدَكَ عما لا يُرْجَى.

ومن أعظم فوائد الاستشارة ما قاله ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ حيث قال^(٣):

(١) الآداب الشرعية، لابن مفلح (١/٣٢٧).

(٢) الآداب الشرعية، لابن مفلح (١/٣٢٧).

(٣) الآداب الشرعية، لابن مفلح (١/٣٢٥).

«وَمِنْ فَوَائِدِ الْمُشَاوَرَةِ أَنَّ الْمُشَاوِرَ إِذَا لَمْ يَنْجَحْ أَمْرُهُ عَلِمَ أَنَّ امْتِنَاعَ النَّجَاحِ مُحْضٌ قَدَرٌ، فَلَمْ يَلُمْ نَفْسَهُ».

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الِاسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهَدَايَةِ، وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَعْنَى بِرَأْيِهِ، وَالتَّذْيِيرُ قَبْلَ الْعَمَلِ يُؤَمِّنُكَ مِنَ النَّدَمِ»^(١).

وإنه لَعَجَبٌ عَظِيمٌ حينما ترى كثيراً من الشباب والرجال والنساء حينما يَعْتَدُّونَ بِأَرَائِهِمْ، بَلْ وَيَتَّقِصُّونَ أَرَاءَ مُحِبِّهِمْ مِنْ أَهْلِ الْخَبَرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالتَّجَرِبَةِ، وَيَتْرَكُونَ مَشُورَتَهُمْ بِحُجَجٍ وَاهِيَةٍ لَا تَقُومُ فِي سُوقِ الْعُقُولِ، فَإِذَا مَا تَبَيَّنَ الصَّبْحُ، وَبَانَتِ الْمَأْسَاءُ، أَخَذَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ، وَيَعْضُضُ أَصَابِعَ النَّدَمِ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ فِي سَعَةٍ مِنْ أَمْرِهِ.

وليكن منا على بالٍ أن الاستشارة غير خاصة بمن هم في منزلة العامة، بل على الخاصة أخص.

وإذا كان الله أَمَرَ نَبِيَّهِ بِالِاسْتِشَارَةِ فَغَيْرُهُ مِنْ بَابِ أَوْلَى، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢).

وإذا كان العالم النحرير، والحكيم الداهية، والقائد الحصيف لا يستغنون عن الشورى، فكيف بمن دُونَهُمْ، بَلْ كَيْفَ بِمَنْ كَانَ شَابًّا فِي مُقْتَبَلِ عُمُرِهِ، وَلَمْ تَصْلُبْ بَعْدُ قَنَاتُهُ، وَلَمْ تُحَنِّكُهُ التَّجَارِبُ؟

فأهل العلم يتشاورون في قضايا الفتوى، ومسائل الدين في بلدِهِمْ،

(١) الآداب الشرعية، لابن مفلح (١/٣٢٥).

(٢) انظر شرح النووي على مسلم (١٢/١٢٤).

وأهل الحِلِّ والعقدِ في البلدِ يتشاورون فيما يصلحُ لبلدِهِم، وما يخدمُ
مُجتمَعَهُم.

وختامًا أيها الإخوةُ ألا فليَتَّقِ اللهَ كُلُّ فردٍ يخوضُ ويُشيرُ فيما لا يُحسِنُهُ.

فَكَمُ هُمُ الذين يُشيرُونَ في مسائل الدين، وهُم لا يفقهون حديثًا.

وَكَمُ هُمُ الذين يخوضون في مجالِ الطَّبِّ والعلاجِ، ويُرجِفُونَ في
الأقاويلِ، ويَهْرِفُونَ بما لا يعرفون.

وَكَمُ هُمُ الذين يُشيرُونَ في قضايا الأسرةِ ومشاكلها، وهُم يُعَقِّدُونها
أشدَّ التعقيدِ.

وَكَمُ هي المآسي التي تُتَجَتُّ عن مَشُورَةِ جاهِلٍ أو أَحمَقٍّ، وكما قيل:

وإن بابُ أمرٍ عليك التَّوَى فشاوِرِ لَبِيبًا ولا تَعَصِهِ

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا على رَسولِ الهُدَى، وإمامِ الورى، فقد أمركم ربُّكم
فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آلِهِ
وصحبه أجمعين، وارْضَ اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين، والأئمةِ المهديين أبي
بكرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعليٍّ، وعنِ الصَّحابةِ أجمعين، وعنَّا معهم بعفوكِ وكرمكِ
يا أكرمَ الأكرمين.

اللَّهُمَّ أعزِّ الإسلامَ والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون
في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليكِ

باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللهم عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عددًا.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللهم تب على التائبين، واهد ضال المسلمين، اللهم رُدَّهم إليك ردًّا جميلًا، اللهم ارفع ما نزل من الفتن، اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الصَّبْرُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقْ وَيَصْرِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

مَعَشَرُ الْإِخْوَةِ: كَمْ يَرِقُّ قَلْبُكَ وَتَدْمَعُ عَيْنُكَ وَأَنْتَ تَرَى مَنْ ابْتُلِيَ بِذَنْبٍ، وَهُوَ يَخْشَى عَاقِبَتَهُ، يُصَارِعُ التَّوْبَةَ مِنْهُ، وَهُوَ مُتَمَكِّنٌ مِنْهُ، كَمْ هُمْ الَّذِينَ حَافِلُوا تَرْكَ الْمَخْذَرَاتِ وَالْحُمُورِ وَأَنْوَاعِ الشُّرُورِ، وَلَكِنَّهُمْ يَعُودُونَ، وَكَمْ هُمْ الَّذِينَ حَافِلُوا مِرَارًا تَرْكَ النَّظَرِ الْمُحَرَّمِ، مِنْ صُورِ الْمَوْمِسَاتِ الْحَيِّثَاتِ، وَالْأَفْلَامِ الْهَابِطَاتِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا زَالُوا فِي الْحَرَامِ سَامِدِينَ، وَكَمْ هُمْ الَّذِينَ فُتِنُوا بِأَمْوَالِ الْحَرَامِ وَأَكَلِهِ، وَأَخَذَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَتَضَيَّعَ أَمْوَالُهُمْ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُقْلَعَ عَنْ ذَنْبِهِ لَكِنَّ حُبَّ الْمَالِ يُنَازِعُهُ.

كُلُّ هَؤُلَاءِ وَغَيْرِهِمْ، بَلْ وَكُلُّ مَنْ لَمْ يَقَعْ مِنْهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى أَصْلِ مَتِينٍ عَظِيمٍ، إِيَّاكَ أَنْ تَغْفَلَ عَنْهُ، أَوْ تَبْدَأَ بِغَيْرِهِ إِلَّا وَهُوَ الصَّبْرُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ حَالُكَ

أنت الآن هو الصَّبرُ على المعصية، وهذا عَجِيبٌ وغريبٌ، كَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا يَضُرُّكَ وأنت لا تريده؟ فأنت صابرٌ عَلَى الْمَعْصِيَةِ كَمَا وَصَفَ اللَّهُ كُفَّارَ قُرَيْشٍ بقوله: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: ٤٢].

فَهُمْ صَابِرُونَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ يُنَازِعُونَ الْمَوَاجِهَةَ الَّتِي فِي نَفْسِهِمْ مِنْ دَوَاعِي الْفِطْرَةِ وَنَاصِعِ الْحُجَّةِ بِدَوَاءِ الصَّبْرِ عَلَى بَاطِلِهِمْ، فَهُمْ اسْتَخَذُمُوا الصَّبْرَ فِي غَيْرِ مَا هُوَ مُحْمُودٌ، فَإِذَا كُنْتَ صَابِرًا عَلَى الْمَعْصِيَةِ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ دَوَاعِي الْإِيمَانِ، وَمُنَازَعَةِ الْخَوْفِ مِنَ الرَّحْمَنِ بِسَبَبِ مُغَالَبَةِ الْهَوَى، فَأَبْدَلَهَا بِالصَّبْرِ عَنْهَا وَحُبِّهَا وَمُعَاقَرَتِهَا بِسَبَبِ حُبِّ اللَّهِ، وَخَوْفِ عِقَابِهِ.

إِنَّ الصَّبْرَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ، وَحِينَئِذٍ تَقُولُ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ يُلَوِّحُ أَمَامَ نَازِرِنَا مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ فِي السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظْلَهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: «سَبْعَةٌ يُظْلَهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١).

تَأَمَّلُوا هَؤُلَاءِ السَّبْعَةَ اجْتَمَعُوا فِي الصَّبْرِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، فَالْإِمَامُ الْعَادِلُ صَبَرَ عَنِ سَطْوَةِ الْمُلْكِ، وَجَبَرُوتِ النَّفْسِ وَظُلْمِهَا، وَالشَّابُّ الَّذِي نَشَأَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ صَبَرَ عَنِ صَبَوَةِ الشَّبَابِ وَمُرَاهِقَتِهِ، وَقِلَّةِ حِلْمِهِ، وَالرَّجُلُ الْمَعْلُوقُ قَلْبُهُ فِي الْمَسَاجِدِ صَبَرَ عَنْ مَلَذَّاتِ الدُّنْيَا وَلَهْوِهَا، وَتَعَلَّقَ فِي الْمَسْجِدِ، وَالرَّجُلُ الَّذِي

(١) أخرجه البخاري (٢٣٤/١)، رقم (٦٢٩)، ومسلم (٧١٥/٢)، رقم (١٠٣١).

دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حُسْنٍ وَجَمَالٍ، مَا الَّذِي خَلَّصَهُ إِلَّا الصَّبْرُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ،
وَالرَّجُلَانِ اللَّذَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ امْتَثَلَا أَمَرَ اللَّهُ
﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨].
فَصَبْرًا عَلَى ذَلِكَ مَعَ دَوَاعِي النَفْسِ وَحُطُوظِهَا، وَالرَّجُلُ الَّذِي تَصَدَّقَ
بِصِدْقَةٍ فَأَخْفَاهَا صَبَرَ عَنْ مُنَازَعَةِ الرِّيَاءِ وَحُبِّ الْمَدِيحِ وَالثَّنَاءِ، وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ
الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ صَبَرَ عَنْ نَفْسِ الدَّاعِي السَّابِقِ

لَيْتَكَ تَعْلَمُ أَيُّهَا الصَّابِرُ أَنْكَ مُجَاهِدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ لَا تَرْضَى بِأَجْرِ
المجاهدين، أَوْ لَا تَرْضَى بِمَنَازِلِهِمْ، إِنَّ صَبْرَكَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ كُلِّهَا قَوِي الدَّاعِي
كُلَّمَا عَظُمَ أَجْرُ جِهَادِكَ، فَمُجَاهَدَةُ النَّفْسِ وَالْمَعْصِيَةِ جِهَادٌ مِنْ أَعْلَى مَقَامَاتِ
المجاهدين، بَلْ هُوَ أَوَّلُ أَنْوَاعِ الْجِهَادِ وَهَذَا ابْتَدَأَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ مِنْ حَدِيثِ فُضَالَةَ بْنِ
عُبَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ»^(١). وَفِي رَوَايَةٍ: «مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ»^(٢). فَهَذَا الصَّبْرُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ
مَعَ قُوَّةِ الدَّاعِي، هُوَ جِهَادُ نَفْسٍ، وَهَوَى، وَشَيْطَانٍ، وَهُوَ أَفْرَضُ الْجِهَادِ قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].
﴿جَاهَدُوا فِينَا﴾. أَي: فِي طَلَبِ مَرْضَاتِنَا. قَالَ الْجُنَيْدُ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا﴾
أَهْوَاءَهُمْ، ﴿فِينَا﴾ بِالتَّوْبَةِ، ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾ سُبُلُ الْإِخْلَاصِ^(٣).

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ١٦٥، رقم ١٦٢١) وقال: حسن صحيح. وأحمد (٦/ ٢٠، رقم ٢٣٩٩٧).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٢١، رقم ٢٤٠٠٤).

(٣) ذكره ابن القيم في الفوائد (ص ٥٩).

وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَنْ سَأَلَهُ عَنِ الْجِهَادِ: «أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَاغْزُهَا، وَأَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَجَاهِذْهَا» ^(١). وعن عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: «أَوَّلُ مَا تُنْكِرُونَ مِنْ جِهَادِكُمْ أَنْفُسَكُمْ» ^(٢). وقال إبراهيم بن أبي عبلة لقوم جاءوا من الغزو: «قَدْ جِئْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ، فَمَا فَعَلْتُمْ فِي الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ؟». قَالُوا: وَمَا الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ؟ قَالَ: «جِهَادُ الْقَلْبِ» ^(٣). وقال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي وَصِيَّتِهِ لِعُمَرَ حِينَ اسْتَخْلَفَهُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا أُحْذَرُكَ نَفْسَكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ» ^(٤).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُغْفَبِ لَهُمُ الدَّارُ ۖ﴾ ^(٢٣) جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۖ﴾ [الرعد: ٢٢ - ٢٤].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٤ / ٣٥).

(٢) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١ / ٤٨٩).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦ / ٤٣٨).

(٤) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١ / ٤٩٠).

إِلَّا اللَّهُ؛ تَعْظِيمًا لِسَائِنِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ حِينَمَا نَتَكَلَّمُ عَنِ الصَّبْرِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ فَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ عَنْ عَائِدَةٍ عَظِيمَةٍ، فَلَيْسَ تَكْلِيفًا لَا فَائِدَةَ فِيهِ وَلَا مُكَافَأَةً، فَعَائِدَتُهُ فِي الدُّنْيَا الْإِعَانَةُ وَالنَّصْرُ وَالْمَعِيَّةُ، فَهَا هُوَ يَقُولُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وعَائِدَتُهُ فِي الْآخِرَةِ أَجْرُ الْجِهَادِ وَالصَّبْرِ وَهُمْ يُوفَوْنَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَفِي حَدِيثِ التِّرْمِذِيِّ الْمَشْهُورِ فِي وَصِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عَبَّاسٍ «وَأَعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكُرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»^(١).

فَالنَّصْرُ مَنْوُطٌ بِالصَّبْرِ فَإِنْ أُرِدْتَ أَنْ تَنْتَصِرَ عَلَى هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ فَتَسْلَخْ بِالصَّبْرِ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ^(٢): «وَهَذَا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ الظَّاهِرِ، وَهُوَ جِهَادُ الْكُفَّارِ، وَكَذَلِكَ جِهَادُ الْعَدُوِّ الْبَاطِنِ، هُوَ جِهَادُ النَّفْسِ وَالْهَوَى، فَإِنَّ جِهَادَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ ... فَهَذَا الْجِهَادُ يَحْتَاجُ أَيْضًا إِلَى صَبْرٍ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى مُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ وَهَوَاهُ وَشَيْطَانِهِ، غَلِبَهُ وَحَصَلَ لَهُ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ، وَمَلَكَ نَفْسَهُ، فَصَارَ عَزِيزًا مَلِكًا، وَمَنْ جَزَعَ وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى مُجَاهَدَةِ ذَلِكَ، غُلِبَ وَقُهِرَ وَأُسِرَ، وَصَارَ عَبْدًا ذَلِيلًا أَسِيرًا فِي يَدَيِ شَيْطَانِهِ وَهَوَاهُ، كَمَا قِيلَ:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَغْلِبْ هَوَاهُ أَقَامَهُ بِمَنْزِلَةٍ فِيهَا الْعَزِيزُ ذَلِيلٌ

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٨٠٣)، والترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب، رقم (٢٥١٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٩٠-٤٨٩).

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: «مَنْ صَبَرَ، فَمَا أَقَلَّ مَا يَصْبِرُ، وَمَنْ جَزَعَ فَمَا أَقَلَّ مَا يَتَمَتَّعُ».

فَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ» يَشْمَلُ النَّصْرَ فِي الْجِهَادَيْنِ: جِهَادِ الْعَدُوِّ الظَّاهِرِ، وَجِهَادِ الْعَدُوِّ الْبَاطِنِ، فَمَنْ صَبَرَ فِيهِمَا، نُصِرَ وَظَفِرَ بِعَدُوِّهِ، وَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ فِيهِمَا وَجَزَعَ، فَهَرَّ وَصَارَ أَسِيرًا لِعَدُوِّهِ أَوْ قَتِيلًا لَهُ.

لَكِنَّ الْمَشْكِلَةَ تَقَعُ فِي الْهَرِيمَةِ السَّاحِقَةِ وَهُوَ يَظُنُّ نَفْسَهُ أَقْوَى النَّاسِ وَأَشَجَعَ النَّاسِ، فَلَا وَاللَّهِ فَأَشَجَعُهُمْ مَنْ انتَصَرَ عَلَى نَفْسِهِ وَهَزَمَهَا، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ تَغْلِبُ وَتُغْلَبُ، أَمَّا أَنْ تَكُونَ مَهْزُومًا فَمَا ذُقْتَ طَعْمَ الْإِنْتِصَارِ.

وَلْيُعْلَمَ أَنَّ لِلنَّصْرِ أَسْبَابًا فَلَيْسَتْ عَزِيمَةً وَحَمَاسًا يَكْتَفِي بِهِ كُلُّ مَنْ أَرَادَ الْإِنْتِصَارَ عَلَى هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ وَالصَّبْرِ عَنْهَا، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ إِعْدَادٍ وَاسْتِعْدَادٍ وَتَضَحِّيَّاتٍ، فَقُلْ لِي كَيْفَ بَرَجُلٌ يُرِيدُ تَرْكَ الدُّخَانِ أَوِ الْمَخْذِرَاتِ وَهُوَ لَا زَالَ فِي رُفْقَةٍ تُعَاقِرُ هَذَا الْمُحَرَّمَ وَقَدْ تَبَلَّدَ إِحْسَاسُهُمْ عَنْ مُحَاسِبَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَأَنْتَ مَنْ اللَّهُ عَلَيْكَ بِحَيَاةِ الضَّمِيرِ كَيْفَ تُسَاوِي نَفْسَكَ بِهِمْ، عَبَثًا تَحَاوُلُ أَنْ تَتْرَكَ هَذَا الْمُحَرَّمَ وَأَنْتَ فِي رُفْقَتِهِمْ، ثُمَّ الْمَصِيبَةُ - وَهُوَ الْوَاقِعُ - إِذَا كَانُوا سَيِّئَهُكُمُْونَ بِكَ إِنْ حَاوَلْتَ تَرْكَهُ وَتَحَذُّلُونَكَ.

وَمِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْحِرْضُ عَلَى الْفَرَائِضِ مِنَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَغَيْرِهَا، فَمَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِمَّا افْتَرَضَهُ عَلَيْهِ، وَلِيَبْحَثَ عَنْ رُفْقَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ مُعَاقَرَةِ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ، أَتَرْكُهُمْ لِلَّهِ، وَتَذَكَّرَ كُلَّ لَحْظَةٍ أَنَّكَ مَا تَرَكْتَهُمْ إِلَّا لِلَّهِ، فَأَنْتَ فَرَزْتَ إِلَى اللَّهِ، أَفَتَرَى مَوْلَاكَ يَرُدُّكَ وَلَا يُعِينُكَ.

إِنَّ رَبَّكَ قَرَبٌ أَرْضًا ثَابِتَةً جَامِدَةً لَا تَتَحَرَّكَ بِأَعْيُنِنَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَقْبَلَهُ كَمَا فِي قِصَّةِ الرَّجُلِ الَّذِي قَتَلَ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ نَفْسًا^(١)، أَفَيْرُدُّكَ أَنْتَ، أَحْسِنِ الظَّنَّ بِاللَّهِ، وَاعْقِدِ الْعَزْمَ، وَابْذُلِ الْأَسْبَابَ، فَقَوَّالُ التَّائِبِينَ زَرَفَاتٌ، وَمَا أَكْثَرَ مَنْ أَقْلَعَ عَنْ ذَنْبٍ يَظُنُّ أَنَّهُ لَنْ يَتْرُكَهُ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

(١) أخرجه مسلم (٤/٢١١٩، رقم ٢٧٦٦).

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



نصر الله لأوليائه والتفاؤل

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. وَبَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - ﴿إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقْ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

مَعَشَرِ الْإِخْوَةِ: أَعْظَمُ فَشَلٍ وَأَكْبَرُ انْهِيَارٍ هُوَ انْهِيَارُ النَّفْسِ وَقُنُوطُهَا، وَنَسْيَانُ أَعْظَمِ حَبْلِ وَرَجَاءٍ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ وَنَصْرُهُ، كَرَّرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مَحَنَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاشْتِدَادَ الْبَلَاءِ عَلَيْهِمْ بِمَا لَا يُمْكِنُ لِلنَّفْسِ أَنْ تُطِيقَهُ، ثُمَّ يُتْبِعُهُ اللَّهُ بِالتَّطْمِينَاتِ الْعَجِيبَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَذِّرُ مِنْ دُخُولِ الْهَوَاجِسِ الْفَاسِدَةِ عَلَيْهِمْ لِيَجْعَلَهَا نَبْرَاسًا لَنَا فِي حَيَاتِنَا، وَمَعَ أَعْدَائِنَا، بَلْ وَمَعَ كُلِّ بَلَاءٍ.

أَيُّ تَصْوِيرٍ أَعْظَمَ مِنْ مَشْهَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ لِلْهَجْرَةِ حِينَمَا وَصَفَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ

إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْغَلِيظُ
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿[التوبة: ٤٠]، أي: إِلَّا تَنْصُرُوا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْكُمْ، لَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا، فَقَدْ نَصَرَهُ فِي أَقَلِّ مَا يَكُونُ
وَأَذَلَّهُ، ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْ مَكَّةَ لَمَّا هَمُّوا بِقَتْلِهِ، فَأَجْرُوهُ إِلَى أَنْ
يَخْرُجَ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عَارِ ثَوْرٍ فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَمَكَّنَا فِيهِ
لِيَخِيفَ عَنْهَا الطَّلَبُ.

فَهُمَا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ الْحَرِجَةِ الشَّدِيدَةِ، حِينَ انْتَشَرَ الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
يَطْلُبُونَهَا لِيَقْتُلُوهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا مِنْ نَصْرِهِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى الْبَالِ، ﴿إِذْ
يَقُولُ﴾ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿لِصَاحِبِهِ﴾ أَبِي بَكْرٍ لَمَّا حَزَنَ وَاشْتَدَّ قَلْقُهُ،
﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، بِعَوْنِهِ وَنَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ
سَكِينَتَهُ﴾ السَّكِينَةَ وَالثَّبَاتَ وَالطَّمَأْنِينَةَ، بَلْ ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ
تَرَوْهَا﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ، الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ حَرَسًا لَهُ، ﴿وَجَعَلَ
كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾، أي: السَّاقِطَةَ الْمَخْذُولَةَ، فَإِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا قَدْ كَانُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ، فِي ظَنِّهِمْ عَلَى قَتْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَأَخَذَهُ، حَنِيقِينَ عَلَيْهِ، فَعَمِلُوا غَايَةَ مَجْهُودِهِمْ فِي ذَلِكَ، فَخَذَهُمُ اللَّهُ، وَلَمْ يُتِمَّ هُمْ
مَقْصُودَهُمْ، بَلْ وَلَا أَدْرَكُوا شَيْئًا مِنْهُ.

وَنَصْرُ اللَّهِ - عِبَادَ اللَّهِ - عَلَى قِسْمَيْنِ:

الأول: نَصْرُ الْمُسْلِمِينَ إِذَا طَمِعُوا فِي عَدُوِّهِمْ، بِأَنْ يُتِمَّ اللَّهُ لَهُمْ مَا طَلَبُوا
وَقَصَدُوا، وَيَسْتَوَلُّوا عَلَى عَدُوِّهِمْ وَيُظْهِرُوا عَلَيْهِمُ.

والثاني: نصرُ المستضعف الذي طمع فيه عدوه القادر، فنصرُ الله إياه أن يرُدَّ عنه عدوه، ويدافع عنه، ولعلَّ هذا النصر أنفع النصرين، ونصرُ الله رسوله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين من هذا النوع.

موسى عليه السلام لما لحق به فرعون الطاغية، ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ﴾ (٦١) قَالَتْ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزَلْنَاهُم مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿الشعراء: ٦١ - ٦٦﴾.

نتذكر قصة الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود، وقد كانوا مُتَمَنِّعِينَ فِي حُصُونِهِمْ، حَتَّى وَصَفَ اللَّهُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْنَاهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]، فانظر بهم كان النصر بأن قذف الله في قلوب العدو الرعب، وهو الخوف الشديد، الذي هو جند الله الأكبر، الذي لا ينفع معه عدد ولا عدة، ولا قوة ولا شدة.

فالأمر الذي يَحْتَسِبُونَهُ وَيَظُنُّونَ أَنَّ الْخَلَلَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ مِنْهُ إِنْ دَخَلَ هُوَ الْحُصُونِ الَّتِي تَحَصَّنُوا بِهَا، وَاطْمَأَنَّتْ نَفُوسُهُمْ إِلَيْهَا، وَمَنْ وَثِقَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ مَخْذُولٌ، وَمَنْ رَكَنَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ عَلَيْهِ وَبَالٌ، فَأَتَاهُمْ أَمْرٌ سَمَاوِيٌّ نَزَلَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، الَّتِي هِيَ مَحَلُّ الثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ، أَوِ الْخَوَرِ وَالضَّعْفِ، فَأَزَالَ اللَّهُ قُوَّتَهَا وَشِدَّتَهَا، وَأَوْرَثَهَا ضَعْفًا وَخَوَرًا وَجُبْنًا، لَا حِيلَةَ لَهُمْ، وَلَا مَنَعَةَ مَعَهُ، فَصَارَ ذَلِكَ عَوْنًا عَلَيْهِمْ.

ولما ذكر الله قِصَّةَ أُحُدٍ ووصَفَ مَا حَصَلَ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَحَنَةٍ وَقَتْلٍ، قَالَ
 اللَّهُ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ
 فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ، وَذَلِكَ الْآيَاتُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿[آل عمران: ١٣٩ - ١٤٠].

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ بَلْ شَجَّعُوا قُلُوبَكُمْ وَصَبَّرُوهَا، وَادْفَعُوا عَنْهَا
 الْحَزْنَ وَتَصَلَّبُوا عَلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ، وَذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي وَلَا يَلِيقُ بِهِمُ
 الْوَهْنُ وَالْحَزْنُ، وَهُمْ الْأَعْلَوْنَ فِي الْإِيمَانِ، وَرَجَاءِ نَصْرِ اللَّهِ وَثَوَابِهِ، فَاَلْمُؤْمِنُ
 الْمُتَيَقِّنُ مَا وَعَدَهُ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ الدُّنْيَوِيِّ وَالْآخِرَوِيِّ لَا يَنْبَغِي مِنْهُ ذَلِكَ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿يَبْنَئِ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ
 وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ
 وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ
 الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
 الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ
 إِلَّا اللَّهُ؛ تَعْظِيمًا لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ
 وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: إِنَّا بِحَاجَةٍ إِلَى تَذَكُّرٍ مَعِيَّةِ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَنَصْرِهِ لَهُمْ، وَأَنْ لَا

يَأْخُذَنَا الْيَأْسُ وَالضَّعْفُ، وَاللَّهُ يَقُولُ لَنَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]، هَذَا إِخْبَارٌ وَوَعْدٌ وَبَشَارَةٌ مِنَ اللَّهِ، لِلَّذِينَ ءَامَنُوا، أَنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنْهُمْ كُلَّ مَكْرُوهِ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ كُلَّ شَرٍّ - بِسَبَبِ إِيْمَانِهِمْ - مِنْ شَرِّ الْكُفَّارِ، وَشَرِّ وَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ، وَشُرُورِ أَنْفُسِهِمْ، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِمْ، وَيَحْمِلُ عَنْهُمْ عِنْدَ نُزُولِ الْمَكَارِهِ، مَا لَا يَتَحَمَّلُونَ، فَيُخَفِّفُ عَنْهُمْ غَايَةَ التَّخْفِيفِ، كُلُّ مُؤْمِنٍ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْمَدَافِعَةِ وَالْفَضِيلَةِ بِحَسَبِ إِيْمَانِهِ، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْتَرٍ.

ثُمَّ خَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ أَي: خَائِنٍ فِي أَمَانَتِهِ الَّتِي حَمَلَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، فَيَبْخَسُ حُقُوقَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَيَخُونُهَا، وَيَخُونُ الْخَلْقَ.

وكَذَلِكَ هُوَ كَفُورٌ لِنِعَمِ اللَّهِ، يُؤَالِي عَلَيْهِ الْإِحْسَانَ، وَيَتَوَالَى مِنْهُ الْكُفْرُ وَالْعِصْيَانُ، فَهَذَا لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، بَلْ يَبْغُضُهُ وَيَمْقُتُهُ، وَسَيُجَازِيهِ عَلَى كُفْرِهِ وَخِيَانَتِهِ، وَمَفْهُومُ الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ كُلَّ أَمِينٍ قَائِمٍ بِأَمَانَتِهِ، شَكُورٍ لِمَوْلَاهُ.

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، فَالْمُؤْمِنُونَ الصَّالِحُونَ الَّذِينَ صَلَحَتْ نِيَّاتُهُمْ وَأَعْمَالُهُمْ وَأَقْوَالُهُمْ - لَمَّا تَوَلَّوْا رَبَّهُمْ بِالْإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى، وَلَمْ يَتَوَلَّوْا غَيْرَهُ مِمَّنْ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ - تَوَلَّاهُمْ اللَّهُ، وَلَطَفَ بِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى مَا فِيهِ الْخَيْرُ وَالْمُصْلَحَةُ لَهُمْ، فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَدَفَعَ عَنْهُمْ بِإِيْمَانِهِمْ كُلَّ مَكْرُوهِ.

فَاحْسِنُوا الظَّنَّ بِرَبِّكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَحْنَ عِنْدَهَا تُوَلَّدُ الْمِنْحَ، وَعِنْدَ الْأَتْرَاحِ تَكُونُ الْأَفْرَاحُ لِمَنْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ

فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا في أوطاننا، وأُصْلِحْ أئِمَّتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

المرض

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

مَعَشَرِ الْإِخْوَةِ: نَبِيُّ اللَّهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْتُلِيَ بِمَرَضٍ شَدِيدٍ وَمُؤَذٍ، مَكَثَ مَعَهُ سِنِينَ عَدِيدَةً، قَالَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، ذَكَرَ تَعَالَى عَنْ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا كَانَ أَصَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ، فِي مَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَسَدِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَأَوْلَادٌ كَثِيرٌ، وَمَنَازِلَ مَرْضِيَّةٍ، فَابْتُلِيَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، وَذَهَبَ عَنْ آخِرِهِ، ثُمَّ ابْتُلِيَ فِي جَسَدِهِ، قِيلَ: بِالْجُدَامِ فِي سَائِرِ بَدَنِهِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ سَلِيمًا سِوَى قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ يَذْكُرُ بِهِمَا اللَّهُ عَزَّجَلَّ، حَتَّى عَافَهُ الْجَلِيسُ، وَأُفْرِدَ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْبَلَدِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ يَخُونُو عَلَيْهِ سِوَى زَوْجَتِهِ، كَانَتْ

تقومُ بأمرِهِ، ومع ذلك قال: أحمَدُكَ رَبَّ الأربابِ، الَّذي أَحسَنَتَ إِلَيَّ، أعطيتَنِي المَالَ والوَلَدَ، فَلَمْ يَبْقَ مِن قَلْبِي شُعْبَةٌ، إِلَّا قد دَخَلَهُ ذَلِكُ، فأخَذَتَ ذلكَ كُلَّهُ مِنِّي، وفَرَّغْتَ قَلْبِي، لَيْسَ يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَيْءٌ، لو يَعْلَمُ عَدُوِّي إِبْلِيسُ بِالَّذي صَنَعْتَ، حَسَدَنِي.

تساقطَ لَحْمُ أَيُوبَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا العَصَبُ وَالْعِظَامُ وَهُوَ يَبْتَهِلُ إِلَى اللَّهِ، ويدْعُوهُ حَتَّى جَاءَهُ الفَرْجُ، واستجابَ اللَّهُ لَهُ فَقَالَ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

قال ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ^(١): «قوله: ﴿رَحْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا﴾ أَي: فَعَلْنَا بِهِ ذَلِكَ رَحْمَةً مِنَّا اللَّهُ بِهِ، ﴿وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ﴾ أَي: وَجَعَلْنَاهُ فِي ذَلِكَ قُدْوَةً لِئَلَّا يَظُنَّ أَهْلُ الْبَلَاءِ أَنَّمَا فَعَلْنَا بِهِمْ ذَلِكَ لِهَوَانِهِمْ عَلَيْنَا، وَلِيَتَأَسَّوْا بِهِ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَقْدُورَاتِ اللَّهِ وَابْتِلَائِهِ لِعِبَادِهِ بِمَا يَشَاءُ، وله الحكمة البالغة في ذلك».

أيُّهَا المَرْضَى؛ تَسَلَّحُوا بِالصَّبْرِ، قال اللَّهُ عن أَيُوبَ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، لَئِنْ كَانَ المَرَضُ مُؤَلِّمًا مُنْغَصًّا فَإِنَّ أَجْرَهُ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُ، وثوابه أَجْزَلُ.

في الصَّحِيحَيْنِ، عن عطاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قال لي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أَرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْمُرَأَةُ السَّودَاءُ، أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكْشِفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: «إِنْ

شِئْتُ صَبَرْتُ وَلَكَ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتُ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ»، فَقَالَتْ: أَصْبِرْ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا^(١).

هذه امرأة تُصَرِّعُ أحياناً، فكيف بمن لآزمه المرض الموجع في كل وقته، في ليله ونهاره؟ فكيف سيكون أجره؟

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَهَ يُشَاكِّهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»^(٢).

وعندهما أيضاً عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجَلْ؛ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُم»، فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنْ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجَلْ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا حَطَّ الشَّجَرَةُ وَرَقَّهَا»^(٣).

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: دَخَلَ شَبَابٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ بِمَنْى، وَهُمْ يَضْحَكُونَ، فَقَالَتْ: مَا يَضْحَكُكُمْ؟ قَالُوا: فَلَانٌ خَرَّ عَلَى

(١) أخرجه البخاري (٢١٤٠/٥)، رقم (٥٣٢٨)، ومسلم (١٩٩٤/٤)، رقم (٢٥٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٣٧/٥)، رقم (٥٣١٨)، ومسلم (١٩٩٢/٤)، رقم (٢٥٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٣٩/٥)، رقم (٥٣٢٤)، ومسلم (١٩٩١/٤)، رقم (٢٥٧١).

طُنِبَ فُسْطَاطٍ، فَكَادَتْ عُتْقُهُ أَوْ عَيْنُهُ أَنْ تَذَهَبَ، فَقَالَتْ: لَا تَضَحِكُوا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَوُحِّيتَ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»^(١).

وتأملوا هذا الحديث في صحيح البخاري، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْحُمَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ»، وهي الزرع أول ما ينبت على ساق واحد «لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ الْبَلَاءُ حَتَّى يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ وَمَثَلُ الْفَاجِرِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ الْأَرْزِ وَهُوَ الصَّنوبر لَا تَهْتَزُّ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ وَيَكُونُ انْجَعَاظُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً»^(٢).

قال النووي: «قال العلماء: مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ كَثِيرُ الْأَلَامِ فِي بَدَنِهِ أَوْ أَهْلِهِ أَوْ مَالِهِ، وَذَلِكَ مُكْفَّرٌ لِسَيِّئَاتِهِ، وَرَافِعٌ لِدَرَجَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَقَلِيلُهَا، وَإِنْ وَقَعَ بِهِ شَيْءٌ لَمْ يُكْفَرْ شَيْئًا مِنْ سَيِّئَاتِهِ، بَلْ يَأْتِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَامِلَةً»^(٣).

وقال ابن بطال: «يعني: مِنْ حَيْثُ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ انْطَاعَ لَهُ وَلَانَ وَرَضِيَهُ، وَإِنْ جَاءَهُ مَكْرُوهٌ رَجَا فِيهِ الْخَيْرَ وَالْأَجَرَ، فَإِذَا سَكَنَ الْبَلَاءُ عَنْهُ اعْتَدَلَ قَائِمًا بِالشُّكْرِ لَهُ عَلَى الْبَلَاءِ، وَالْكَافِرُ كَالْأَرْزَةِ صَمَاءٌ مَعْتَدِلَةٌ، لَا يَتَفَقَّدُهُ اللَّهُ بِاخْتِبَارٍ، بَلْ يُعَافِيهِ فِي دُنْيَاهُ، وَيُسِّرُّ عَلَيْهِ فِي أُمُورِهِ لِيُعَسِّرَ عَلَيْهِ فِي مَعَادِهِ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِهْلَاكَهُ قَصَمَهُ قَصَمَ الْأَرْزَةَ الصَّمَاءُ؛ فَيَكُونُ مَوْتُهُ أَشَدَّ عَذَابًا عَلَيْهِ، وَأَكْثَرَ أَلَمًا فِي خُرُوجِ نَفْسِهِ مِنْ أَلَمِ النَّفْسِ الْمَلِيئَةِ بِالْبَلَاءِ الْمَاجُورِ عَلَيْهِ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩١، رقم ٢٥٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧١٦، رقم ٧٠٢٨)، ومسلم (٤/ ٢١٦٣، رقم ٢٨٠٩).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٥٣).

(٤) شرح صحيح البخاري (٩/ ٣٧٣).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تَعْظِيمًا لِّشَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.
أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرِ الْإِخْوَةِ: وَمِنْ عِظَمِ أَجْرِ الْمَرْضَى أَنْ أَوْصَلَ صَاحِبَهُ لِمَنْزِلَةِ الشَّهَادَةِ، فِيهِ الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمُطْعُونُ، وَالْمُبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١)، وَالْمُبْطُونُ هُوَ الَّذِي يَمُوتُ بِسَبَبٍ دَاءٍ فِي جَوْفِهِ، وَمَا أَكْثَرُهَا فِي وَقْتِنَا هَذِهِ.

(١) أخرجه البخاري (٢٣٣/١)، رقم (٦٢٤)، ومسلم (١٥٢١/٣)، رقم (١٩١٤).

وَإِنَّ مِنَ الْحَرَمَانِ الشَّدِيدِ لِهَذَا الْأَجْرِ الْعَظِيمِ الْجَزَعَ وَالتَّسَخُّطَ عَلَى أَقْدَارِ
 اللَّهِ، وَإِطْلَاقَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي لَا يُبَالِي بِهَا صَاحِبُهَا، وَهِيَ تَهْوِي بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ،
 وَلَيَكُنْ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قُدُوتَكَ فِي مَرَضِكَ، فَهَآ هُوَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ رَسُولٌ مِنْ
 رُسُلِ اللَّهِ مَكَثَ فِي مَرَضِهِ قُرَابَةَ الْعِشْرِينَ سَنَةً وَهُوَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، قَالَ تَعَالَى:
 ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، فَالْعَزِيمَةُ وَعَدَمُ الِاسْتِسْلَامِ هِيَ
 أَفْضَلُ مُعِينٍ عَلَى هَذَا.

وَتَذَكَّرْ مَنْ هُوَ مُبْتَلَى بِأَشَدِّ مِنْكَ، وَلَيْتَنِ أَخَذَ اللَّهُ مِنْكَ شَيْئًا فَقَدْ أَعْطَاكَ
 أَشْيَاءَ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَزْدَرِي نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ، وَأَكْثِرْ مِنْ دُعَاءِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ فَأَنْتَ
 مُثَابٌّ عَلَى ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ تَرَ أَثَرَ دُعَائِكَ عَلَيْكَ.

وَاسْمَعْ إِلَى دُعَاءِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَأَيُّوبُ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ
 وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وَبَابُ الدُّعَاءِ فِي عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِ مِنْ أَحَبِّ
 الْعِبَادَاتِ إِلَى اللَّهِ لِمَا يُخَفِّفُهُ مِنَ الْخُضُوعِ وَالذَّلَّةِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

أَتَرَكَ فِي عَافِيَتِكَ مِمَّنْ سَيَسْلُكُ وَيَلْجُ هَذَا الْبَابُ؟

وَإِنْ سَلَكَتَهُ أَتَرَكَ بِهِذِهِ الذَّلَّةَ وَالْخُشُوعَ؟

وَأَنْتُمْ -يَا مَنْ عُوِيَ بِيَدَيْهِ- لَا تَغْرُبْكُمْ صِحَّتُكُمْ وَعَافِيَتُكُمْ، فَإِنَّمَا هِيَ
 ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ، وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ، فَلَنْ تَزُولَ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ
 عَنْ صِحَّتِهِ وَعَافِيَّتِهِ، مَاذَا فَعَلَ بِهَا؟^(١)

هَذِهِ النَّفْسُ الَّتِي تَحِبُّ الْعُلُوَّ وَالِاسْتِكْبَارَ وَالِاسْتِكْثَارَ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ،

(١) أخرجه الترمذی (٤/ ٦١٢، رقم ٢٤١٧) وقال: حسن صحيح.

أَيُّ شَيْءٍ يَكْسِرُ سَوْرَةَ كِبْرِيائِهَا، وَيُرُدُّ إِلَيْهَا عَقْلَهَا، وَيُعَرِّفُهَا بِكُنْهَيْهَا وَطَبِيعَتِهَا الْحَقَّةَ؟ كَيْفَ تَرْجِعُ نَفْسٌ تَعَالَتْ وَتَمَايَلَتْ تَبَخَّرَتْ وَتَبَيَّهَتْ بِبَعْضِ نِعَمِهِ؟ كَيْفَ تُبَصِّرُهَا؟ كَيْفَ تَذُلُّهَا؟ كَيْفَ تُزِيلُ الْعِشَاوَةَ الَّتِي غَطَّتْ عَلَيْهَا؟

قد تعجزُ عن ذلكَ حتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَقَدْرُهُ بِشَيْءٍ لَا يَسْتَطِيعُ رَدُّهُ وَلَا الصَّبْرَ عَلَيْهِ، إِنَّهُ الْمَرَضُ وَسَلْبُ الصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، فِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَرَى نَفْسًا غَيْرَ الَّتِي عَاهَدَتْ، تَرَى كَلَامًا يَنْبُضُ بِالْحِكْمَةِ وَالْحَقِيقَةِ، طَارَتْ تِلْكَ الْفُقَاعَاتُ وَذَلِكَ الْبَهْرُجُ الَّذِي مَلَأَ فُؤَادَهَا، وَوَجَدَ كُلَّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُ، وَرَخِصَ أَمَامَ الْمَوْتِ عِلْمُهُ وَثَرَوَتُهُ وَمَنْصِبُهُ.

انْسَدَّتْ كُلُّ الطُّرُقِ الَّتِي يَسْلُكُهَا إِبَّانَ صَحَّتِهِ وَعَافِيَتِهِ، قَدْ كَانَ يُحْصِلُ مَطَالِبَهُ بِطُرُقٍ اعْتَادَهَا، أَمَّا هَذَا الْمَطْلَبُ فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا طَرِيقٌ وَاحِدٌ اعْتَادَهُ أَهْلُ الصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ فِي سَرَائِهِمْ وَضَرَائِهِمْ، هُوَ التَّعَلُّقُ بِاللَّهِ.

إِنَّهُ الْمَرَضُ، فَكَمْ لِلَّهِ مِنْ آيَاتٍ بَاهِرَةٍ عَظِيمَةٍ، فَاللَّهُ هُوَ الْمُبْتَلِي، وَهُوَ الْمَعَافِي، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُم رُبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ

يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أعزِّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّهُمَّ وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدِّهم إليك ردًّا جميلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



تحكيم الشريعة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ سُلَيْمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ -، وَرَاقِبُوهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ، وَهُوَ جَلَّ وَعَلَا مَعَ الْمُتَّقِينَ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: أَقْسَمَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا بِذَاتِهِ الْعَلِيَّةِ الْكَرِيمَةِ قَسَمًا عَظِيمًا، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فَهَذَا قَسَمٌ عَظِيمٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ الْخَلْقَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوا رَسُولَهُ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَكْفِي هَذَا التَّحْكِيمُ حَتَّى يَنْتَفِي الْحَرَجُ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَالضِّيقُ، وَكُونُهُمْ يُحَكِّمُونَهُ عَلَى وَجْهِ الْإِغْمَاضِ، ثُمَّ لَا يَكْفِي ذَلِكَ حَتَّى يُسَلِّمُوا لِحُكْمِهِ تَسْلِيمًا؛ بِانْشِرَاحِ صَدْرِ وَطْمَأْنِينَةِ نَفْسٍ، وَانْقِيَادِ بِالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ.

وَلَا غَرَوْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ؛ فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا هُوَ الْحَكَمُ، وَالْحُكْمُ مِنْ صِفَاتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وتأملوا هذا التوبيخ الشديد والتهكم والتعجب لحال المنافقين، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ. وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، فهم يزعمون أنهم مؤمنون، ومع هذا يريدون أن يتحكموا إلى الطاغوت، وهو كل من حكم بغير ما أنزل الله، وهم قد أمروا أن يكفروا به، فكيف يجتمع هذا مع الإيمان؟! فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله، وتحكيمه في كل أمر من الأمور.

فمن زعم أنه مؤمن واختار حكم غير الله على حكم الله فهو كاذب في إيمانه، وهذا من إضلال الشيطان، كما قال: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

وروى الترمذي وحسنه من حديث عدي بن حاتم أنه قال: انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَعْبَارَهُمْ وَرَبُّكَ لَهُمْ أَزْكَأَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، فقلت: يا رسول الله؛ إنا لسنا نعبدهم، ولم نكونوا يصلون لهم، فقال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم»^(١).

فتحكيم الشريعة بين الناس في كل شيء من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى خالقه، وهي أمانة على البلاد والعباد؛ ولذلك روى النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «إقامة حد يعمل بأرض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٧٨، رقم ٣٠٩٥).

(٢) أخرجه النسائي (٨/ ٧٦، رقم ٤٩٠٥).

وإِنَّمَا عَظُمَ هَذَا الْأَمْرُ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّوَعَلَا يَغْضَبُ إِذَا نُوزِعَ فِي صِفَاتِهِ، فَكَيْفَ يَأْتِي عَبْدٌ مَخْلُوقٌ وَيُنَازِعُ الدِّيَانَ فِي حُكْمِهِ، وَهُوَ ذَنْبٌ عَظِيمٌ جَدًّا؛ وَلِهَذَا كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا الْمَصُورُونَ^(١)، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ لِأَنَّهُمْ نَارَعُوا رَبَّهُمْ فِي صِفَةٍ مِنْ أَعْظَمِ صِفَاتِهِ، وَهِيَ الْخَلْقُ.

وكَذَلِكَ الْمُتَكَبِّرُونَ «لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ^(٢)، كُلُّ هَذَا احْتِقَارٌ لَهُمْ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُمْ نَارَعُوا رَبَّهُمْ فِي صِفَةٍ مِنْ أَعْظَمِ صِفَاتِهِ، وَهِيَ الْكِبَرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

وَتأمل فَرحَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا مَجْلُودًا، فَدَعَاهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: هَكَذَا نَحْدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَقَالَ: أُنْشِدْكَ بِاللَّهِ، الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى، أَهَكَذَا نَحْدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟ قَالَ: لَا، وَلَوْ لَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ، نَجِدُهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا، فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرْكُنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ، أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ، قُلْنَا: تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعَ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَالْجُلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ، فَأَمَرَ بِهِ فَرَجِمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ، عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٢٠، رقم ٥٦٠٦) ومسلم (٣/ ١٦٧٠، رقم ٢١٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٠٢، رقم ١٠٧).

يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ ﴿٤١﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿إِنْ أُوْتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١]، يَقُولُ : ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجُلْدِ فَخُذُوهُ ، وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] ، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] ، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] ، فِي الْكُفَّارِ كُلِّهَا^(١).

فتأمل فَرَحَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تَعْظِيمًا لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٢٧، رقم ١٧٠٠).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

شريعة الله هي المنهج الحق الذي يَصُونُ الْإِنْسَانِيَّةَ مِنَ الزَّيْغِ، وَيُجَنِّبُهَا مَزَالِقَ الشَّرِّ، وَتَوَازِعَ الْهَوَى، شِفَاءَ الصُّدُورِ، وَحَيَاةَ النُّفُوسِ، وَمَعِينَ الْعُقُولِ، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ [يونس: ٥٧-٥٨]، مُنْعُ الشَّرِيعَةِ، وَمُصَدَّرُهَا كِتَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَسُنَّةُ نَبِيِّ مُحَمَّدٍ.

كِتَابُ اللَّهِ أَسَاسُ الدِّينِ وَمُصَدَّرُ التَّشْرِيعِ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى الْعَالَمِينَ، حَوَى أَصُولَ الشَّرِيعَةِ وَقَوَاعِدَهَا فِي عَقَائِدِهَا وَأَخْلَاقِهَا وَحَلَالِهَا وَحَرَامِهَا، يُضِيءُ لِلْأُمَّةِ مَسَالِكَ الْاسْتِنْبَاطِ فِي مَعْرِفَةِ أَحْكَامِ الْخَوَادِثِ وَالْمُسْتَجِدَّاتِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، «فَلَيْسَتْ تَنْزِلُ بِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ دِينِ اللَّهِ نَازِلَةٌ إِلَّا وَفِي كِتَابِ اللَّهِ الدَّلِيلُ عَلَى سُبُلِ الْهُدَى فِيهَا» كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١).

ويقول الشَّاطِئِيُّ: «الكتابُ كُلُّ الشَّرِيعَةِ، وَعُمْدَةُ الْمَلَّةِ، وَيُنْبُوعُ الْحِكْمَةِ، وَآيَةُ الرِّسَالَةِ، وَنُورُ الْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ، لَا طَرِيقَ إِلَى اللَّهِ سِوَاهُ، وَلَا نَجَاةَ إِلَّا لِمَنِ اسْتِضَاءَ بِهِدَاؤُهُ»^(٢)، يَفْتَحُ مَغَالِيقَ الْقُلُوبِ وَتَسْتَنِيرُ بِهِ الْأَفْئِدَةَ.

حِينَمَا نَتَكَلَّمُ عَنْ تَحْكِيمِ الشَّرِيعَةِ فَمِنْ الْخَطَأِ الْكَبِيرِ اخْتِرَالُ هَذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ عَلَى الْحُكَّامِ بَلْ هُوَ عَامٌّ، مَذْلُوعُ الْآيَةِ أَوْسَعُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهَا تَشْمَلُ الْحَاكِمَ وَالْمُحْكُومَ، وَتَشْمَلُ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ، وَتَشْمَلُ الْوَالِدَ وَالْوَلَدَ، وَتَشْمَلُ الْمُدْرِسَ وَالطَّالِبَ، وَتَشْمَلُ الْمَدِيرَ وَالْمَوْظَفَ، وَتَشْمَلُ الصَّابِطَ وَالْجُنْدِيَّ،

(١) الرسالة (ص ٢٠).

(٢) الموافقات (٣/ ٣٤٧).

تَشْمَلُ كُلَّ إِنْسَانٍ، وَكُلَّ شَأْنٍ مِنْ شُؤْنِكَ فِي عَمَلِكَ، فِي بَيْتِكَ، فِي عِلَاقَتِكَ
مَعَ أُسْرَتِكَ، وَمَعَ أَصْدِقَائِكَ، وَمَعَ أَعْدَائِكَ.

وَإِنَّ مِنَ الْبَشَائِرِ الْعَظِيمَةِ مَا نَرَاهُ مِنْ صَحْوَةِ كَثِيرٍ مِنَ الشُّعُوبِ
الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مُطَالَبَتِهَا بِتَحْكِيمِ الشَّرِيعَةِ فِي قَوَانِينِهَا وَشُؤُونِهَا عَلَى الْمُسْتَوَى
السِّيَاسِيِّ وَالْاِقْتِسَادِيِّ وَالثَّقَافِيِّ؛ فَهَذِهِ هِيَ هَوِيَّةُ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ الْحَقَّةِ.

وَمِنَ الْعَجَبِ الْعُجَابِ أَنْ يَقِفَ بَعْضُ الْمُنْتَهِبِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي تِلْكَ
الدُّوَلِ إِزَاءَ هَذِهِ الْمَطَالِبَاتِ مُوقِفَ الرَّافِضِ، أَوْ عَلَى الْأَقْلَ مُوقِفَ الْمُتَوَجِّسِ،
وَتَكُونُ مَطَالِبُهُمْ بِالْقَوَانِينِ الْوَضْعِيَّةِ، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا
بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [النساء: ٦٠]. ثُمَّ لَا يَتَحَاكَمُونَ إِلَى مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ، إِنَّمَا يَرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى شَيْءٍ آخَرَ، وَإِلَى مِنْهَجٍ آخَرَ،
وَإِلَى حُكْمٍ آخَرَ، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّلْعُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]، الَّذِي لَا
يُسْتَمَدُّ مِمَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ، وَلَا ضَابِطَ لَهُ، وَلَا مِيزَانَ.

وَاللَّهُ لَمْ يَأْمُرْهُمْ فَقَطْ بِعَدَمِ التَّحَاكُمِ بِغَيْرِ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ، بَلْ أَمَرَهُمْ بِأَنْ
يَكْفُرُوا بِهِ، قَالَ اللَّهُ: ﴿وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا
بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

فَاللَّهُمَّ انصِر دِينَكَ وَكِتَابَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ
فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ

وصحبه أجمعين، وارْضَ اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين، وَالْأئِمَّةِ الْمُهْدِيِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وعنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا معهم بعفوك وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلامَ والمسلمين، وانصر عبادَكَ الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونكَ، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا في أوطاننا، وأصلح أئِمَّتَنَا ووَلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وفقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهدِ ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



المجاهيل

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ -، ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقْ وَيَصْرِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: حِينَمَا أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ إِلَى أَقْوَامِهِمْ دُعَاءَ مُضْلِحِينَ أَرْسَلَ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ، وَيَعْرِفُونَ أَنْسَابَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ، وَيتكَلَّمُونَ بِوُضُوحٍ عَنْ مَقْصِدِهِمْ وَأَهْدَافِهِمْ وَغَايَاتِهِمْ، فَلَمْ يُجْعَلْهُمُ اللَّهُ أَغْرَابًا عَلَى قَوْمِهِمْ، دُخْلَاءَ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكَذَلِكَ أَظْهَرَ عَقْلَهُمْ وَحُسْنَ أَخْلَاقِهِمْ قَبْلَ أَنْ يُرْسِلَهُمْ، حَتَّى غَدَا هَؤُلَاءِ الرُّسُلُ مُضْرِبَ الْمَثَلِ فِي الْخُلُقِ وَالسَّمْتِ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ مَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ يَتَوَفَّقُ مَعَ الْفِطْرَةِ الصَّحِيحَةِ وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ.

يَتَجَلَّى لَنَا هَذَا الْأَصْلُ الْعَظِيمُ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ، وَاللَّهُ يُحْكِي قِصَصَ الرُّسُلِ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَقُولُ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ [الشعراء: ١٠٦، ١٢٤، ١٤٢،

[١٦١]، وكذلك في سُورَةِ الْأَعْرَافِ، وَلَا تَسْتَشْكِلُ قِصَّةَ مَدِينٍ فِي سُورَةِ الشُّعْرَاءِ عِنْدَ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا ﴿[الشعراء: ١٧٦ - ١٧٧]؛ لَأَنَّهُ فِي الْأَعْرَافِ قَالَ: ﴿وَلِئَلَى مَدِينَةٍ آخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥]، والسببُ في ذلك أَنَّهُ في موضعِ الشعراءِ قال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٦]، فنسبهم إلى عبادة الأيكة، فلم يُناسِبَ أن يصفهم بأنه أخوهم في هذا العمل، بينما في الآية الثانية نسبته إلى موضع مَدِينٍ، فنسبته إليهم.

والحكمةُ في ذلك ظاهرةٌ، وهي أَنَّ الرِّسُولَ إِذَا كَانَ أَجْنَبِيًّا لَا يُعْرِفُ فَإِنَّ النُّفُوسَ تَفِرُّ مِنْهُ، وَالشَّكُّ يُلَازِمُهُ، وَالْعُقْلَاءُ يَكُونُونَ مِنْهُ عَلَى وَجَلٍ وَحَذَرٍ، حَتَّى يَعْرِفُوهُ وَيُمَحِّصُوهُ، وَتَزُولَ عَنْهُ التُّهْمُ وَالظُّنُونُ وَالِدُّخُولُ فِي مَقَاصِدِهِ، وَهِيَ أَسْئَلَةُ فَطَرِيَّةٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ قَوْمٌ صَالِحٌ لَمَّا جَاءَهُمُ بِالرِّسَالَةِ، قَالُوا لَهُ: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢]، أَي: قَدْ كُنَّا نَرْجُوكَ وَنُؤْمَلُ فِيكَ الْعَقْلَ وَالنَّفْعَ، وَهَذَا شَهَادَةٌ مِنْهُمْ، لِنَبِيِّهِمْ صَالِحٍ، أَنَّهُ مَا زَالَ مَعْرُوفًا بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الشَّيَمِ، وَأَنَّهُ مِنْ خِيَارِ قَوْمِهِ.

ولهذا تَأَمَّلُوا قِصَّةَ هِرْقَلٍ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ عِنْدَمَا سَأَلَهُ هِرْقَلُ عَنِ الرِّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ فَإِنَّ أَوَّلَ سُؤَالِ سَأَلَهُ يَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، فَقَدْ سَأَلَهُ عَنِ نَسَبِهِ، وَهَلْ هُوَ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ هِرْقَلُ لِتُرْجُمَانِهِ: سَلْهُ كَيْفَ حَسَبُهُ فِيكُمْ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ، هَذَا أَوَّلُ سُؤَالِ يَسْأَلُهُ هَذَا الْمَلِكُ، ثُمَّ بَيَّنَّ لَمْ سَأَلَ هَذَا السُّؤَالَ، فَقَالَ: سَأَلْتُكَ عَنْ حَسَبِهِ فِيكُمْ

فَزَعَمْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو حَسْبٍ وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابٍ قَوْمِهَا^(١).

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ كَذَلِكَ وَضُوحَ مَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ وَجَدْتَهُ نَاصِعًا وَاضِحًا، يَمْتَزِجُ الْعِلْمُ بِالرَّحْمَةِ، فَهَذَا يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ وَعَدَمِ التَّطَفُّيفِ بِالْكَيْلِ، وَرَسُولٌ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ وَتَرْكِ الْفَوَاحِشِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ.

وَرَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَجَلَّى فِيهِ هَذَا الْأَصْلُ، وَقَدْ سَأَلَ هِرَقْلُ أَبَا سَفْيَانَ عَنْ تَارِيخِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا؟ قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: فَقُلْتُ: لَا، ثُمَّ بَيَّنَّ سَبَبَ سُؤَالِهِ عَنْ هَذَا فَقَالَ: وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَّعِ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ^(٢).

وَقَدْ وَصَفَتْ أَمْنَا خَدِيجَةُ أَخْلَاقَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ، فَقَالَتْ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ: «إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الصَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»^(٣).

وَيُلْحَقُ بِهِؤَلَاءِ كُلِّ عَالِمٍ وَمُصْلِحٍ وَمَجَاهِدٍ وَمَحْتَسِبٍ، وَلِهَذَا فَإِنَّ الْمَهْدِيَّ الَّذِي يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَسَبِهِ وَعَمَلِهِ وَمَكَانِ خُرُوجِهِ، فَلَا يَخْرُجُ دَاعِيًا إِلَى نَفْسِهِ أَوْ إِلَى اجْتِمَاعِ النَّاسِ حَوْلَهُ، وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وَلِهَذَا ذَمَّ السَّلَفُ الْأَخَذَ مِنَ الْمَجْهُولِ وَغَيْرِ الْمَعْرُوفِ، أَوْ مِمَّنْ لَا يُعْرَفُ

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٧٧، رقم ٢٧٨٢)، ومسلم (٣/ ١٣٩٧، رقم ١٧٧٣).

(٢) الحديث السابق.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٥، رقم ٣)، ومسلم (١/ ١٤٢، رقم ١٦٠).

بقوّة العِلْمِ وغزَارَتِهِ، وطُولِ عُمُرِهِ فِيهِ، قال الإمامُ مالِكٌ: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، لقد أدركت سبعين عند هذه الأساطين، - وأشار إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم - يقولون: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما أخذتُ عنهم شيئاً، وإن أحدهم لو اتُّمِنَ على بيتِ مالٍ لكَانَ به أميناً، إلا أنّهم لم يَكُونُوا مِن أَهْلِ هَذَا الشَّانِ»^(١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَتَسْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿[النحل: ٤٣ - ٤٤].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله على إحسانِهِ، والشُّكرُ له على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله؛ تعظيماً لشانِهِ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ: لَمْ نَقُولْ هَذَا الْكَلَامَ؟

(١) ذكر قول الإمام مالك، الخطيب في الكفاية (ص: ١٥٩).

نقوله لَأَنَّا نَرَى كَثْرَةَ الْمَجَاهِيلِ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ عَلَيْنَا فِي كُلِّ حِينٍ وَوَقْتٍ، وَنَرَى الْأَغْمَارَ وَالصَّغَارَ يَخْرُجُونَ خَلْفَ هَؤُلَاءِ الْمَجَاهِيلِ، رَوَى مُسْلِمٌ فِي مَقْدَمَتِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَاَنْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»^(١).

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي الْمَعْرِفَةِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «كَانَ عُمَرُ يَأْمُرُنَا أَنْ لَا نَأْخُذَ إِلَّا عَنْ ثِقَةٍ»^(٢).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: هَلْ هُنَاكَ جَهَالَةٌ أَشَدُّ مِنْ جَهَالَةِ حِسَابَاتِ التَّوَيَّرِ وَنَحْوِهَا، فَتَجِدُهَا بِأَسْمَاءٍ مُسْتَعَارَةٍ، وَكُنَى بَرَّاقَةٍ، وَالْقَابِ رَنَانَةٍ تَجْذِبُ الْبُسْطَاءَ، وَمَعَ ذَلِكَ إِذَا رَأَيْنَاهُ يَتَكَلَّمُ فِي الدِّينِ، أَوْ يَشْتَدُّ عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ، أَوْ يُدَافِعُ عَنِ الْمَجَاهِدِينَ، جَعَلَهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِمَامَ الْمُصْلِحِينَ، وَحَامِي لُؤَاءِ الدِّينِ، وَلَيْتَهُ يَكْتَفِي بِذَلِكَ، بَلْ تَجِدُهُ يَتَكَلَّمُ فِي الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ عَرَفْنَاهُمْ مِنْ صَغَرِنَا، وَزَكَّاهُمْ شَيْوُخُنَا، وَشَابَتْ لِحَاهُمْ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ وَالِدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، فَأَيُّ عَقْلِ وَدِينٍ هَذَا؟!

وَمِنَ الْجَهَالَاتِ مَا خَرَجَ عَلَيْنَا مِنَ الرُّقَاةِ الَّذِينَ لَا يُعْرِفُ تَارِيخَهُمْ، وَلَا يُعْرِفُ عِلْمُهُمْ، وَلَا دِينَهُمْ، وَإِنَّمَا بِلَحْظَةٍ عَيْنٍ صَارَ الرَّاقِي الَّذِي لَا تُحْطَى لَهُ فِرَاسَةٌ أَوْ إِنْ شَاءَتْ قَلَّ كِهَانَتُهُ، وَقُلَّ مِثْلَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ مُعَبِّرِي الرُّؤْيَى الَّذِينَ مَلَأُوا الْقَنَوَاتِ ضَجِيجًا.

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٣).

(٢) معرفة السنن والآثار للبيهقي (١/ ١٤٠).

إِنَّ مَا يَحْدُثُ -وَبِكُلِّ وَضُوحٍ- مَا هُوَ إِلَّا إِزْهَاصَاتٌ ظَاهِرَةٌ خُرُوجِ الدَّجَالِ؛ فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ قَدْ تَهَيَّأَ لِاتِّبَاعِهِ، فَعِنْدَهُمْ اسْتِعْدَادٌ أَنْ يُدَافِعُوا عَنِ الْمَجْهُولِ، وَيَسِيرُوا خَلْفَهُ، بَلْ وَيُبَايِعُوهُ، وَعِنْدَهُمْ اسْتِعْدَادٌ أَنْ يَسْبُوا الْمَعْرُوفَ بِالْعِلْمِ سِنِينَ طَوِيلَةً، وَالْمَزَكَّى مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَيَتَّهِمُوهُ بِالْعِمَالَةِ، فَكَيْفَ بِالْدَّجَالِ الَّذِي يَخْرُجُ وَمَعَهُ الْخَوَارِقُ الْعَجِيبَةُ الَّتِي هِيَ أَقْوَى تَأْثِيرًا وَإِقْنَاعًا مِنْ أَدْوَاتِ هَؤُلَاءِ الْمَجَاهِيلِ.

وهؤلاء وصفهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنهم أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، وَذَلِكَ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَّةِ مِنْ طَرِيقِ كُمَيْلِ بْنِ زِيَادِ النَّخَعِيِّ، قَالَ: أَخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِيَدِي، فَأَخْرَجَنِي نَاحِيَةَ الْجَبَانَةِ، فَجَعَلَ يَتَنَفَّسُ، ثُمَّ قَالَ: «يَا كُمَيْلُ بْنُ زِيَادِ الْقُلُوبُ أَوْعِيَّةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، وَاحْفَظْ مَا أَقُولُ لَكَ: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاغٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ: أَيُّ مَنْ صَاحَ بِهِمْ وَدَعَاهُمْ تَبِعُوهُ، سِوَاءٍ دَعَاهُمْ إِلَى هُدًى، أَوْ إِلَى ضَلَالٍ؛ فَإِنَّهُمْ لَا عِلْمَ لَهُمُ بِالَّذِي يُدْعَوْنَ إِلَيْهِ؛ أَحَقُّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ؟ فَهُمْ مُسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَتِهِ، وَهَؤُلَاءِ مِنْ أَضْرِّ الْخَلْقِ عَلَى الْأَدْيَانِ؛ فَإِنَّهُمْ الْأَكْثَرُونَ عِدَدًا، الْأَقْلُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا، وَهُمْ حَطَبٌ كُلُّ فِتْنَةٍ، بِهِمْ تُوقَدُ وَيُسَبُّ ضُرَاهُمَا، فَإِنَّهَا يَهْتَزُّ لَهَا أُولُو الدِّينِ، وَيَتَوَلَّاهَا الْهَمَجُ الرَّعَاغُ، وَسُمِّيَ دَاعِيَهُمْ نَاعِقًا تَشْبِيهَا لَهُمُ بِالْأَنْعَامِ الَّتِي يَنْعُقُ بِهَا الرَّاعِي، فَتَذْهَبُ مَعَهُ أَيْنَ ذَهَبَ»^(٢).

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٨٠).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٢٦، ١٢٧).

وَحِتَامًا أَتِيهَا الشَّبَابُ: اللَّهُ اللَّهُ فِي حِمَايَةِ أَنْفُسِكُمْ مِنَ الْمَجَاهِيلِ، لَا تُعْرِ عَقْلَكَ وَقَلْبَكَ، وَقَبْلَ ذَلِكَ دِينَكَ، لِمَجْهُولٍ لَا تَدْرِي حَالَهُ، لَا ضَيْرَ عِنْدَهُ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، وَعَلَى سَبِّهِمْ بِلَا وَرَعٍ وَلَا تَقْوَى، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَإِرْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهْدِيِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبْ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدَّهُمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا.

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

أَلْفَحْشَاءَ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠]،
 فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿٩١﴾ وَلَذِكْرُ
 اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٩٢﴾ [العنكبوت: ٤٥].



تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ! ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ، فِي غَمْرَةِ الْأَحْدَاثِ السِّيَاسِيَّةِ، وَالتَّغْيِرَاتِ الْاِقْتِسَادِيَّةِ، وَانْبِهَارِ النَّاسِ فِي مُسْتَجَدَّاتِ الْعَصْرِ، وَتَلَاخُقِ الْمَشْكَلاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، يَضِيعُ الْمَرْءُ بَيْنَ حَاجَاتِهِ وَشُؤُونِهِ، وَبَيْنَ قَضَايَا مَجْتَمَعِهِ وَأُمْتِهِ.

لَقَدْ وَجَدَ الْكَثِيرُ مِنْ أَنْفُسِهِ مُنْشَغَلًا بِأُمُورٍ لَا تَغْنِيهِ، وَلَيْسَتْ مِنْ اخْتِصَاصِهِ، فَتَارَةً مُفَكِّرًا فِي الْاِقْتِسَادِ، وَتَارَةً مُحَلِّلاً سِيَاسِيًّا، وَتَارَةً عَالِمًا شَرْعِيًّا، بَيْنَمَا فِي نَفْسِهِ قَضَايَا وَمَشَاكِلٌ لَمْ يَلْتَفِتْ لَهَا، وَلَمْ تُؤَرِّقْ ضَمِيرَهُ، وَلَمْ تُحَرِّكْ فِيهِ سَاكِنًا.

فَلَعَلَّهُ يَكُونُ ضَعِيفًا فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، أَوْ مُتَكَاسِلًا فِي زِيَارَةِ وَالِدَيْهِ، وَالْقِيَامِ بِحَقِّهِمَا، أَوْ مُضَيِّعًا لِتَرْبِيَةِ أَوْلَادِهِ، وَالْقِيَامِ بِحَقِّ أَهْلِهِ، أَوْ لَعَلَّهُ لَمْ يَرُدَّ

الأموال إلى أصحابها، ولم يُفَكِّرْ في ترتيبِ سدادِ ديُونِهِ، وهذا -والله- من أعظمِ الابتلاءِ للمرءِ أنْ يَصْرِفَهُ اللهُ إلى ما لا نَفْعَ فيه، أو يَشْغَلَهُ بما لا يُفِيدُ عَمَّا يَجِبُ عليه.

كَمْ هو عَجِيبٌ أنْ تَتَنَقَّدَ سُلُوكًا اجتماعيًا في مَجَالِيسِكَ، وَعَبْرَ شَبَكَةِ التَّوَاصُلِ الاجتماعيِّ وأنت غَارِقٌ فيما هو أشدُّ، بل لَعَلَّكَ ممن وَقَعَ في هذا السُّلُوكِ.

تَأَمَّلْ قولَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

قال أبو الدَّرْدَاءِ: «لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفَقْهِ حَتَّى يَمُوتَ النَّاسُ فِي ذَاتِ اللهِ، ثُمَّ يَرْجِعَ إِلَى نَفْسِهِ فَيَكُونَ لَهَا أَشَدَّ مَقْتًا»^(١).

أتأمرون الناسَ بطاعةِ الله، وتتركون أنفسكم تعصيه؟ فهلا تأمرونها بما تأمرون به الناسَ من طاعةِ رَبِّكُمْ؟

إن الحاجةَ إلى تركيزِ الاهتمامِ فيما يَنْفَعُ قد ازدادتْ، والضرورةُ إلى تَرْكِ ما لا يَغْنِي قد أَلَحَّتْ، ولا سِيَّما مع ضيقِ الأوقاتِ، وصُعوبةِ الموازنةِ بين الأعمالِ، واشتغالِ كثيرٍ من الناسِ بما لا يَغْنِيهِمْ، ولا يُفِيدُهُمْ.

وما دام جانبُ التَّخْلِيَةِ مُقَدِّمًا على جانبِ التَّحْلِيَةِ، فإنَّ العبدَ بحاجةٌ قَبْلَ أَنْ يشتغلَ بما يَغْنِيهِ إلى تَرْكِ ما لا يَغْنِيهِ، وإنه إذا فَعَلَ ذلك، وانتصرَ على نفسه حَسَنَ إسلامه، وكَمَّلَ إيمانه، وصَحَّ التزامه، ووَفَّقَ إلى الاشتغالِ بما يَنْفَعُهُ.

(١) أخرجه الديلمي (٥/ ١٥١، رقم ٧٧٨٧).

وقد أَرَشَدَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هَذَا الْأَدَبِ الْقَوِيمِ فِيمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ وَابْنُ حَبَّانَ وَغَيْرُهُمْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْْنِيهِ»^(١).

وهذا الحديث - عِبَادَ اللَّهِ - أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ تَأْدِيبِ النَّفْسِ وَتَرْكِتَيْهَا، وَلِذَا كَانَ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، حَيْثُ تَعَدَّدَتْ كَلِمَاتُهُمْ فِي بَيَانِ مَنْزِلَتِهِ، وَتَنَوَّعَتْ عِبَارَاتُهُمْ فِي تَبْيَانِ مَكَانَتِهِ، حَتَّى عَدَّهُ بَعْضُهُمْ ثُلُثَ الْإِسْلَامِ، وَأَشَارَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ فِيهِ الْوَرَعَ كُلَّهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنْهُ: إِنَّهُ أَصْلُ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ الْأَدَبِ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «مِنْ عَلَامَةِ إِعْرَاضِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِهِ أَنْ يَجْعَلَ شُغْلَهُ فِيمَا لَا يَعْْنِيهِ».

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثَلَاثٌ مِنَ الشَّقَاءِ: أَنْ يَجِدَ الرَّجُلُ عَلَى أَخِيهِ فِيمَا يَأْتِي، أَوْ يَذْكُرُ مِنْ أَخِيهِ مَا يَعْرِفُ مِنْ نَفْسِهِ، أَوْ يُؤْذِي جَلِيسَهُ بِمَا لَا يَعْْنِيهِ»^(٣).
وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يَصْلُحُ الرَّجُلُ حَتَّى يَتْرُكَ مَا لَا يَعْْنِيهِ وَيَسْتَغْلِ بِمَا يَعْْنِيهِ وَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ يُوشِكُ أَنْ يُفْتَحَ لَهُ قَلْبُهُ»^(٤).
إِنَّكَ لَتَعَجُبُ مِنْ رَجُلٍ يَنْظُرُ وَيَكْتُبُ، بَلْ وَيَحُلُّ الْمَشَاكِلَ الْأُسْرِيَّةَ وَفِي بَيْتِهِ مِنَ التَّقْصِيرِ وَالْإِهْمَالِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ.

(١) أخرجه الترمذي (٥٥٨ / ٤) وقال: غريب. وابن ماجه (١٣١٥ / ٢)، رقم (٣٩٧٦)، وابن حبان (٤٦٦ / ١)، رقم (٢٢٩).

(٢) الرسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت، لابن البنا (ص ٦٢).

(٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص ١٠٠).

(٤) شرح خليل للخرشي (١ / ٢٢٨).

وَتَعْجَبُ مَنْ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْكَلَامِ الطَّيِّبِ، وَحُسْنِ الْقَوْلِ، وَإِذَا تَتَبَعْتَ أَلْفَاظَهُ مَعَ أَوْلَادِهِ وَأَهْلِهِ وَزُمَلَائِهِ، وَجَدْتَ لَفْظًا غَلِيظًا.

إِنَّ الْخَلَلَ الْحَقِيقِيَّ فِي ذَلِكَ قَدْ لَا يَكُونُ سُوءَ طَوِيَّةٍ، وَلَا إِصْرَارًا عَلَى الْبَاطِلِ، كَلَّا، وَإِنَّمَا الْخَلَلُ هُوَ أَنَّهُ اشْتَغَلَ بِهَا لَا يَعْنِيهِ، فَفَاتَهُ مَا يَعْنِيهِ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «أَنْفَعُ الدَّوَاءِ أَنْ تَشْغَلَ نَفْسُكَ بِالْفِكْرِ فِيمَا يَعْنِيكَ، دُونَ مَا لَا يَعْنِيكَ، فَالْفِكْرُ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ بَابٌ كُلُّ شَرٍّ، وَمَنْ فَكَّرَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ فَاتَهُ مَا يَعْنِيهِ، وَاشْتَغَلَ عَنِ أَنْفَعِ الْأَشْيَاءِ لَهُ بِمَا لَا مَنَفَعَةَ لَهُ فِيهِ، فَالْفِكْرُ وَالْخَوَاطِرُ وَالْإِرَادَةُ وَالْهَمُّ أَحَقُّ شَيْءٍ بِإِصْلَاحِهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنْ هَذِهِ خَاصَّتُكَ وَحَقِيقَتُكَ الَّتِي تَتَبَعُ بِهَا، أَوْ تَقْرُبُ مِنْ إِهْلِكَ وَمَعْبُودِكَ الَّذِي لَا سَعَادَةَ لَكَ إِلَّا فِي قُرْبِهِ وَرِضَاهُ عَنْكَ، وَكُلُّ الشَّقَاءِ فِي بُعْدِكَ عَنْهُ، وَسُخْطِهِ عَلَيْكَ، وَمَنْ كَانَ فِي خَوَاطِرِهِ وَمَجَالَاتِ فِكْرِهِ دَنِيئًا خَسِيسًا، لَمْ يَكُنْ فِي سَائِرِ أَمْرِهِ إِلَّا كَذَلِكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تُمَكِّنَ الشَّيْطَانَ مِنْ بَيْتِ أَفْكَارِكَ وَإِرَادَتِكَ، فَإِنَّهُ يُفْسِدُهَا عَلَيْكَ فَسَادًا يَصْعُبُ تَدَارُكُهُ، وَيُلْقِي إِلَيْكَ أَنْوَاعَ الْوَسَاوِسِ، وَالْأَفْكَارِ الْمُضِرَّةِ، وَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْفِكْرِ فِيمَا يَنْفَعُكَ، وَأَنْتَ الَّذِي أَعْنَتُهُ عَلَى نَفْسِكَ بِتَمَكُّينِهِ مِنْ قَلْبِكَ وَخَوَاطِرِكَ، فَمَلَكَهَا عَلَيْكَ، فَمِثَالُكَ مَعَهُ مِثَالُ صَاحِبِ رَحَى يَطْحَنُ فِيهَا جِيدَ الْحُبُوبِ، فَاتَاهُ شَخْصٌ مَعَهُ جَهْلُ تُرَابٍ وَبَغِيرِ وَقَحْمٍ وَغُبَاءٍ لِيَطْحَنَهُ فِي طَاحُونَتِهِ، فَإِنْ طَرَدَهُ، وَلَمْ يُمْكِنَهُ مِنَ الْإِقَاءِ مَا مَعَهُ فِي الطَّاحُونِ اسْتَمَرَ عَلَى طَحْنِ مَا يَنْفَعُهُ، وَإِنْ مَكَّنَهُ فِي الْإِقَاءِ ذَلِكَ فِي الطَّاحُونِ أَفْسَدَ مَا فِيهَا مِنَ الْحَبِّ، وَخَرَجَ الطَّاحِينُ كُلُّهُ فَاسِدًا».

(١) الفوائد، لابن القيم (ص ١٧٥).

دخل رجلٌ على داودَ الطائي زائرًا، فقال: إِنَّ فِي سَقْفِ بَيْتِكَ جِذْعًا قَدْ
انْكَسَرَ، فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنِّي فِي هَذَا الْبَيْتِ مُنْذُ عَشْرِينَ سَنَةً مَا نَظَرْتُ إِلَى
السَّقْفِ^(١).

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ؛ تَعْظِيمًا لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى جَنَّتِهِ
وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ، إِنْ الْمَتَأَمَّلُ فِي وَاقِعِنَا يَجِدُ كَثِيرًا مِمَّا قَدْ شَطَحَ عَنْ هَذَا
الْخُلُقِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُوَ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ الْإِسْلَامِ، فَلَوْ سَأَلْنَا أَنْفُسَنَا: مَا هِيَ
الدَّائِرَةُ الَّتِي أَدَوْرُ فِيهَا فِيمَا يَغْنِينِي فَقَطْ، لَمَّا وَجَدَتْ جَوَابًا حَاضِرًا، لِأَنَّهُ لَا
يُوجَدُ مُحِيطٌ لِلدَّائِرَةِ أَصْلًا.

وَلَيْسَ الْأَمْرُ فِي الْخَوْضِ فَقَطْ، بَلْ إِنَّا نَعْتَقِدُ أَنَّ نُحْسِنُ كُلَّ شَيْءٍ،
وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَخُوضَ فِيهِ بِمُجَرَّدِ سَمَاعِ تَقْرِيرٍ أَوْ قِرَاءَةِ مَقَالٍ، أَوْ قِرَاءَةِ تَغْرِيدَةٍ،
أَوْ حُضُورِ نِقَاشٍ، بَلْ وَلَا يَتَوَقَّفُ الْأَمْرُ عِنْدَ ذَلِكَ، بَلْ إِنَّا نَحْرِصُ عَلَى أَنْ

(١) المجالسة وجواهر العلم، للدينوري (١/٣٤٧).

نتكلم في كُلِّ شيءٍ إلا فيما ينفعنا.

لِنَسْتَمِعَ إِلَى التَّوَجِيهِ الْمَحْمَدِيِّ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَخْيٌ يُوحَى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اُحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ»^(١).

أَيُّ اسْتَعْمِلِ الْحِرْصَ، وَالْاجْتِهَادَ فِي تَحْصِيلِ مَا تَنْتَفِعُ بِهِ فِي أَمْرِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ الَّتِي تَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى صِيَانَةِ دِينِكَ، وَصِيَانَةِ عِيَالِكَ، وَمَكَارِمِ أَخْلَاقِكَ، وَلَا تُقَصِّرْ فِي طَلَبِ ذَلِكَ.

وَتأمل قوله «وَلَا تَعْجِزْ»، فَإِنَّ النَّفْسَ تَعْجِزُ فِي تَحْصِيلِ مَا يَنْفَعُهَا، لَكِنِّهَا قَدْ لَا تَعْجِزُ فِي تَحْصِيلِ مَا يَضُرُّهَا، كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ، وَلِهَذَا قَالَ: «وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ». إِنَّ أَعْظَمَ مَا يُورِثُهُ انْشِغَالُ الْإِنْسَانِ بِمَا لَا يَنْفَعُهُ هُوَ التَّقْصِيرُ فِي عِلَاقَتِهِ مَعَ رَبِّهِ.

فَلَا تَسْلُ عَنْ الْكَسَلِ عَنِ الطَّاعَةِ حِينَمَا نَرَى السَّيْلَ الْكَبِيرَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي شَبَكَةِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ، وَالتَّابَعَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ لِلْقَنَوَاتِ الْإِخْبَارِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَلَا نَجِدُ وَقْتًا لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّا -وَبِدُونِ شَكٍّ- نُعَانِي مِنْ أَزْمَةِ الْإِنْشِغَالِ بِمَا لَا يَغْنِي، فَإِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ.

حِينَمَا نَجْلِسُ مِثْلَ هَذَا الْوَقْتِ، وَنُشْغَلُ عَنْ أَذْكَارِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، فَنَحْنُ نُعَانِي مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ.

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٥٢، رقم ٢٦٦٤).

إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاد الجيوش وأصلح المجتمع، ومع ذلك: «كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى تَتَوَرَّمَ قَدَمَاهُ»^(١)، و: «يَذْكُرُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»^(٢).

فهذه دعوة لأنفسنا لأن نُعيد ترتيب أولوياتنا وأولياتنا.

ابدأ بنفسك، ثم بأسرتك، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وإمام الورى، فقد أمركم ربكم فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارِضْ اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين، وَالْأئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وعن الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وعنَّا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أعزِّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين، والنصارى المحاربين، اللَّهُمَّ عليك بهم؛ فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ أحصهم عددًا.

اللَّهُمَّ آمِنًا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا ووُلاة أمورنا، اللَّهُمَّ وفِّقهم لما يرضيك، وجنبهم معاصيك.

اللَّهُمَّ تب على التائبين، واهد ضالَّ المسلمين، اللَّهُمَّ رُدِّهم إليك ردًّا

(١) أخرجه البخاري (١٣٥/٦)، رقم (٤٥٥٦).

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً (٦٨/١)، قبل حديث رقم (٢٩٩)، ومسلم (٢٨٢/١)، رقم (٣٧٣).

جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارفع ما نزل من الفتن، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



عِلَاقَةُ الْأَشْقَاءِ

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَغِيثُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَزِيرًا وَلَا وَنَدًا وَلَا ظَهِيرًا وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ نَشْهَدُ أَنَّهُ بَلَغَ الرِّسَالَةَ وَنَصَحَ الْأُمَّةَ وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيَكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ فَهِيَ وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

مَعَشَرَ الْمُصْلِينَ، إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْعِلَاقَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالتِّي اتَّفَقَتْ عَلَيْهَا الشَّرَائِعُ السَّمَاوِيَّةُ، وَالْأَعْرَافُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ هِيَ عِلَاقَةُ الْأَخِ مَعَ أَخِيهِ، سَوَاءً كَانَ شَقِيقًا، أَوْ مِنْ أَبِيهِ، أَوْ مِنْ أُمِّهِ.

إِنَّ هَذِهِ الْعِلَاقَةَ الْعَظِيمَةَ بَيْنَ الْإِخْوَةِ يَحُوطُهَا عَاطِفَةٌ كَبِيرَةٌ، وَانْتِمَاءٌ كَبِيرٌ، إِذْ يَشْعُرُ الْأَخُ أَنَّ أَخَاهُ هُوَ نَفْسُهُ، يَسُوؤُهُ مَا يَسُوؤُهُ، وَيُحْزِنُهُ مَا يُحْزِنُهُ، وَيُفْرِحُهُ مَا يُفْرِحُهُ.

وَمَا قِصَّةُ الشَّقِيقَيْنِ ابْنَيْ آدَمَ إِلَّا مِثَالًا وَاضِحًا لِعُمُقِ هَذِهِ الْعِلَاقَةِ، حِينَمَا

ذَكَرَ اللَّهُ فِعْلَ قَابِلٍ، وَذَلِكَ بِقَتْلِهِ لِأَخِيهِ هَابِيلَ، قَالَ فِي وَصْفِ الْمَأْسَاةِ، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠].

ولهذا تأمل ما قاله السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعَلِّقًا عَلَى قَوْلِهِ ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «فَلَمْ يَرْتَدِّعْ ذَلِكَ الْجَانِي، وَلَمْ يَنْزَجِرْ، وَلَمْ يَزَلْ يُعْزِمْ نَفْسَهُ وَيَجْزِمُهَا، حَتَّى طَوَّعَتْ لَهُ قَتْلَ أَخِيهِ الَّذِي يَقْتَضِي الشَّرْعُ وَالطَّبْعُ احْتِرَامَهُ».

إِنَّ مِنْ شِدَّةِ مَتَانَةِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْإِخْوَةِ أَنَّهُمْ يَتَوَارَثُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي الشَّرِيعَةِ، بَلْ وَيَرِثُونَ الْحَقَّ فِي الدَّمَاءِ، بَلْ إِنْ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا بَيْنَ عُمَمِ الْعِلَاقَةِ بِجَوَازِ الْأَكْلِ مِنْ بَيْتِ أَخِيكَ بِدُونِ إِذْنِهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَمَتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ مَفَاحِشُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [النور: ٦١].

وهذا الحَرَجُ المنفِيُّ - كما قال المفسرون - هو عن الأكلِ مِنْ هَذِهِ الْبُيُوتِ، كُلُّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ بِدُونِ إِذْنٍ، وَالْحِكْمَةُ فِيهِ مَعْلُومَةٌ مِنَ السِّيَاقِ، فَإِنْ هَؤُلَاءِ الْمُسَمَّيْنَ قَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ وَالْعُرْفُ بِالمَسَاحَةِ فِي الْأَكْلِ عِنْدَهَا، لِأَجْلِ الْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، أَوْ التَّصَرُّفِ التَّامِّ، أَوْ الصَّدَاقَةِ.

فَلَوْ قُدِّرَ فِي أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ عَدَمُ الْمَسَاحَةِ، وَالشُّحُّ فِي الْأَكْلِ الْمَذْكُورِ، لَمْ يَجْزِ الْأَكْلُ، وَلَمْ يَرْتَفِعِ الْحَرَجُ، نَظَرًا لِلْحِكْمَةِ وَالْمَعْنَى.

كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ أَخَوَيْنِ خَرَجَا مِنْ بَطْنٍ وَاحِدٍ، وَصُلِبَ وَاحِدٌ، وَنَامَا جَمِيعًا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ سَنِينَ طَوِيلَةً، بَلْ وَلَبَسَا ثِيَابًا وَاحِدَةً، وَأَكَلَا وَسَافَرَا جَمِيعًا، وَتَعَاوَنَا جَمِيعًا هُمُّهُمْ وَاحِدٌ، وَفَرَحُهُمْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، فَإِذَا مَا كَبُرَا وَتَرَعَرَعَا دَخَلَ الشَّيْطَانُ، وَحَرَّشَ بَيْنَهُمَا، حَتَّى اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْلِبَ هَذِهِ الْعِلَاقَةَ إِلَى نَكْدٍ وَكَيْدٍ وَحِقْدٍ وَعَدَاوَةٍ ظَاهِرَةٍ.

وَالْأَبْوَانِ، إِنْ كَانَا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الْحُسْرَةُ وَالنَّدَامَةُ، وَتَذَكُّرُ أَبْنَائِهِمَا فِي صِغَرِهِمَا، وَمَا كَانَا عَلَيْهِ.

وَلَيْتَ الْأَمْرَ يَقِفُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، بَلْ إِنَّهُمَا يُورَثَانِ هَذِهِ الْأَحْقَادَ لِأَبْنَائِهِمَا، وَتَظَلُّ الْخَطِيئَةُ بَاقِيَةً، وَشَاهِدَةٌ عَلَى صُنْعِ الْإِخْوَةِ.

إِنَّ أَعْظَمَ قَطِيعَةٍ فِي الرَّحِمِ بَعْدَ الْوَالِدَيْنِ قَطِيعَةُ الْإِخْوَةِ، وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ، كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ»^(١).

بَلْ جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ، كَمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخُلُقَ حَتَّى إِذَا فَرَعَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ لَكَ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣١/٥)، ومسلم (٥٦٣٨)، ومسلم (١٩٨١/٤)، رقم (٢٥٥٦).

أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَأْمُرْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ﴿[محمد: ٢٢ - ٢٤]﴾^(١).

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّحِمَ شَجَنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكَ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُهُ»^(٢).

قيل: أَصْلُ الشَّجَنَةِ عُروُقُ الشَّجَرِ الْمُشْتَبِكَةِ، وقوله «مِنَ الرَّحْمَنِ» أي أَخَذَ اسْمُهَا مِنْ هَذَا الْاسْمِ، كما في حديث عبد الرحمن بن عوفٍ في السَّنَنِ مَرْفُوعًا: «أَنَا اللَّهُ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي»^(٣).
قال الإسماعيلي^(٤): «مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الرَّحِمَ اشْتَقَّ اسْمُهَا مِنْ اسْمِ الرَّحْمَنِ، فَلَهَا بِهِ عُلُقَةٌ».

واسمع إلى هذه العقوبة الشديدة في الحديث الذي رواه الترمذي وصَحَّحَهُ، وأبو داود وابن ماجه عن أبي بكرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا - مَعَ مَا يَدْخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ - مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»^(٥).

وأخرج الطبراني عن الأعمش قال: كان ابن مسعود جالسًا بَعْدَ الصُّبْحِ فِي حَلَقَةٍ فَقَالَ: «أَنْشُدُ اللَّهَ قَاطِعَ رَحِمٍ لَمَّا قَامَ عَنَّا، فَإِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَدْعُو رَبَّنَا،

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣٢/٥)، رقم (٥٦٤١)، ومسلم (١٩٨٠/٤)، رقم (٢٥٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٣٢/٥)، رقم (٥٦٤٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٣١٥/٤)، رقم (١٩٠٧).

(٤) فتح الباري (٤١٨/١٠).

(٥) أخرجه أبو داود (٢٧٦/٤)، رقم (٤٩٠٢)، والترمذي (٦٦٤/٤)، رقم (٢٥١١) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٤٠٨/٢)، رقم (٤٢١١).

وَأَبْوَابُ السَّمَاءِ مُرْتَجَّةٌ دُونَ قَاطِعِ رَحِمٍ^(١).

وروي كذلك في الآثار: «أَنَّ الرَّحْمَةَ لَا تَنْزُلُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ»^(٢). و: «أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَنْزِلُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ»^(٣).

قال الحافظ في الفتح^(٤): «قال الطيبي: يُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ يُسَاعِدُونَهُ عَلَى قَطِيعَةِ الرَّحِمِ، وَلَا يُنْكِرُونَ عَلَيْهِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِالرَّحْمَةِ الْمَطَرُ، وَأَنَّهُ يُجَبَسُ عَنِ النَّاسِ عُمُومًا بِشَوْءٍ التَّقَاطُعِ».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿قَالُوا نَأْتِيهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾^(٥) قَالَ لَا تَزِرُ بَ عَلَيكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿[يوسف: ٩١ - ٩٢].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله؛ تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته

(١) أخرجه الطبراني (٩/ ١٥٨، رقم ٨٧٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم (٦٣).

(٣) أخرجه الطبراني، كما في جمع الزوائد (٨/ ١٥١).

(٤) فتح الباري (١٠/ ٤١٥).

ورِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ، إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْخِلَافِ بَيْنَ الْإِخْوَةِ هُوَ تَصَرُّفُ
الْوَالِدَيْنِ فِي تَفْضِيلِ بَعْضِهِمَا عَلَى بَعْضٍ، وَعَدَمِ الْعَدْلِ بَيْنَهُمْ.

وقد قال إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا
مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف: ٨].

وذلك إما لكثرة الشَّاءِ على أَحَدِهِمْ دُونَ الْآخَرِ، أَوِ التَّقْلِيلِ مِنْ عَقْلِ، أَوِ
تَصَرُّفِ أَحَدِهِمْ، أَوِ بَاعْطَائِهِ، وَتَمْيِيزِهِ عَنْ غَيْرِهِ، وَهَذَا مُحَرَّمٌ لَا يَجُوزُ، بَلْ عَلَيْهِ
أَنْ يَعْدَلَ، وَيُلَاحِظَ لِحُظَّهُ وَضَحِكَهُ وَاهْتِمَامَهُ، بَأَنْ يَكُونَ عَادِلًا لَا يُؤَلِّبُ
الْقُلُوبَ.

ورسالتني إلى الأخ الأكبر بَأَنْ عَلَيْكَ مَسْئُولِيَّةٌ تَجَاهَ إِخْوَتِكَ وَأَخَوَاتِكَ،
فَأَنْتَ مَنْ يُعَلَّقُ عَلَيْهِ الْأَمَلُ بَعْدَ اللَّهِ فِي تَوَازُنِ عِلَاقَاتِ الْإِخْوَةِ، خَفَّفَ مِنْ
كِبَرِيائِكَ أَمَامَ إِخْوَتِكَ، اسْتَشْعِرْ أَنَّكَ بِتَوَاضُعِكَ تَفْرِضُ احْتِرَامَكَ عَلَيْهِمْ،
وَأَنَّكَ بِتَضَحُّيَّتِكَ تُمَارِسُ عِبَادَةً هِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ وَأَزْكَاهَا.

فكما أَنَّ لَكَ حَقًّا، فَإِنْ عَلَيْكَ حُقُوقًا، وَحَفِظَ اللَّهُ مُهْجَةَ أَخٍ صَحَّى
بشبابه وماله ووقته مِنْ أَجْلِ إِخْوَتِهِ وَحِفْظِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ، وَإِنْ نَالَهُ مَا نَالَ.

وعلى الإخوة أَنْ يُقَدِّرُوا حَقَّ أَخِيهِمُ الْأكْبَرِ، وَأَنْ يَتَنَازَلُوا لَهُ، لِيَحْفَظُوا
لُحْمَةَ نَسَبِهِمْ، وَحَقَّ وَالِدِهِمْ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ النَّاسِ وَجَدَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمَشَاحِنَاتِ أَسْبَابُهَا تَافَهُةٌ
حَقِيرَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى شَجَاعَةٍ وَتَوَاضُعٍ وَتَسَامُحٍ.

وَلْيُعَلِّمْ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يُقَدَّرِ اللَّهُ بَيْنَ الْإِخْوَةِ الْحُبِّ وَقُوَّةِ الْإِنْتِمَاءِ، فَلَا أَقْلَ مِنْ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَالاجْتِمَاعِ الدَّوْرِيِّ، وَعَدَمِ إِشْعَارِ الْأَبْنَاءِ وَالزَّوْجَاتِ بِمَا فِي الْقَلْبِ، حَتَّى لَا تَنْتَقِلَ إِلَى الْآخَرِينَ، بَلْ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَجَلَّدَا، فَإِنَّ التَّخْرِيشَ هُوَ سِلَاحُ إِبْلِيسَ، بَلْ إِنْ الْفُرْقَةُ هِيَ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ، كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرَشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يُجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا. قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ. - قَالَ - فَيُذْنِبُهُ مِنْهُ وَيَلْتَزِمُهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ» (١).

وهذا التَّخْرِيشُ يكون دائماً في تصرفاتٍ لم يَقْصِدْهَا الْآخَرُ، أَوْ لَمْ يَحْسِبْ لَهَا حِسَابًا، بِأَنَّهُ قَدْ تَوَدَّى إِلَى الْقَطِيعَةِ.

وَكَمْ مِنْ نِقَاشٍ بَدَأَ بِحُسْنِ نِيَّةٍ، ثُمَّ انْتَهَى إِلَى مَا لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ. وَكَمْ مِنْ زِيَارَةٍ وَصَلَةٍ كَانَ مَبْدُؤُهَا التَّوَاصُلُ، وَانْتَهَتْ بِالْقَطِيعَةِ. وَلِذَا عَلَى الْإِخْوَةِ أَنْ يَتَهَيَّؤُوا لِمِثْلِ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ، وَيَتَعَلَّمُوا كَيْفَ يَتَجَاوَزُونَهَا، وَكَيْفَ يَتَعَامَلُونَ مَعَهَا، فَهَذِهِ الْعِلَاقَةُ مُعَرَّضَةٌ لِلخَدَشِ. وَلَكِنَّ الشَّأْنَ كَيْفَ نَكُونُ عِنْدَ قَدْرِ الْمَسْئُولِيَّةِ، وَإِعْطَاءِ الْأُمُورِ حَجْمَهَا الْحَقِيقِيَّ.

وَرِسَالَةٌ إِلَى كُلِّ مُتَخَاصِمٍ مِنَ الْإِخْوَةِ: تَذَكَّرْ أَنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ وَخَيْرٌ إِذَا بَدَأْتَ بِالسَّلَامِ، وَتَحَمَّلْتَ مَا يَأْتِيكَ.

وَتَذَكَّرْ أَنْكَ فِي جِهَادٍ مَعَ نَفْسِكَ، وَأَنَّ الْعَظَمَةَ تَكْمُنُ فِي قَهْرِ النَّفْسِ،
وَالشَّجَاعَةَ تَكُونُ فِي التَّغَلُّبِ عَلَيْهَا، وَعَدَمِ الرُّضُوحِ لَوْسَوَائِهَا.
فليس الشأن أن تكون عند الناس قوياً، وإنما الشأن أن تكون عند
نفسك قوياً وشجاعاً.

وَتَذَكَّرْ هَذِهِ التَّرَكِيَّةَ مِنَ اللَّهِ، بِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا إِلَّا الْكَمَلُ مِنَ
الرِّجَالِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٢١) وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا
يُلْقِنَهَا إِلَّا لَأَذْوَ حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ الْهُدَى، وَإِمَامِ الْوَرَى، فَقَدْ أَمَرَكُم رُبُّكُمْ
فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ
وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ
الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصِرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصِرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِالْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ، وَالنَّصَارَى، الْمُحَارِبِينَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أوطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أئِمَّتَنَا وَوُلاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ لِمَا يَرْضِيكَ، وَجَنِّبْهُمْ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ تَبِ عَلَى التَّائِبِينَ، وَاهْدِ ضَالَّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدِّهِمْ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ ارْفَعْ مَا نَزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]،
فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمكم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



المحتويات

الإيمان قبل القرآن.....	٩
الاستسلام لقدرة الله.....	١٧
حلاوة الإيمان.....	٢٥
الساعة.....	٣٤
فضل الوضوء.....	٤١
الصلاة تُكَفِّرُ الْخَطَايَا.....	٥٠
المشي إلى الصلاة.....	٥٨
الصلاة - الفجر.....	٦٦
أحكام الزكاة.....	٧٥
استقبال رمضان.....	٨٢
عشر ذي الحجة والأضحية.....	٩٠
أكل الطيبات.....	٩٩
السوق.....	١٠٦
أخذ ما ليس لك.....	١١٤
محاربة الفساد.....	١٢٣
أداء الديون.....	١٣٠
سجن المعسر.....	١٣٨
الزواج وحق الزوجة.....	١٤٨

١٥٧	 مال الزوجة
١٦٣	 العضل
١٦٩	 القتل
١٧٩	 ترويع المسلم
١٨٦	 الخمر والمخدرات
١٩٥	 الزنا
٢٠٣	 أعمال القلوب وعباداتها
٢١١	 الاستهزاء
٢١٨	 الإسراء والمعراج وعظمة الله
٢٢٦	 الانتكاسة
٢٣٣	 الجدل والفتوى
٢٤٠	 الحياء والذوق
٢٤٨	 الرفق
٢٥٧	 الصديق
٢٦٦	 العين حق
٢٧٥	 الغيبة
٢٨٣	 القرآن نجاة
٢٩١	 الموت والقبر
٢٩٩	 طلب الرياسة
٣٠٦	 عبادة التوبة

٣١٢	قبول الأعمال
٣١٩	الاستراحات
٣٢٧	التنافس على الدنيا
٣٣٥	إذا خاصم فجر
٣٤٣	الابتزاز
٣٥٠	الاستقامة
٣٥٧	الاستقرار
٣٦٥	الأمر بالمعروف
٣٧٤	الانتحار
٣٨٢	التعصب القبلي والرياضي
٣٨٩	الْفَرَجُ بَعْدَ الْكَرْبِ
٣٩٥	القبر
٤٠٤	الْحَطَأُ يَجِبُ إنْكَارُهُ
٤١٠	الشورى
٤١٩	الصَّبْرُ عَنِ الْمُعْصِيَةِ
٤٢٧	نصر الله لأوليائه والتفاؤل
٤٣٣	المرض
٤٤١	تحكيم الشريعة
٤٤٨	المجاهيل
٤٥٦	تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ

٤٦٤		عِلَاقَةُ الْأَشَقَّاءِ
٤٧٣		المحتويات

